# حياة الإمام
# علي بن الحسين (ع)

تأليف: د. جعفر شهيدي
ترجمة: الأستاذ بشير الجزائري

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

شبكة الفكر
alfeker.net

جَمِيعُ الحُقوق محفُوظة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

# حياة الإمام علي بن الحسين

د. جعفر شهيدي

ترجمة احمد الحلبوني

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

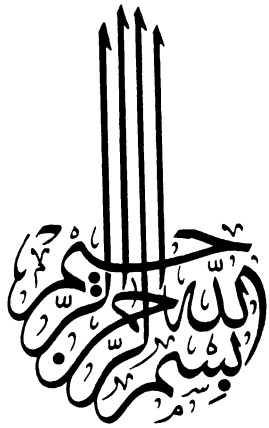
بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة المترجم

حين عرضت دار الهادي للطباعة والنشر أَن أُترجم (حياة عليّ بن الحسين) وهو كتابُ سنة ١٩٨٦ في جمهورية ايران الإسلاميَّة وأَحدُ الآثار الباقية للأستاذ العلّامة الدكتور المؤرَّخ السيد جعفر شهيدي ابتهجتُ بهذهِ الثقة السامية، وشكرتُ لهذه الدار الكريمة تمكينها إيَّاي من تقديم جوهرةٍ مِنْ عقد فريد نظمه هذا العالمُ البصير في حياة أهل البيت عليهم السلام وزيَّنَ به جيد الحقيقة بعدما نفض عن جبينها غبار الوهم الذي ران عليه منذ قرون.

ولن أُحدِّث القارئ الكريم بفضل المؤلفِ الكبير الذي كرَّمته الجمهورية الإسلاميَّة في احتفال ثقافي كبير خاصٍّ به آعتزازاً بمكانته العالية في التحقيق العلميِّ الواسع العميق، لأَنّ هذا الحديث ليس من شأن هذه المقدّمة.

ولا أُحدِّثه بهذا المؤلَّف الكاشف عن براعته في البحث الدقيق الذي لا يعرف غير الصدق، ولا يتوخَّىٰ إلا الحقّ مهما كلّفه مِن أذىٰ، وَ هذا ما تشهد به صفحاتُه المُشرقة نفسُها.

ولكنّي أَضعُ بين يَدَيه أمثلة مما امتاز به هذا الأثر من نوادر الكشف العلميّ:

أوَّلها: أنّه أثبت بطلان الاعتقاد بأَنّ أُمَّ زين العابدين هي شهربانو بنت يزدجرد الثالث آخر الأكاسرة الساسانيين.

وهي دعوىٰ مازال الايرانيون يفخرون بها أَيَّما فخر.

وثانيها: أَنَّه فنّد زعم المؤَرَّخين أَنَّه وُلِدَ قبل الثامنة والأربعين للهجرة تفنيداً تضافرتِ

الوقائعُ التي استند إليها علىٰ تأييده تأييداً قاطعاً بأنَّه الصواب.

وثالثها: أنَّه بحث عن صَّحة مَدح الفرزدق لزين العابدين عليه السلام وما قيل في عدد الأبيات والقائلين والممدوحين الذين تداخلت أَسماؤُهم وأبياتهم وحوادثهم بعضُها في بعض من القرن الثالث إلىٰ القرن العاشر بحثاً علميّاً رائع الدقّة والإحاطة والتأني دالّاً علىٰ إيثاره الحقّ علىٰ كُلِّ ما عداهُ عن وعي وبصيرة تامَّين.

وإذ باشرتُ ترجمة هذا الكتاب الزاخر بالنصوص التاريخية المترجمة من العربية إلىٰ الفارسية تكادَأني عبئان:

أَحدُهما استقاءُ المحُقّق من منابع لا تبلُغُها يَدي لنفادها أَو عَدَمها في بلادٍ لا تنطق بلسان هذه المنابع، ولا تلتفت إليها.

والآخر عدم درايتي أَتصرّف المؤلِّفُ في ترجمة ما آستقاهُ مِن تلك المنابع أم لا؟
وهذا ما أَخَذَ علىٰ يَدي في إنجاز ما طُلبَ إليَّ إنجازُه إضافةٍ إلىٰ شواغلي الشاغلة عن أَدائه كما أُريد وكما أُحبّ ولم يتح لي إلّا ابتداع العناوين، فقد جاءَ الكتابُ خالياً منها تماماً.
ولذا أَعتذرُ ممَّا لا بُدَّ منهُ لمثلي مِن زلات القاصرين وعثرات المقصّرين، واللهُ ولي التوفيق عليه توكّلت، وإليه أُنيب.

# بسم الله الرحمن الرحيم

«يُحرّفُون الكلم عن مواضِعه»[١]

## المقدمة

لم يُوَفَّق الكاتبُ[٢] للدراسة في المدارسِ العصريّة. لِم وما مُوجبُ ذلك؟

هذه المقدّمة لا مجالَ فيها لمثل هذا البحث ولا موردَ للأسفِ علىٰ ما حدث أو السرور بهِ أيْضاً، فمهما كان، فقد مضىٰ وفي النتيجة لا يدري أَكانَ في المدارس الابتدائية الرسمية قبل خمسين أو ستين عاماً حصّة لتعليم أصول العقائد والدين ومعرفة أئمتِه أم لا؟.

فإن كانت، فكيف كانت تُعرَض؟

نحنُ طلّاب الكُتّاب ثلاثون إلىٰ خمسينَ نسمة من السنة الخامسة إلىٰ الثامنة عَشرة كنا نجتمع تحت سقف هو ثمانية أذرع في ثلاثةٍ إلى أربعة، أو الأحسن أَن نقول: نقضي اليوم.

كنا نتعلّم أصول الدين والمذهب أيضاً ضمن قراءَة سور من القرآن وكتب من قبيل عاقّ الوالدين، والذئبَ والثعلب، والنحّات، وذهاب الإمام الحسنِ والحسين إلىٰ الكتّاب، وقصّة اللعين، وحرب الإمام علي عليه السلام لِلجنِّ في بئر العلم.

وكانَ يجب أن نعرف أَئمتنا أيضاً.

أَمّا كيف كنّا نتعلّم تلك الدروس وإلى أَيِّ حدٍّ؟.

---

١- المائدة/٥: ١٣.

٢- يعني المؤلّفُ نفسَه.

فتلك قصَّة ممتعة تستحق القراءَة لو حظيت بفرصةٍ وكتبتها.

هنا بمناسبة مقدِّمة الكتاب الحاضر أكتب مثالاً صغيراً أَو غيضاً مِن فيض.

كان درس أُصول الدين يبدأ علىٰ هذا النحو:

- علىٰ كم قسمٍ يُقْسَم التوحيد؟

- علىٰ قسمين: التوحيد الذاتي، والتوحيد الصفاتي.

ولو كان أحد يسأل: ما الذات والصفات، وما فرقُها؟

ما كنّا نعرفُ أَيّاً منها.

وبعد مضي أكثر من نصف قرن علىٰ ذلك العَهد يجب أَن أَقول: لم يكن عمقُ معلومات المتعلِّم أقل من المعلم.

وما كان المعلِّم يَعلَمه هو ما كان يُعطيناه، وما كنا نحفظه هو ما كان يعلَمُه. كنّا نُمْتَحَنُ في الأسبوع مَرَّةً في الأَقَلّ، فكانَ المُعلِّمُ أو من يحلّ محلّه الذي كنا ندعُوهُ الخليفة يَسألنا واحداً واحداً عن الدروس، ونحن نجيب بما كُنّا نَحْفَظُه من جمل مكتوبةٍ أو مقولةٍ، أو باصطلاح عصرِ الكُتّاب: "كنّا نُعيد درسَنا".

- كم إله يوجد؟

- واحد.

لماذا واحد؟

لِأنه لو كانَ آثنانِ، لاحترَبا[1]، ولقتل الإله القويّ الإله الضعيف.

ولو سَأل أحد:

لِمَ يقتتل هذانِ الإلاهان، لما أجابَ تلميذ ولا معلّم!.

وبعد انتهاءِ بحثِ الأُلوهية تأتي نوبةُ النبيّ والأَئمّة.

- مَن الإمامُ الأول؟

---

١- أي تقاتلا.

- المرتضىٰ عليعليه السلام
- من الإمام الثاني؟
- الإمام الحسنعليه السلام.
- من الإمام الثالث؟
- الإمام الحسينعليه السلام.
- من الإمام الرابع؟
- الإمامُ زين العابدين "العليل"عليه السلام.
- كأَنّ قول كلمة "العليل" بعد اسم الإمام الرابعِ كان واجباً.

وإذ كنتُ أقول كلمة "العليل" أَو أَسمعها مِن زملائي كان ذهني يتَّجِهُ لقاعدة تداعي المعاني إلىٰ حالة خاصَّة هي أن هذا الإصطلاح ذو معنىٰ.

كانت القصّة مِن هذا الأمر، فمنذ صغري حتىّ مُراهقتي وأنا مريض واقِع في فِراش المرض قسماً مِن السنة، وكأس العلاج وأدوية أطبّاء ذاك الزمان غير مفارقتي.

بناءً علىٰ هذا كان مرأىٰ الإمام العليل زين العابدين يتجلّىٰ لي عِندَ عَدِّ الأَئمة، فأراهُ بذهني المحدود الذي ليسَ بينه الآن وبين انقضاء الستين متَّسع مُغْتماً ذا بلاء يئنّ من شدّة الألم، ويتململ مِن حرقة الحُّمىٰ، ويتجرَّع أقداح قاتل الكلب* والعنّاب وأَطْباءِ الكلبة* وضفائر الجنّ* ومغلي طرفاء المَنّ والإكليل وحِمصَّ الأمير.

وكبرتُ شيئاً فشيئاً، واتّخذت سبيلي إلى مجالس العزاء، هذه المجالس هي الوحيدة التي لم تكن ذات حاجب وبوّاب، وكان الناس من كل طبقة يستطيعون المشاركة فيها بلا كُلفة.

وحين يمضي المُتحدثُ أَو النائح إلى صحراء كربلاء، وكان اسم الإمام زين العابدين العليل يأتي كنتُ أجسِّمُ تلك الميادين.

واختلاف هذا الدرس مع درس الكتّاب هُو:

---

* - نباتات يُتداوىٰ بها (المترجم).

أولاً :أَن السَّامعين كانوا لا يُمتَحنون.

ثانياً: أَنَّه كانَ يُضاف إِلىٰ صفات الإمام العليل وَضْعُ الجامعةِ في العُنقُ والأسر علىٰ ظهر جمل وأمثال ذلك.

كان هذا تصويراً للإمام زين العابدين الذي كانت تعليماتُ الكُتّاب وتَلقينات النائحين في ذِهني وذهْنِ طلّابٍ أمثالي. وشيئاً فشيئاً كبرت مع كتب التاريخ، وصرت عارفاً بالتراجم.

كتبٌ مثل جلاء العيونِ للمجلسي، وطوفان البُكاء ومشكاة الأدب للمرحوم سپهر والقمقام للمرحوم الحاج فرهاد ميرزا...ثمّ نصوص قديمة وجديدة غربية، وفي النهاية قراءة وثائق أساسيّة فتحقيقُها.

كنت في هذهِ السنوات قد علمت أنّ هذا النوع من الدروس الذي أُودِعَ في أذهاننا، ونال حكم النقش في الحجر، لا يُمْحىٰ حتّىٰ بجهد جهيد، ولا تُتاحُ مثل هذه الفرصة لجميع أندادي.

معرفة الصحيفة السّجادية، والدّقة في تأمُّل معاني دعاءِ "أَبي حمزة" العالية، وتحقيق كُتُب مثل صفة الصفوة لابنِ الجوزي وحلية الأولياء لأَبي نعيم الإصفهاني؛ وكشف الغمة للإربلّي والمناقب لابن شهراشوب أرتني صورةً قريبة لواقع هذا الرجل العظيم، وقبل ثلاثين عاماً كتبتُ رسالةً عنوانها «السراج المنير في الدنيا المظلمة» وأنتشرت.

الآن بعد مُضيّ خمسين عاماً علىٰ عهد الكتّاب، ومجالس العزّاء في تلك السنين يجب أن أَقول: يمكن أَن يخلّف التعليم بهذا الأسلوب أَثراً غير مطلوب في ذهن السامع العديمِ البضاعة مثلي، ثمّ لا يتسنّىٰ له مجال ليُصحّح الأخطاء المخزونة في ذهنه؛ وتكون نتيجة ذلك -لا سمح الله- أَنْ يَنالَ هذا الرجل العظيمُ -بقطع النظر إِلىٰ مقامِ الإمامةِ والعصمة الشامخ الذي يعتقد الشيعة به- لقبَ العليل من شيعته ومحبيهِ مقابل ثلاثين عاماً من تعليم القضايا الفقهية والإرشاد العملي والأخذ بيد المساكين بلا منّة والرأفة بالمُستَحقّين والمغلوبين، وحَطْم أفواهِ الظالمين، والخضوع والخشوع لربِّ العالمين وإِبقاءِ أَثر في غاية البلاغة وحديثٍ

في أَوْج الفصاحة.

وإذ مَدَّ التوفيق يَدَهُ الآن لِأُعدّ هذا الكتاب تواصل سعي عظيم لأتَّكئَ علىٰ المنطق والدّليل لا علىٰ العاطفة والإحساس.

في الكتُبُ التي كتبتُها اتخذتُ الشيء الذي قبله المؤرخونَ والاجتماعيون الإسلاميّون وغيرُ الإسلاميّين.

كتبت شيئاً لا يسهل إدراك واقعه علىٰ أهل زماننا، ولا تترتّب عليه نتيجة علمية مِن أُخرىٰ.

انتخبت مِن كلِّ الكتابات ما رآهُ التاريخ صحيحاً أو قريباً من الصحّة.

وعلىٰ هذا الترتيب سعيتُ أَنْ أَعرض صورةً لِظاهر هذا الإمام العظيم بعرضِ ما في الوَثائق.

لكن يجب أَن أَقول: ليس لمثلي أَن يُدركَ مقامه حقاً ووَاقعاً - وعلىٰ ما كتبتُ في مقدّمة كتاب آخر - لا أقول: ما كتبتُه هو الحقيقة المحضة فالحقيقة المحضة لا يعلمها إلاّ الله.

السيّد جعفر شهيدي

تيرماه ١٣٦٤ (هجري شمسي)

## أشرف الخلق

**لا يقاس بآل محمّدﷺ من هذه الأُمَّة أَحد[١]**

إنَّ الله خيَّر مِن خلقه صنفين: من العرب قريشاً، ومن العجم فارساً.[٢]

**أَلقابه: زين العابدين[٣] وذو الثفنات[٤] وسيّد العابدين[٥] وقُدْوةُ الزاهدين[٦] وسيِّد المتقين[٧] وَإِمام المؤْمنين[٨] والأَمِين[٩] والسَّجّاد[١٠]، والزكِّي[١١]، وزين الصالحين[١٢] ومنار القانتين[١٣] وَلَقَّبوه ألقاباً أُخرىٰ غير ما ذكرنا، مثل: العَدْل، وإِمام الأُمَّة، والبَكّاء.**

وَأَشهرُ هذه الألقاب السّجاد، وزين العابدين، وذو الثفنات، وَرَدَ في تائية دِعْبِل:

ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ وحمزةَ والسَّجادِ ذِي الثَّفناتِ[١٤]

---

١- نهج البلاغة: ١/٣٩.
٢- حديث موضوع علىٰ الظاهر.
٣- الإرشاد: ٢/١٢٨؛ وكشف الغمة: ٢/٧٣-٧٤؛ ومناقب آل أبي طالب: ٤/١٢٩، ١٧٠؛ وحلية الأولياء: ٣/١٣٣.
٤- المناقب: ٤/ص١٧٥؛ وكشف الغمة: ٢/٧٤؛ وعلل الشرائع: ص٢٣٣؛ وشرح النهج: ١٠/٧٩.
٥- المناقب: ٤/١٧٠؛ والكشف: ٢/٧٤.
٦- الكشف: ٢/٧٢.
٧- الكشف: ٢/٧٣.
٨- الكشف: ٢/٧٣؛ والمناقب: ٤/١٧٥.
٩- الكشف: ٢/٧٤.
١٠- المناقب: ٤/١٧٥؛ وعلل الشرائع: ٢٣٢.
١١- الكشف: ٢/٧٤.
١٢- المناقب: ٤/١٧٥.
١٣- حلية الأولياء: ٢/١٣٣؛ والمناقب: ٤/١٧٥.
١٤- الديوان: ١٣١.

وليست هذه الأَلقاب التي لقّبوا بها الإمام عليَّ بنَ الحسين كالألقابِ التي يُلَقِّبُ بها العربُ الطفل عند ولادَتِه أو في طفولتِه، ولا كالألقاب التي راجَتْ في القرن الثالث الهجريّ في ظل الحكومة الإسلامية، أَو الألقاب التي أُلِفَتْ في بلادِنا في القرن الثالث عَشَرَ والرابع عشر، وفهرسها أحد النقّاد الاجتماعيين في كتابه[١].

هذه الألقاب لقّبها الناس هذا الإمام عليه السلام - الناس لا بالمعنىٰ اللغويّ لهذه الكلمة، بل بمعناها الاصطلاحيّ - أَي: الصيارفةُ الخبراءُ بالجوهر والعرفاءُ الباحثون عن الإنسانِ، أولئك الذين كانوا قد ملُّوا العفريت والغول في ذاك العصر المُظْلم، ووجدوا بِرُؤية الإمام عالماً كاملاً ومصداقاً تامّاً لـ«عباد الرحمن».[٢]

وأكثر من لقَّبوه هذه الألقاب ماكانوا شيعةً، وماكانوا يرونه إماماً مُعَيَّناً من الله، لكنهم لم يكونوا قادرين علىٰ تَجاهُل ما يرونه فيه.

وكلّ من هذه الألقاب دالٌّ علىٰ مرتبة من كمال النفس ودرجة من الإيمان ومرحلة من التقوىٰ ومنزلة من الإخلاص ومُبيِّن لها.

وثقة الناس واعتقادهم بصاحب هذِهِ الألقاب: سيّد العابدين وإمام الزاهدين، وسيد المتّقين، وإمام المؤمنين، وزينُ الصالحين ومصباح المتهجدين وشَثِني الجباه.

وَهو في الحَقيقةِ مظهر لِهذه الصفات علىٰ ما ستقرءُون[٣] وهذا ما عليه الجميع مِنَ القول.

كنيته أبو محمد[٤] وأبو الحسن[٥]، وأَبو بكر[٦] وأبو الحسين[٧].

---

١- سفرنامه ابراهيم بگ: ص ٦١.
٢- الفرقان/٢٥: ٦٣.
٣- كتابة الهمزة بهذا الشكل هي الموافقة لتوصيات مجامع اللغة العربية (م).
٤- أنساب الأشراف: ٢/١٤٦؛ وصفة الصفوة: ٢/٥٢؛ وكشف الغمة: ٢/١٠٥.
٥- طبقات ابن سعد: ٥/١٥٧؛ وصفة الصفوة: ٢/٥٢.

أَبوهُ الإمام الحسين بن علي بن أَبي طالب عليه السلام سبط رسُولِ الإسلام صلى الله عليه وآله ثالث أَئمة الشيعة.

وأُمُّهُ علىٰ ما عُرِفت هي «شهربانو» بنت يزدجرد الثالث آخر ملوك إيران مِن سلسلة الساسانيّين.

تمتدُّ شهرة «شهربانو» إلىٰ ألف ومئة سنة، وهي مِن القُوَّة حتّى إنّ أَحَد كتّاب التراجم المعاصرين[٨] كتب: أنه كانت مشيئة الربّ أن تُرَبّىٰ هذه السيدة بين ناس مشركين، وتبقىٰ بمعزل عن الكفر والإلحاد مثلما حفظت الإرادة الإلهية محمداً من الشرك والكفر»[٩]

وكون «شهربانو» بنت يزدجرد أُمَّ الإمام الرابع مُسَلَّمٌ بِهِ تَسليماً، بل بديهي في نظر العامَّة، حتّىٰ لو أَنّ أَحداً شَكَّ فيه عُدَّ منكراً لِأَصل ثابتٍ وضروريّ من الضروريات، وجديراً باللعن في هذا العالم، وبجهنّم في العالم الخالد.

أَمّا إذا تغافَلُ مُحقق هذه الشهرة الضاربة في القِدم، وأَطَّرحَ حُسْنَ الثقةِ والاطمئنان المحض، ولم يقبل ما كتبه المحدِّثون ومُؤَرِّخو القرن الثالث بلا تلكؤ، ومضىٰ إلىٰ زمن أَسانيدهم، وعرض لتحقيقها بأسلوب علمّي، فوزن مضامينها بالقرائن الخارجيّة، فإِنَّهُ سيتّضح له أَنّ قِصَّةَ «شهربانو» مصداق صحيح للمثل العربي: «رُبَّ مشهورٍ لا أَصْل له».

أَجل، قصّة شهربانو جاءَ بها الأوهام والأساطير في البَدْء، ثمّ استتر الواقع الخارجي عن الأنظار بلباس الخيال، وعندئذ قبل كتاب التراجم والمؤرخون أقاويل المتقدمين دونما تحقيق، ولعلّهم لهذه العِلَّة لم يَرَوا القِصَّة عُرْضةً للنقد العلمي.

وكثير مِمَّن يُريدُون أن يكتبوا في شأن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أو يُحقّقوا في حوادثِ

---

٦- المناقب: ٤/١٧٥؛ والكشف: ٢/١٠٥.
٧- نسب قريش: ٥٨؛ والإرشاد: ٢/١٣٨.
٨- السيد عبدالرزاق المقرّم في كتابه (الإمام زين العابدين).
٩- الإمام زين العابدين: ١٠.

عصرِه لا يرونَ اليومَ ضرورة للتحقيقِ في هذا الأَمر.

ولا يجوّزون أَيضاً ألا يقبل أَحَدٌ هذه الشُّهْرةَ الضاربةَ في القدم. يظنّون أَنَّ منقصة سَتَأْخُذُ بأَذيال أُسرة الإمامة إذا لم تصحّ قِصّة شهربانو، أَو أَنَّ تَعَدَّياً كدِراً سَيلمّ بعظمتها.

كَتَبَ المؤلّف قبل ثلاثين عاماً إذ فتح مثل هذا البحث: أَنا لا أُصدِّقُ قصّة شهربانو، لأَنَّ الأَدلَّةَ الواردةَ فيها غير صحيحة.

والآنَ أيضاً أَقول: إذا كان أساس مثل هذِه الشهرة الضاربة في القدم قائماً علىٰ هذه الأَدلَّة المنظورة، فليس له قيمة علميَّة.

وإَن يجِد محقّقٌ دليلاً قاطعاً لا يقبل الشك، فعليه أَن يجعله في معرض قضاء المحققين.

وما يُؤسف عليهِ أَنَّ كلّ ما كتِبَ في شأن شهربانو حتّىٰ الآن أَصالةً أَو تَضْميناً قائمٌ علىٰ هذه الشهرة ما عدا شيئاً مِمَّا كتَبَهُ المُستَشرِقون.

ومن يريدون الاطّلاع علىٰ حياةِ الإمام الرابع فقط يقولون: علي بن الحسين عبد اصطفاه الله مثالاً أَعلىٰ للتربية الإسلامية، وهو أَفضل الهاشميين في زمانهِ وهو إَمامٌ أوجب الله طاعته سواء كانت أُمه شهربانو أو غزالة أَو سُلافة أو حِرار، وسواء كانت ملكةً أو أَمةً، إيرانية أَو سبيَّة كابُليَّة.

وكلُّ هذا لا أثر له فيما نُرِيْدُ من حياة هذا الإمام.

ومثل هذا النظر سليم لدىٰ هذه الفئة مِن قارئي الكتاب، لكن لا يمكنُ إنهاءُ البحث مِن الوجهة التاريخية بِهذا الإيجاز، بل تجب مقابلة الأدلّة وتحقيقها لعلّ الحقيقة تتضح، أو لعلَّ باباً ينفتح لتحقيق الآتيْن في الأَقل[1].

---

١- قبل ثلاثين عاماً تقريباً نشر الكاتب بحثاً عنوانه « بحث عن شهربانو» وغدا البحث محطّ اهتمام العلماء الإيرانيين والمستشرقين الأجانب، فنشرت سيِّدة من علماءِ الإنجليز مقالة في مجلّة مدرسة الألسنة الشرقية بلندن سنة ١٩٦٧م العدد ٣٠/٣٠ - ٤٤ ترجمها الدكتور حسن جوادي الأستاذ بجامعة طهران في مجلة الأبحاث التاريخيّة العدد ٣ و٤ السنة الثانية. وأساس مقالة هذه السيّدة في شأن شهربانو هو كتابتي عنها.

وإذا كان لمثل هذا البحثِ ضرورة، فيجب القول: يظهر أَنَّ اسم أُم الإمـام الرابـع في الوثائق المتقدّمة والقريبة من العصر الأَوَّل هو: شهربانو[١]، وشهـربانويه[٢]، و«شـاه زنان»[٣] وجهان شاه[٤] وشهرناز[٥] وجهان بانويه[٦] وخولة[٧] وبرّة[٨] وسلافة[٩] وغزالة[١٠] وسلامة[١١] وحرارة[١٢] ومريم[١٣] وفاطمة[١٤]

شهربانو هو أشهر الاسماءِ الأربعةَ عشَر التي ذكرت.

شهرة شهربانو بلغت أَن أُقيم لها مزار باسم السيَّدة شهربانو قرب مدينة الرّي في قلب الجبل.

يقول بُناةُ هذا المزار وزائروه: هذه السيَّدة ركبت جواد الحسين ذا الجناح بعد حـادثة

---

وقبل سنةٍ أو سنتين انتشرت سلسلة مقالات في شأن شهربانو هي تقريباً ما جاء في مقالة « بحث عن شهربانو» مع أدلة أخرىٰ، ومن الجملة ترجمة السيّد ذبيح الله منصوري لقصة «كورت فريشلر» التخيُّليّة!

١- كشف الغمَّة: ٢/١٠٥.

٢- الإرشاد ٢/١٣٨؛ والمناقب ٤/١٧٦؛ وإعلام الورىٰ ٢٥٦.

٣- الإرشاد: ٢/١٣٨؛ والكشف: ٢/٧٤؛ والمناقب: ٤/١٧٦؛ والإعلام: ٢٥٧؛ وعَرّف المجلسي في رواية من دروسه «شاه زنان أنّها بنت شيرويه (البحار: ١٤/٤٦).

٤- أصول الكافي: ١/٤٦٧؛ الخرائج بنقل البحار: ٤٦/١١.

٥- مجمل التواريخ والقصص: ٤٥٦.

٦- المناقب: ٤/١٧٦.

٧- كشف الغمّة: ٢/١٠٥؛ المناقب: ٤/١٧٦.

٨- المناقب: ٤/ ١٧٦؛ الكشف: ٢/١٠٥.

٩- المعارف: ٢١٤؛ عيون الأخبار: ٤/٨؛ المناقب: ٤/١٧٦؛ أنساب الأشراف: ١٠٢،١٤٦؛ وفيات الأعيان: ٢/٤٢٩؛ مرآة الجنان: ١/١٩٠.

١٠- طبقات ابن سعد: ٥/١٥٦؛ الكشف: ٢/٧٢؛ صفة الصفوة: ٢/٥٢؛ المعارف: ٢١٤؛ تاريخ اليعقوبي: ١/٢١٩.

١١- أصول الكافي: ١/٤٦٦؛ الكشف: ٢/١٠١.

١٢- تاريخ اليعقوبي: ١/٢١٩، وكتب أنّ أن الحسين - عليه السلام - غيّر اسمها إلىٰ غزالة.

١٣- المناقب: ٤/١٧٦ وكتب أنّ أمير المؤمنين - عليه السلام - سمّاها هذا الاسم.

١٤- نفسه.

كربلاء وشهادته، وأنطلقتْ به إلىٰ إيران، فوصلت هذا الجبل، قرب الرَّي وكان العدوُّ في عقبها.

أرادت شهربانو أن تقول: يا هُوَ خُذني، فقالت: ياكُوْه[١] خذني. فانشقّ الجبلُ، وضَّمها في قَلْبِه.

أبوها يزدجرد آخر الملوك الساسانيِّين.

كتبوا أنّه نُوْشجان من أهل خراسان[٢] وشيرويه[٣] بن پرويز وأشهر أسمائه يزدجرد.

لكن لماذا جاءت شهربانو التي قالوا: كانت حاضرة في كربلاء إلىٰ ايران؟

وإذا كانت ذهبت من العراق إلىٰ الحجاز، فلماذا هاجرت من هناك إلىٰ إيران؟

ومِن أجل ماذا طوت هذه الطرق الطوال حتّىٰ تصل هذه الأرض والعدوُّ يتعقبها؟

وتطلب العون من «هو» فيجري علىٰ لسانها «جبل» خطأ، وينفرج الجبل، ويخفيها في بطنه.

قصّه يجب أن يُجيب عنها صُناع الأُسطورة، أو أن يُوضِحُوها في الأَقل.

وإن يُرد مُتتبعٌ ذو علاقة أن يطلع علىٰ هذه القصَّةِ و حقيقتها، يحسن به الرجوع إلىٰ ذاك العدد من مجلّة الأبحاث التاريخية.

إلّا أنَّ اسم شهربانو بنت يزدجرد الساساني لم يَرد إلّا في كتب الزيارات والقصص التي يكتبونها لاجتذاب القارئين.

وهذا الاسم - علىٰ ما كتبنا - له شهرة ألفٍ ومئة عام، لا بين الناس وحدهم، بل في كتب التراجم والرجال والتاريخ، وكتابات عظماء ومشهورين في عالم التشيُّع.

والآن يجب - والحال هذه - النظر علىٰ وفق هذه المصادر كيف ذهبت بنت يزدجرد آخر

---

١- كوه معناها الجبل.

٢- المناقب: ٢/١٧٦؛ كشف الغمة: ٤/١٠٥.

٣- المناقب: ٤/١٧٦.

ملوك إيران قبل الإسلام من إيران إلىٰ الحجاز والمدينة، وتزوّجت سيّد الشهداء الحسين بن علي - عليهما السلام -؟

وهل المصادر التي وردت فيها هذه القصّة جديرة بالاعتماد عليها، أو لا؟

وهل إذا كتبها محدّث ثقة يجب أن نقبلها كاملة؟

أَو تجب رعاية أسلوب محقق العصر في نقد القصص العلمي؟

ويقيناً أَنّ الصورة الثانية هي التي ستكون مورد قبول الجميع، لأن ما يبحث فيها هو حادثة تاريخية لا حكم إلزاميّ.

أقدم مصدر - علىٰ حدّ بحث الكاتب - هو الذي يقول: أُسِرَتْ شهربانو في حَرْب المسلمين والإيرانيين، وَ أَخذوها إلىٰ عمر بالمدينة.

قال في كتاب «بصائر الدرجات» تأليف محمد بن حسن الصفّار القميّ المتوفّىٰ سنة ٢٩٠ هـ: أَخذوا بنت يزدجرد أسيرة إلىٰ عمر[١]، و لأنّ طريقه في نقل الرواية طريق الكليني ونقل عن عمرو بن شمر، وروايته هو والكليني واحدة لا تُذْكرُ عبارة «بصائر الدرجات».

وبعده كتاب «أصول الكافي» تأليف ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني[٢] الذي روىٰ عن طريق عمر بن شمر عن جابر بن عبدالله: عندما أَتوا عُمر بابنة يزدجرد اجتمعت أوانس المدينة للنظر إليها، وإذ وردت المسجد أَضاءَ بها، وحينا نظر إليها عمر ستّرتْ نفسها، وقالت: «اف بير وچ باد هرمز = اف بير وچ باد هرمز».[٣]

فقال عمر: تشتمني.

وأراد قتلها، فقال له أمير المؤمنين: «لا حقّ لك بمثل هذا، دَعْها لتختار الزواج بِمُسلم، واجعلها سهم ذاك المسلم من الفيْء».[٤]

---

١- نقلاً عن البحار: ٩/٤٦، وأنا شاكر لحضرة السيد الشبيري - مُدَّ ظلّه-.

٢- جاء اسم شهربانو بنت يزدجرد في كتاب «الفرق والمقالات» للنوبختي، و«فرق الشيعة» لسعد بن عبدالله الأشعري، لكن ليس بالتفصيل الذى في الكافي.

٣- تعني: لماذا يجب أنْ يلعن هرمز.

٤- الفيء: هو الفائدة التي يقبضها المسلمون من الغنام، ثم أَعطوه معنىً آخر في طول التاريخ.

فترك عُمر الفتاة حرَّة، فجاءت ووضعت يدها علىٰ رأس الحسين عليه السلام، فسألها أمير المؤمنين: ما آسمك؟

قالت: جهان شاه.[١]

قال الإمام: لا، شهربانو.

ثم قال للحسين: يا أباعبد الله، ستلد لك خير من علىٰ الأرض.[٢]

لكن هذا الحديث بهذا السند والمتن غير جدير بالقبول، أو يمكن التردُّدُ في قبوله في الأقلّ، أو أنّ القرائن الخارجية – علىٰ ماسنكتب – لا تُوافِقُه.

لِننظر أوّلاً في سند الحديث، فراويه هو عمربن شمر الذي عدَّه النجاشي وابن الغضائري ضَعيفاً، وصرِّح صاحبُ مرآة العقول والوجيزة بضعفه[٣].

والحديث من ناحية المتن محطُّ نظرٍ أيضا.

فلننظر في هذه العبارة:«وإذ وَرَدَتِ المسجد أَضاء بها».

فيجب السؤال: لم أَضاءَ المسجد؟

أَوَ أَشعلوا فيه مشعلا؟

أو شمس أو قمر؟

وليس المقام مقام استعمال المجاز لنقول: هذه العبارة كذلك، فيقولوا: أَنرتِ مجلسنا بجمالك.

هذا النوع من التعابير خاصّ بالعبارت المصنوعة لا الرواية.

ولايقصد الإمام الصادق عليه السلام ابتداع العبارة و إنشاء المدح.

لهذا فسَّر المجلسى العبارة عندما واجه مثل هذه الغرابة في لفظ الحديث: إضاءة المجلس

---

١- السيد عبدالرزاق المقرم في كتابه (علي بن الحسين) ذكر أنّه رُبّما حوّل أمير المؤمنين (شاه زنان) إلىٰ شهربانو لئلا تُشارك هذه المرأة فاطمة الزهراء اللقب، ص ١٤. وجاء في دائرة معارف المرحوم مصاحب: «قيل أن سلمان الفارسي كان مترجم الطرفين» ولا يعلم ما هو مستند هذا الرأي!

٢- اصول الكافي: ١/٤٦٧.

٣- تنقيح المقال: ٢/٢٣٢.

بها تعني سرورهم برؤيتها.[١]

لكنّ هذا التفسير مخالف لظاهر الكلمة. فضلاً عن رواية الكافي وبصائر الدرجات جاءت الجملة في رواية الخرائج عن جابر بهذه الصورة: «أشرق المجلس بضوء وجهها».[٢]

وفي ذيل هذه الرواية بنقل جابر نرىٰ أنَّ عُمَر وضعها في المزايدة، فقال عليعليه السلام: بنات الملوك مهما كفرن لا يمكن بيعهن، دعها مختارة، لتختار أحدا.

هكذا فعل عُمر، ومضت الفتاة إلىٰ الحسين بن عليعليه السلام ووضعتْ يَدَها علىٰ كتفه.

وهذا الحديث – طبعاً بالفارسية الدَّريَّة – جرىٰ بينهم: ما اسمُك يا جُويرية؟

– جهان شاه.[٣]

– لا، شهربانو.

– تلك كانت أختي.

– صدقتِ.[٤]

فقرة أُخرىٰ مِن الحديث جديرة بالتأمُل أيضا، هي «بنات الملوك مهما كفرن لايُمكن بيعُهنّ».

مِن أَين نالت بناتُ الملوك هذا الامتياز؟

هل شُرِّع مثل هذا الحكم في زمن رسول الله؟

أَو يَدُلُّ عليه عمومُ رواية عن الرسول أَو ظاهرٌ لفظي من القرآن؟

والجمله الأُخرىٰ التي تبينُ أَنَّ الحديث مصنوع هي أَنَّ شهربانو قالت:«ابيروج باد هرمز» أي لماذا يجبُ أن يلعنَ هرمز؟[٥]

---

١– البحار: ٤٦/٩.

٢– نفسه: ٤٦/١٠

٣– أي: ملكة العالم (المترجم).

٤– البحار: ٤٦/١١

٥ـ نبّه السيد الشبيري–مدّ ظله العالي– إلىٰ أنّ المذكور في النسخة الخطية لكتاب بصائر الدرجات

فهو الذي أهان كتاب الرسول إليه [بتمزيقه إياه].

وإن تكن القصّة علىٰ هذه الصورة التي كتبوها، وهي أن خسرو پرويز بن هرمز.

وإذا كانت فتاة وردت المسجد، وكانت تلك الفتاة شهربانو بنت يزدجرد، فهذا القدر مسلم أنّها تعرف أباها وجَدَّها، وأنها كانت مُطَّلعة علىٰ سيرتهما جيّداً.

في ذيل الرواية نقرأ أيضاً أنهم كانوا يدعون عليّ بن الحسن ابن الخيرتين، لأنه مختارُ الله من عرب هاشم وعجم فارس.

هذه الفقرة تُرىٰ مُنوَّعةً في الحديث، فهو: «لله - تعالىٰ - من عباده خَيرتان، فخيرته من العرب قريش، ومِن العجم فارس».

وهو أيضاً: «إنّ لله مِن عباده خيرتين، فخيرتُه من العرب قريش، ومن العجم فارس».

وجاءَ كذلك: إنَّ الله خيَّر مِن خلقه صنفين: من العرب قريشاً، ومن العجم فارساً.

وجاء في بعض الروايات قريش بدلاً من هاشم، والظاهر أن تحويل كلمة قريش إلىٰ بني هاشم كان بعد سقوط الأمويينَ ومجيء العباسيين إلىٰ الحكم.

هذه الرواية بأي مضمون كان مخالفة لظاهر القرآن الكريم وروح الشريعة الإسلامية، فمعيار الكرامة التقوىٰ لا الأصل.

وعلىٰ ما سوف تقرءون في موضع آخر من هذا الكتاب يلوم عبدالملك بن مروان الإمام علي بن الحسين أن تَزَوَّج خادماً، فيكتب في جوابه: إنّ اللهُ رفع بالاسلام الخسيسة، وأتمّ به النقيصة».(١)

---

الموجود في مكتبة آية الله المرعشي [النجفي في قم] هو (اهرمن) بدلاً عن هرمز. وأظنّ أنّ كلمة هرمز حوّرت إلىٰ (اهرمن). وعلىٰ أية حال لمّا كانت واقعية أصل القصة غير صحيحة من جهات عديدة أخرىٰ فإنّ وجود(اهرمن) بدلاً عن هرمز لا يحل المشكلة.

١- العقد الفريد: ٦/١٢٨.م

كيف يمكن القول في مثل هذه الشريعة: قُريش عُموماً أَفضل مِن القبائل الأخرىٰ؟

وكيف يكون أبو سفيان ومعاوية ويزيد وسُهيلُ بن عمرو أَكرم عند الله من قيس بن سعد بن عبادة وأَبي أيوب الأنصاري وسلمان الفارسي ومئاتٍ آخرينَ مِنَ المسلمين الحقيقيين؟ بل كيف يمكن القول: كلّ بني هاشم بن عبد مناف أَعَزُّ عند الله من الناس الآخرين؟ وكيف تكون منزلة أبي لهب عبد العزىٰ وأولاده والعباس بن عبدالمطلب وزيد النار وجعفر الكذّاب أَعلى من منزلة محمد بن يعقوب الكليني ومحمد بن الحسن الطوسي والمفيد والشيخ الأنصاريّ والآخرين؟

تلك الرواية التي نقلت عن أحمد بن إسحاق الأشعريّ القمّي وأَنَّ الإمام العسكريّ لامَهُ علىٰ عدم احترامه الحسين بن الحسن ومخالفته لحق الهاشميين علىٰ غير الهاشميين ليس معناها أَنّه مهما فعل الحسينُ، فهو عزيز عند الله، والله لا يؤاخذه، لأنّه مِنَ سُلالة هاشم.

نرىٰ في البحار رواية أُخرىٰ بنقل محمد بن جرير بن رستم الطبري، واتّخذت القصة في هذه الرواية لوناً آخَرَ بتعظيم وتفخيم زائدَين: يُريد عمر أن يبيع النساءَ، فيمنعه أمير المؤمنين عليه السلام ويقول له: سمعت من الرسول أَنْ أكرموا أعِزَّةَ القوم مهما كانوا مخالفين لكم.

والقصة - علىٰ ما نرىٰ هنا - ليست قصّة شهربانو وحدها، وإنّما قصّة كلّ النساءِ الإيرانيات الأسيرات.

ثمّ قال الإمام علي عليه السلام: جُدتُ بسهمي مِن هؤلاء الأَسرىٰ.

فقال بنو هاشم: ونحن أيضاً جُدنا بِسهمنا.

وقال المهاجرون والأنصار: ونحن أيضاً جُدنا بسهمنا.

ويصرخ عمر في وجه عليّ أَنْ لماذا تخالفني من أجل العجم؟[1]

مضمون الرويات مَعَ كلِّ آمتداد اليد إليه مدهش وغير مقبول حتىٰ إنَّ المحدَّثين والنسَّابين قدحوهُ وأَنكرُوه.

---

١- البحار: ٤٦/١٥.

للسيِّد أحمد بن علي الداوودي مؤلف كتاب «عمدة الطالب في أنساب أَبي طالب» نظر جذّاب في هذا الشأن ليس عديم الجدوىٰ لإكمال هذا القسم من البحث ومعرفة أسلوب المباحث القديمة، فهو يقول: لقد أغنىٰ الله علي بن الحسين ببنوته للنبي عن بنوته للملوك المجوس، ولا سيما عن بنت لم تولد علىٰ سنة الإسلام. ولو أنّ الملوكية كانت سبباً بفخر والشرف لكان العجم أفضل من العرب ولكان القحطانيون[١] أفضل من العدنانيين.

جماعة من العوامّ وفئة من الحسينيين فخروا بأَنّ الحسينيين قد جمعوا النبَّوة والملك في أَنفسهم.

وهذا كلام لا أساسَ له، ففاطمةُ بنت الحسين بن عليّ عليه السلام أُمّ أَولاد الحسن المثنىٰ ابن الإمام الحسن أيضاً، وعلىٰ ما يقولون أُمُّها أمّ علي بن الحسين[٢].

فإذا كانت الولادة من كسرىٰ فضيلةً، فبنو الحسن أولو فضيلة أيضاً، وللحسن بن علي علىٰ أخيه الإمام الحسين وجوب الطاعة أيضاً، وهذه فضيلة يستطيع أبناء الحسن أن يعلوا بها علىٰ الحُسينيين.[٣]

المشكلة الأخرىٰ التي سنواجِهُها في حال قبول هذه الرواية هي أَيّ سنةٍ أُسرَتْ شهربانو وأين؟

إذا كانت من أسرىٰ خراسان، فخراسان فتحت في عهد عثمان لا في خلافة عمر.

ففي النتيجة سيكون جلب شهربانو إلىٰ مسجد المدينة ومحادثتها لِعُمر غير صحيحين.

وإذا كانت في خلافة عمر، فأسرُها في واحدة من معارك القادسية أو المدائن أو نهاوند،

---

١- القحطانيون هم العرب الذين سكنوا جنوب شبه الجزيرة العربية حيث كانت ممالك المعينيين وسبأ والحميريين، في حين أنّ العرب العدنانيين (الشماليين) كانوا بداة.

٢- هذا القول لا أساس له، فأمّ فاطمة هي أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله علىٰ ما كتب أصحاب السير والنسّابون عامّة.

٣- عمدة الطالب: ١٥٩-١٦٠.

والقصة في هذه الحال غير مقبولة من ناحيتين.

أَوّلاً: أن المؤرخين فصّلوا قصّة حركة يزدجرد وانسحابه من نقطة إلىٰ نقطة أُخرىٰ عند شرح حروب العرب وايران، وعلىٰ وفق تقاريرهم لم يكن يـزدجرد وأُسْرتـه في مـيدان القتال في وقتٍ ما.

عندما بدأت حرب القادسية كان يزدجرد في المدائن، وذهب إلىٰ حُلوان قبل أن يصل المسلمون إلىٰ المدائن، ثمّ مِن حلوان إلىٰ قم وكاشان، ومن هناك إلىٰ أصفهان وكرمان ومرو. ولم يستصحب يزدجرد نساءَهُ وذويه وخزانته فقط في هذا الانسحاب، بل طهاته ومؤنسيه وكلّابيه[1]، فمتىٰ وقعت ابنته في أسر المسلمين وأين وكيف؟

ثانياً: وُلِدَ الإمام عليّ بن الحسين - بناءً علىٰ المشهور - في سنة سبع وثلاثين للهجرة، ورأيي أنَّ ولادته في سنة ست وأربعين، أو سبع وأربعين للهجرة.

عمر - علىٰ ما نعلم - قُتِل في سنة ثلاث وعشرين للهجرة.

لنقل فرضاً: إنهم جلبوا شهربانو إلىٰ عمر في أُخريات أَيامه، فمن تلك السـنة الثـالثة والعشرين حتىٰ السابعة والثلاثين التي هي سنة ولادة الإمام علي بن الحسـين عليه السلام مـضىٰ أربعة عشر عاماً. كيف بقيت شهربانو غير والدةٍ طوال هذه المدّة؟ ومع أَنّ هـذه الحـال ليست مستحيلةً، إلاّ أَنها تبدو بعيدة.

استبعد المجلسي هذين الاثنين، وأشار إليهما.[2]

وعلىٰ أَوَّل سند عن شهربانو ومشكلتها ترد مثل هذه المآخذ، ويقبل النقاش علىٰ مـا نرىٰ لا من جهة، بل من عدة جهات.

فيمكن القول: مثل هذا الحديث غيرُ مقبول.

---

١- فتوح البلدان: ٣٢٢، وانظر تجارب الأُمم المصوّر: ١/٣٨٨.
٢- البحار: ٤٦/١٠.

صحيح أَنّ هذا الحديث روي عن محدِّث كبير مثل الكليني، وكتب في كتاب معروف مثل الكافي،لكن تعلمون أنّه جمعَ أَحاديثَ في الكتاب الشريف (الكافي) ليست كلُّها في درجةٍ واحدةٍ من الكمال والصحة.

ومن تلك الحادثة إلىٰ عصر الكليني مضىٰ خمسون ومئتا عام أو أكثر منها، واللهُ يعلم كم وضع فيها أتباع النِّحَلِ المختلفة من أحاديث مصنوعة، وكم بَدَّلوا من الروايات!

جمع الكليني كثيراً من تلك الأحاديث التي كان يعرفها، ويعلم أَنّ رواتها صادقون وجديرون بالاعتماد عليهم، ولأنّ معيار قبول الحديث عند أولئك كان اعتبار الرواي أو وثاقته لم يَرعوا جهات أُخرىٰ.

لكن لا يجب البعد عن الالتفات إلىٰ أنّ مَن يصنع حديثاً، ويضعُه علىٰ الألسنة يسعىٰ أَن يعرّف قائله فرداً أَو جماعة لئلاّ يُشار إليهم.

قصّة تلك الأحاديث كُلِّها التي أَدخلها المخالفون والمعاندون في دفاتر أَصحاب الائمة عليهم السلام وصنع الأحاديث صار موجباً لتنبُّه الأصحاب ودقتهم في ضبط الحديث.

سمعتم وتعلمون أَنّ الإمام عليه السلام لعن المغيرة بن سعيد الذي دسَّ في كتب أَصحاب أبيه الروايات التي لم يَقُلها[1].

هذه الروايات دليل علىٰ الجعل والتخليط، فإذا نُقل حديثٌ في كتاب الكافي لا نقبله، أو نتردَّد في قبوله، فلن يحط غبار علىٰ وثاقة الكليني وعظمة كتابه، لأنّ ذلك العظيم بذل الجهد المستطاع في عصره.

والظاهر أَنّه بسبب عدم التناسب الزماني والمكاني هذا ذهبت عدة أُخرىٰ من المؤرخين إلىٰ أَنَّ أسر بنت يزدجرد في عهد عثمان بن عفّان، فالشيخ الصدوق نقل في عيون أخبار الرضا عن سهل بن قاسم النو شجاني ما صورتهُ: نحن وأَنتم أقارب.

---

١- سفينة البحار: ٢/٢٢٨.

قلت: أيُها الأمير، من أين هذه القرابة؟

قال: عندما فتح عبد الله بن عامر بن كُرَيز خراسان أَصاب آبنتي يزدجرد، وأَرسلهما إلىٰ عثمان بن عفّان، فوهب عثمان إحداهما للحسين عليه السلام والأُخرىٰ للحسن عليه السلام، وكلتاهما ماتتا في الوضع. وتعهدت تربية عليّ بن الحسين إحدىٰ جواري أبيه، لكنّ عليّ بن الحسين كان يراها أُمّه، وَلّما علَم أنّها ليست أُمّه، وَأَنها خادمُه زَوّجها، وظنّ الناس أَنَّ عليّ بن الحسين زوّج أُمّه.

يقول سهل بن قاسم ما بقي أَحد مِن آل أبي طالب إلّا وكتب هذا الحديث من لساني[1].

يظنّ أنّ قصة شهربانو ظهرت علىٰ أساس هذا النقل وذهاب ابن عامر إلىٰ خراسان.

كتب الطبري في حوادث سنة اثنتين وثلاثين: صالح عبدالله بن عامر بن كُريز أهل أبرشهر - لم يحارب - وأعطوه اثنتين من أسرة كسرىٰ اسماها بابونج وطهمينج -بابونه و تهمينه -.

وفي رواية أُخرىٰ عن الصلت بن دينار كتب: أرسل ابن عامر عبدَالله بن حازم إلىٰ سرخس، فنال فتاتين من أُسرة كسرىٰ إحداهما أعطاها نوشجان، والأخرىٰ التي اسمها بابونه ماتت[2].

علىٰ ما نرىٰ جاءَ في قصة سهل بن قاسم أَنَّ عثمان أَعطىٰ إحدىٰ ابنتي يزدجرد الحسن عليه السلام، ويظهر أَنَّ مُنافسة الحسنيين للحسينيين هي الباعث علىٰ ظهور مثل هذه الرواية.

ويجب النظر لِمَ لَمْ ينقل مُؤلف عمدة الطالب هذا الحديث؟ فيعلم أنه لا مجال للشكوىٰ

---

١- عيون أخبار الرضا: ٢/١٢٦-١٢٧؛ وعبارة المناقب: ٤/١٦٢ "تزوَّج بأمّه".

٢- تاريخ الطبرى: ٥/٢٨٨٧؛ وراجع مروج الذهب: ١/١٧٧؛ و«ايران در زمان ساسانيان (=ايران في عهد الساسانيين)»: ٣٦٢. ويجب الانتباه إلىٰ أنّ الاسماء التي ذكرها المؤرخون لبنات يزدجرد هي: ادرك، وشاهين (شهين)، ومرداوند، وليس هناك أي ذكر في هذه الوثائق التاريخية لأسرهنّ.

والحسرة فالحسنيون والحسينيون كلُّهم أُولي مفاخرةٍ بمصاهرة أسرة يزدجرد!

القسم الأخير من رواية سهل بن قاسم الذي هو «كان علي بن الحسين يرىٰ مُرَبِّيته أُمَّه، ولمّا علم أنّها ليست أُمَّه زَوَّجها» جدير بالنظر والدِّقة.

متخيّل آخر ماكان يريد أن يكون الافتخار بمصاهرة أُسرة ملك إيران نصيب أَبناءِ عليّ وحدهم حوَّر القصّة، وجاءَ بها علىٰ هذا النحو:

لا تعبأ قريش بمن تلدُهم الجواري حتىٰ وُلِدَ ثلاثة نفر هم خيرُ أَهل زمانهم، وهم علي بن الحسين، وقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبدالله بن عمر، وقصّتهم أَنّ بنات يزجرد الثلاث أُسِرْن في خلافة عمر، وأراد عمر بيعهُنّ، فقال علي عليه السلام: بنات الملوك لا يُبَعْن.

ثمّ دَفع ثمنهنَّ، وقسمهنَّ بين الحسين بن علي ومحمد بن أبي بكر وعبدالله بن عمر، فولَدْن أولئك الثلاثة نفر.(١)

كتبنا في شأن يزدجرد، وعدم حضور أُسرته في ميادين القتال، وعدم إمكان أسر آبنته في عهد عمر، واتضح أنَّ هذا الكلام لا أساس له، ولا يحتاج بطلانُه إلىٰ مزيد توضيح.

لكن نرىٰ في الإرشاد رواية هذا مضمونُها: أَنَّ عليّاً عليه السلام أرسل حريث بن جابر إلىٰ حكومة قسم من الشرق؛ فأَسر حريث آبنتي يزدجرد، وبعث بهما إلىٰ علي عليه السلام، فأعطىٰ علي عليه السلام الحسين إحداهما التي اسمها «شاه زنان»، فَوُلِدَ له منها زين العابدين. وأعطىٰ محمد بن أَبي بكر الأُخرىٰ، فَوُلد له القاسم.(٢)

بِهذَه الرواية زالت مشكلة الزمان التي في رواية الكافي، وزال استبعادُ فاصل الزواج وولادة الإمام عليه السلام إلاّ أَنّ هذه الرواية لا تبدو صحيحة أيضاً، لأن اسم حريث بن جابر لا يُرىٰ في عداد العاملين لعليّ عليه السلام، واليعقوبي ذكر أَنّ علياً بعث بعد فراغه من حرب الجمل

---

١- ربيع الأبرار: مخطوطة المكتبة الوطنية في طهران: ١١٢-١١٣.

٢- الإرشاد: ٢/١٣٨؛ إعلام الورىٰ: ٢٥٦؛ وانظر: كشف الغمة: ٢/٩١-٩٢؛ روضة الواعظين: ٢٠١.

جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي لحكم خراسان، فذهب إليه ماهويه حاكم مَرْو، وكتبَ له جعدة رسالة، وأَنجز شروطه، وقال له: أَن يبعث ما بعهدته من خراج، فبعث إليه ماهويه مالاً مُساوياً لما في عهدته.

وعلىٰ ما نرى في كتابة اليعقوبي لا علامة لأسر أَحد، فكيف بابنة يزدجرد؟

لكنّ الطبري وابن الأثير كتبا: لما وصل جعدة إلىٰ أبرشهر، وكان أَهلها كافرين، فلم يقبلوا جعدة، فعادَ إلىٰ عليعليه السلام فأرسل خليد بن قرة اليربوعي بدلاً منه، فحاصر خليد أهل نَيسابور، حتّىٰ صالحوه.

كتب البلاذري: جاءَ ماهوية حاكم مَرْو في خلافة علي بن أبي طالب إليه في الكوفة.

كتب عليّ له أَمراً أَنْ يَدْفع إليه الفلاحون والفرسانُ والأُمراءُ العشرةُ الجزية، لكنّ الخراسانيين لم يقبلوا، فبعث عليّ جعدة بن هبيرة المخزومي إلىٰ هناك، لكنه لم يفعل شيئاً، وبقيت خراسان مضطربة، حتىٰ قُتل عليّعليه السلام.

يقول أبو عبيدة: أوّل عامل علىٰ خراسان عبدالرحمن بن ابزي مولىٰ خزاعة، ثم كان جعدة بن هبيرة بن أبي وهب. ولم يعرض جعدة لأولئك الذين أعرضوا عن الطاعة، وأَخذ خراج من كانوا في المصالحة، وكان في خراسان سنة أو قريب السنة.(١)

وليس في هذا السند - على ما نرىٰ - إشارةٌ إلىٰ أَسر بنت يزدجرد بيد جعدة، ولا يُعلمُ أَيضاً هل وصل جعدة إلىٰ مَرْو، أَو أتمّ مأموريته في نيسابور؟.

أَمّا الطبري، فيكتب في حوادث سنة سبع وثلاثين:

بعدما رجع علي بن أَبي طالبعليه السلام من صفّين بعث جعدةَ بنَ هُبيرةَ إلىٰ خُراسان، وإذ وصل إلىٰ مدينة أبرشهر، وكان أَهلها قد كفَروا، فلم يقبلوه، فعادَ إلىٰ علي عليه السلام فبعث خليد بن مُرَّة اليربوعي إلىٰ هناك، فحاصر نيسابور مدَّة، حتّىٰ كتبوا إليه رسالة مصالحة.

---

١- فتوح البلدان: ٥٠٥.

وصالحه أهل مَرْو أَيضا، وأَصابَ جاريتين من بناتِ الملوك نزلتا بأمان، فبعث بهما إلىٰ عليّ، فعرض عليهما الإسلام، وأَنْ يُزَوِّجهُما، فقالتا: زوِّجنا آبنيْك.

فأَبىٰ، فقال أَحدُ الدَّهاقين: ادفَعْهما إلي، فإنَّه كرامة تُكرِمني بها.

فدفعهما إليه، فكانتا عندهُ يفرشُ لهما الديباج، ويطعمهما في آنية الذهب، ثمَّ رجعتا إلىٰ خراسان.

أَمّا حريث بن جابر الحنفي، فالظاهر أَنَّهُ لم يُنْصَبْ يَوْماً لحكم خراسان من قِبَل عليّ عليه السلام. وكان مع علي عليه السلام في حرب صفين، ويقولون: هو الذي قتل عُبيد الله بنَ عُمر.

وبعد شهادة علي عليه السلام حكم همدان لزياد.

وَكتب مُعاوية إلىٰ زياد: اعزل حريث بن جابر عن عمله، فما ذكرتُ مواقفه في صفين، إلّا كانت حزازة في صدري[1].

إذن لم يذهب حريث لحكم خراسان، وإذا آختير لذلك، فإنّه لم يجد مجالاً للذهاب إلىٰ تلك الولاية.

ويبدو أنّ وضّاعي هذه الرّواية واجهوا قصّة أسر بنات يزدجرد بيد عبدالله بن عامر بن كريز، فعوّضوه بحريث بن جابر، فما كانوا يريدون أن تؤسر آبنة ملك إيرانيّ بيد أميرٍ عربيّ وعاملٍ أمويّ، فجعلوا أسرها بيد عامل أمير المؤمنين علي عليه السلام - حفظاً لكرامتها.

والوارد في المصادر أنّ من لهم صلة بالأسرة المالكة في إيران هم بنو هاشم وقبيلتا تيم وعدي، أي: أبناء أبي بكر وعمر.

ولم تنحصر صلة العرب بملوك إيران بأسرة النبيّ - صلّىٰ اللّه عليه وآله - وأبي بكر وعمر، فالقصّاص اختلق بمرور الزمان رواية أخرىٰ عرضها ابن خلكان في ترجمة علي بن الحسين بهذه الصورة:

---

- نهج البلاغة: ٥/٢٤١، و١٦/١٩٧؛ وقاموس الرجال: ٣/١٠٧.

وأمّه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، وهي عمّة أمّ يزيد بن الوليد الأموي المعروف بالناقص.

وكان قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان لمّا تتبّع دولة الفرس، وقتل فيروز بن يزدجرد المذكور بعث بابنتيه إلىٰ الحجّاج بن يوسف الثقفيّ، وكان يومئذٍ أمير العراق وخراسان، وقتيبة نائبه بخراسان.

فأمسك الحجاج إحدىٰ البنتين لنفسه، وأرسل الأخرىٰ إلىٰ الوليد بن عبدالملك، فأولدها يزيد الناقص، وأسماها "شاه فريد"».

تشاهدون كيف تؤلّف قصّة علىٰ أساس قصّة أخرىٰ.

وعلىٰ ما حظيت روايات زواج شهربانو بالحسين بن عليّ -عليه السلام- لم يُرد محبّو القبيلتين البارزتين تيم وعدي انفراد بني هاشم بفخر الزواج بالأسرة الملكيّة الإيرانية، فزوجوا بنتاً ليزدجرد بابن أبي بكر، وزوجوا بنتاً أخرىٰ له بابن عمر.

وعندما وصل الحكم إلىٰ الأمويين لم يشأ محبّوهم أن يروهم بلا نصيب من هذه الهبة الإلاهيّة، ومن هنا اخترعوا بنتاً أخرىٰ ليزدجرد، وبعثوها إلىٰ منزل ابن الخليفة الأموي.

وغير خافٍ أنّ المؤلف لا يريد أن ينتقص حرمة الأسرة الإيرانية أو الهاشميّة أو القرشيّة، ويزيد القطيعة.

لا، ليس له هذه النيّة، وما أعطوه مثل هذا الحقّ أو هذه الصلاحيّة.

وكان الأحسن ألا أطيل الحديث إلىٰهذا الحدّ، لكنّني لم أستطع أن أقبل ما كتبه المتقدّمون دونما تحقيق.

وآمُل أن يقدّم المحققون الذين يقرءون هذه الكتابة ما يتسنّىٰ لهم من دليلٍ يخالف هذه الشهرة أو يوافقها، لتستنير زاوية من التاريخ للباحثين عن الحقيقة.

ويجب أن نعلم أنه لا يكفي أن نقول: من هي أمّ علي بن الحسين إذا كانت قصة شهربانو بلا أساس؟ وحيث لم يُعرف ولم يَشتهر أحد غيرها فلا بدّ من الذهاب إلىٰ أنها شهربانو!

ولكنّ الذّهاب إلىٰ أنّها شهربانو اعتماداً علىٰ شهرتها وعدم معرفة غيرها لا قيمة له

علمّياً.

فضلاً عن هذه الاستنتاجات التاريخيَّة، لدينا سند آخر يُبيِّن أَنّه حتّىٰ بداية القرن الثاني الهجري لم تُعرَف شهربانو أو أميرة إيرانية في الأسرة الهاشمية.

هذا السند هو أَنَّ أَبا جعفر المنصور الدوانيقي كتب في جوابه لمحمد بن عبدالله بن الحسن النفس الزكية. محمد الذي دعا نفسه مهديّ هذه الأُمَّة، وادَّعى الإمامة والخلافة كتب رسالة إلىٰ المنصور عدَّ فيها فضائل أُسْرته، وختمها بدعوة المنصور إلىٰ طاعته. فكتب المنصور في جوابه رسالةً طويلةً متوعِّدَة يقول ضمنها: « وما وُلِد فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضل من علي بن الحسين، وهو لأُمِّ وَلد».(١)

كتابة (أُمّ ولد) تحقير وجّهه المنصور لمحمد بن عبدالله.

هذه الرسالة التي جاء بها الطبريّ في حوادث سنة خمسٍ وأربعين ومئةٍ كتبت بعد نصف قرن علىٰ رحلة الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

كان كثير من الهاشميين الذين هم في الطبقة الثانية بعد رسول الله أَحياءً.

ولو كانت قصّة أسر شهربانو وجلبها إلىٰ مسجد المدينة صحيحة، ولو كانت أُمُّ علي بن الحسين بنت يزدجرد ملك ايران، لما كتب المنصور مثل هذه العبارة.

ولو كتب المنصور كذباً، لقمع كلامهُ في فمه، وَلأَجابه بأنّ أُمّ علي بن الحسين أميرة لا أَمَة.

هذه الرسالة سند رسمي كُتبت قبل قرون من كتابة المصادر التي هي محط بَحْث.

مثلما كتبنا – على كل حال – قصص شهربانو علىٰ أساس مثل هذه الروايات المشبوهة:

وليس بعيداً أَنَّ المسلمين أَسروا جوارياً في فتح المدائن ونهاوند علىٰ ما روىٰ مجالد بن سعيد عن الشعبي: فى يوم المدائن أسر المسلمون عدة من جواري يزدجرد، ومنهنّ

---

١- الطبري: ٦/١٩٨.

أُمِّي[١].

هذه القصة أيضاً جديرة بالالتفات إليها نظراً لتاريخ ولادة الشعبي ووفاته.

وليس بعيداً أيضاً أَسرُ نساء في فتوح خراسان وشرق ايران، وغير بعيد أن تُدعىٰ إحدىٰ هؤلاء الجواري - على العادة المألوفة - نبيلة أو أميرة، وغير بعيد أن يتزوّج الإمام الحسين بن علي إحدىٰ هؤلاء الجواري، ووُلد له منها الإمام علي بن الحسين.

لكن إذا كانت هذه الحادثة قد حدثت، ففي خلافة عثمان بن عفان لا في خلافة عمر بن الخطاب، وتلك المرأة نبيلة ايرانية لا بنت يزدجرد ملك ايران، فعدد بنات يزدجرد معلوم، وظاهر عبارة المسعودي يدُلّ أنهُنّ عشن في مرو سنين وبقي لهنّ فيها ذُرِّية[٢].

في نهاية هذا البحث يلزم ذكر نُكتة أُخرىٰ، وهي أنَّه جاءَ في الكتاب الشريف «أصول الكافي» بعد كتابة الجملة المذكورة «فَخَيْرة الله من العرب هاشم»[٣] رَوَوا أَنّ أبا الأسود الدُّؤولي قال في هذا الشَّانِ:

وإنّ غُلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نِيطت عليه التَّمائمُ[٤]

من هو أَبو الأسود؟ أهو شخصيَّة حقيقية أم لا؟ لا علاقة لنا بهذا.

والإستشهاد نفسه بهذا البيت، وكون المقصود بالغلام الذي بين كسرىٰ و هاشم علي بن الحسين عليه السلام غير كافٍ، فضلاً عن أَنَّ البيت لا يُشاهد في ديوان الفرزدق. ومثلما ذكر المحقق الفاضل المصحح الجليل للجزء السادس والأربعين من البحار في حاشية ص ٤ من الكتاب: ينسب هذا البيت لأبي الأسود في بعض الكتب، والظاهر أَنَّ أقدم مصادر النسبة هو كتابُ أصول الكافي.

---

١- فتوح البلدان: ٣٢٣.
٢- مروج الذهب: ١/١٧٧.
٣- لم تُشاهد أرقام الصفحات والكتاب أيضاً.
٤- أصول الكافي: ١/٤٦٧.

ومبنىٰ البيت و معناهُ لا يُناسب وليد أُسرة الإمامة، فالتَّعبير عن التعويذ أكثر مناسبة لمولود أُسرة متمسّكة بالتقاليد الموروثه، لا لابن الإمام الثالث، و اللهُ أَعلَم.

في نهاية هذا البحث نصل الىٰ أَنّه كيف انتهىٰ مصير أُمّ الإمام علي بن الحسين علىٰ كل حال؟

وأَيَّاً كانت أُمُّه "شهربانو"، أو "شاه زنان"، أو "غزالة"، أو "سلافة"، أو "حرار"؛ في أَيَّة سنةٍ تُوفِّيت؟

نعرف من القصص والتعازي -يقولون- كانت حاضرةً في كربلاء، وبعد شهادة الحسين بن علي عليه السلام آمتطتْ جوادهُ المسمَّىٰ "ذا الجناح"، وجاءَتْ إِلىٰ إيران، وَغابَتْ في هذا الجبل.

في عصرنا اصطنعوا أُسطورة اتِّجاه "شهربانو" من جانب الحسين إلىٰ ايران في العام الستين للهجرة، لِتُهيئ جيشاً، وتسقط حكومة مُعاوية، وانتقلت هذه الأُسطورة من المجلات الفكاهية إِلى الكتب والمجلات العلمية، وليس بعيداً أَنْ تُحْتَسَبَ في المستقبل مِن أَسناد المحققين.

ولو تجاوزنا هذه الأُسطورة، وأَقبلنا علىٰ التحقيق في الكتب المعتبرة نسبَّياً، لَوَصلنا إِلىٰ مَوْضوع أوضح، فابن سعد كتب أَنَّه بعد شهادة الحسين عليه السلام تزوَّج "زُيَيْدٌ مولاهُ أُمَّ علي بن الحسين وولدتْ له عبد اللهِ، وعبدُ الله أَخو علي بن الحسين لأُمَّه.[1]

وكتب الصدوق أنّ أم علي بن الحسين توفيت في وضعه، وتعهدت تربيته جارية من جواري أبيه، وكان علي يراها أمّه،وعندما علم أنها جارية، وليست أمّه زوّجها، فكان الناس يقولون: زوّج علي بن الحسين أمّه.[2]

والعجيب أَنّه في صدر هذه الرواية التي يصل سندُها إِلىٰ سهل بن القاسم النوشجاني أَنّ آبنتَي يزدجرد سباها عبدالله بن عامر بن كريز، وأرسلهما إِلىٰ عثمان، فوهب إِحداهُما

---

١- الطبقات: ٥/١٦٣.

٢- عيون أخبار الرضا: ٢/١٢٧؛ البحار: ٤٦/ ٨، ١٢٩ -١٤٠.

للحسن عليه السلام والأُخرىٰ للحسين عليه السلام.

وكلتا البنتين ماتَتَا عند وضْعهما الأَوّل.

وتصورُ جماعة أُخرىٰ أَنَّ "شهربانو" بعد حادثة العاشر من المحرم أَلقتْ نفسها في الماء، وغرقت.

وكتبَ المرحومُ القزويني في ذَيل عنوان الأساطير التاريخية: ومزار "شهربانو" حوالي طهران، والحال أَنها علىٰ ما في كتب الأخبار والتواريخ أغرقت نفسها في الماء بعد قتل الحسين[1] في حالٍ لا يُشاهَدُ فيها مثل هذا الشئ في كتب الأخبار والتواريخ المُعتمد عليها. ومثل هذه الحادثة تبدو بعيدة، بل غير صحيحة.

---

١- مذكرات القزويني (يادداشتهاى قزوينى) بتحقيق إيرج أفشار: ١/٨٥.

## أفضل بني هاشم

"ما وُلِدَ فيكم بعد رسول الله ﷺ أفضلُ من عليّ بن الحسين"[١]

عامَّةُ المؤرّخين والمحدثين القُدامىٰ مثلُ الكليني[٢] والمفيد[٣] وآبن شهراشوب[٤] وعليّ بن عيسىٰ الإربلي[٥] وصاحب مواليد أهل البيت[٦] مِنَ الشيعة.

ومصعب الزبيري[٧]، وابن سعد[٨] والبلاذري[٩] وسبط ابن الجوزي[١٠] وابن خلكان[١١] وكذلك ابن حجر العسقلاني[١٢] من أهل السنّة والجماعة.

يرون ولادة الإمام عليّ بن الحسين في المدينة سنة ثمانٍ وثلاثين، أَو سبعٍ وثلاثين للهجرة.

وعلىٰ حد ما تتبع الكاتب قَبِل المتقدّمون والمتأخّرون هذه الشهرة ما عَدَا حَفنةً منهم.

وذهبوا إلىٰ أَنّ الإمام الباقر ابن الإمام علي بن الحسين كان حاضراً في واقعة كربلاء سنة إحدىٰ وستين للهجرة وعُمرُهُ أربَعُ سنوات.

---

١- من رسالة أبي جعفر المنصور إلىٰ محمد بن عبدالله بن الحسن ذي النفس الزكيّة في حوادث سنة ١٤٥ هـ الطبري: ٦/١٩٨.
٢- أصول الكافي: ١/٤٦٦.
٣- الإرشاد: ٢/١٣٨.
٤- المناقب: ٤/١٧٥.
٥- كشف الغمة: ٢/٧٣.
٦- البحار: ٤٦/٨.
٧- نسب قريش: ٨٥.
٨- الطبقات: ٥/١٥٧.
٩- أنساب الأشراف: ١٤٦.
١٠- صفة الصفوة: ٢/٥٢.
١١- وفيات الأعيان: ٢/٤٣١.
١٢- الصواعق المحرقة: ٢٠١.

لكنّ صاحب المناقب نقل في نهاية الفصل المتعلّق بحياة الإمام الباقر عليه السلام عن كتاب البِدَع وشرح الأخبار أَنَّ عليّ بن الحسين كان في حادثة كربلاء في الثلاثين، وابنه محمد الباقر في الخامسة عشرة[١].

وعلىٰ طبق هذا السند تكون ولادةُ الإمام عليّ بن الحسين سنة ثلاثين، أو إحْدىٰ وثلاثين للهجرة.

بيد أَنَّ القرائن الخارجيةَ التي يجب أَلا تُسْتَبْعد عن النظر تجعلُنا مُرْغَمِيْن علىٰ الشَّكِّ في قبولِ هذِه الشهرة.

فما تلك القرائن؟

١- الأولىٰ محل ولادة الإمام، فالمفيد قال: «وكان مولد عليّ بن الحسين بالمدينة سنة ثمان وثلاثين للهجرة فبقي مع جدّه أَمير المؤمنين سنتين».[٢]

وقال ابن الخشّاب: «أقامَ معَ أمير المؤمنين سنتين»[٣].

وكتب الآخرون نظير هاتين العبارتين أيضاً.

ومعنىٰ «أقام مع جدِّه» و«بقي مع جدّه» أَنّه عاش السنتينِ الأُولىٰ من عمرِه في كَنَفِ جدّه أميرالمؤمنين عليه السلام في المدينة.

هذه الجملة غير موافقة للواقع التاريخيّ، فنحن نعلم أَنّ أمير المؤمنين خَرَج من المدينة إلىٰ العراق سنة ست وثلاثين في طلب الناكثين، وبقي في الكوفة حتّىٰ سنةِ أربعين للهجرة التي هي سنة شهادتِه.

سيّد الشهداء عليه السلام رافق أَباهُ أميرالمؤمنين عليه السلام مِن المدينة إلىٰ العراق منذُ بداية حركتِه، أو التحق بِه بعد مُدَيْدَة[٤]، وبقيَ في الكوفةِ من سنةِ سبع وثلاثين حتىٰ أربعين.

---

١- المناقب: ٤/١٧٤.
٢- الإرشاد: ٢/١٣٨.
٣- البحار: ٤٦/١.
٤- تصغير مدّة.

فإذا كانت ولادة عليّ بن الحسين في المدينة سنةَ ثمان وثلاثين، أو سبع وثلاثين للهجرةِ، فجملةُ «أَقامَ مع جدّه» أو «بقيَ مَعَ جدّه» لا تبدو صحيحة.

وإن كان المقصودُ من الجملة مطلق العَيْش والمعاصرة علىٰ ما سوف نكتُب، فإنّه غيرُ مُؤتَلفٍ مع جملة «وكان مولده بالمدينة».

ولا ريب في أن الإمام الحسين بن علي﴿عليه السلام﴾ كانَ في الكوفة من سنة سبع وثلاثين حتّىٰ أربعين للهجرة.

كتب الطبري في حوادث سنة سبع وثلاثين في وصف إحدىٰ معارك صفّين من قول أبي مخنف بإسناده عن زيد بن وهب أنّه قال:

«مرّ عليّ معه بَنوُهُ نحو الميسرة، وإنّي لأرىٰ النبل يمرّ بين عاتِقه ومنكبه، وما من بنيهِ أَحَدٌ إلاّ يقيهِ بنفسه، فيتقدّم، فيحول بين أهل الشام وبينَه، فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يَدَيهِ، أو من ورائه، فبصُر به أَحمر مولىٰ أَبي سفيان أو عثمان أو بعض بني أُميَّة فقال: وربّ الكعبةِ قتلِني اللهُ إن لم أَقتُلْكَ أَو تقتُلَني، فخرج إليه كيسان مولىٰ عليّ، فاختلفا ضربتين، فقتله مَوْلىٰ بني أُميَّة. وينتهزه علي، فيقع بيده في جيب درعه، فيجبذه، ثمّ حمله علىٰ عاتقِه فكأنّي أَنظُر إلىٰ رُجيْلَتيهِ تختلفان علىٰ عُنُقِ عليّ، ثمّ ضرب به الأرض، فكسر منكبه وعضُديه، وشدّ آبنا عليّ عليه (حسين ومحمّد)، فضرباهُ بأسيافهما»[1].

هذا الاشتباك علىٰ ما تُبْدي كتابة الطبري حدث في صفر سنة سبع وثلاثين.

إذن، فالحسينُ كانَ مع أبيهِ في الكوفةِ منذ بداية هذه السنة.

وفي حوادث سنة سبع وثلاثين أيضاً وَرَدَ في كلام علي﴿عليه السلام﴾ لصالح بن سُلَيْم: «فنظرتُ إلىٰ هذين قد ابتدراني -يعني الحسن والحسين[2]». وهذه الإشارة علامة علىٰ أنّ ولديهِ الحسنَ والحسين كانا معه.

وحضورُ الحسين﴿عليه السلام﴾ في الكوفة عند شهادةِ أبيهِ مُسلَّمٌ به، ويُشاهَدُ في الوثائق.

---

- تاريخ الطبري: ٤/١٣.
- المصدر نفسه: ٤/٤٤.

والآن كيف يُقبَلُ أَنْ يكون الإمام في الكوفة، وامرأَتُه في المدينة كلَّ هذه المُدَّة؟

ولعلّ بعضهم جعل ولادة السجّاد﴿عليه السلام﴾ سنة ستّ وثلاثين[١] بهذا الاستبعاد[٢]. في حين لو جعلنا ولادتَهُ سنة ثمانٍ وأربعين -علىٰ ما يؤيدُهُ قرائن- لأمكن القول بولادَتِه في المدينة دونما إشكال.

٢- القرينة الأخرىٰ التي تُرغم المحقِّقَ أن يَتَردّد في قبول سنةِ ولادة الإمام﴿عليه السلام﴾ علىٰ ما هو شائع، ويرىٰ قبول سنةِ ثمان وثلاثين للهجرة غير ممكِن، أَو بعيداً في الأَقلّ، فجيش ابن سعد عاملَ أسرة بنت النبيّ مُعاملتَه للكفّار الحربيِّين فقتلوا البالغين، وسبوا النساء، وأسروا الأطفال، وقالوا: صَغُر عليّ بن الحسين﴿عليه السلام﴾ هو الذي حال دون قتلِه[٣].

كتب الطبري في تصويرٍ لمجلس ابن زياد وهو يتهكَّم والإمام يُجيبُه بِما يغضبُه، فقال: «أنت والله منهم، أنظروا هل أدرَك؟ والله إنّي لأحسبُه رجلاً.

فكشف عنه مرِّي بن معاذ الأحمري، فقال: نعم، قد أدرك.

فقال: اقتُلْه.

فقال علي بن الحسين: مَنْ تُوكل بهؤلاءِ النساء؟

يا ابن زياد، إن كان بينَك وبينهنّ قرابة، فابعث معهنّ رجلاً تقياً يصحَبهنَّ بصحبة الإسلام.

فقال ابن زياد (وكأنه قد خجل واستحىٰ): انطِلقْ مَعَ نسائِك»[٤].

وكتبَ مِن كلام حميد بن مسلم قولَه: «انتهيت إلىٰ عليّ بن الحسين الأَصغر وهو منبسط علىٰ فِراش له وهو مريض. وإذا شمر بن ذي الجوشن في رجالة معه يقولون: أَلا نقتل هذا المريض؟

---

١- البحار: ٤٦/١٣.
٢- أي لأجل الاستبعاد المذكور. م
٣- منتخب التاريخ: ط ليدن: ٢٠٤-٢٠٨.
٤- تاريخ الطبري: ٤/٣٥٠.

فقلتُ: سُبحانَ اللهِ أَنقتلُ الصبيان؟ إنّما هذا صبيّ.

فمازال هذا دَأبي أَدفَعُ عنه كلَّ مَن جاء، حتّىٰ جاء عمر بن سعد، فقال: أَلا لا يدْخلَنّ بيت هؤلاءِ النسوةِ أَحد، وَلا يعرضن لهذا الغلام المريض»[١]

وكتب أَنّ علي بن الحسين عُدَّ صَبيّاً، فلم يقتل.

وكتب البلاذري: «ولمات جاؤوا بعيال الحسين إلىٰ ابن زياد نظر إلىٰ عليّ بن الحسين، وقال: انظروا هل أَدرك؟

قالوا: نعم.

قال: اضربوا عُنُقَه»[٢].

وكتب الدينوري مؤلّف الأخبار الطوال: لم ينجُ مِن أنصار الحسين وأبنائه وأبناءِ إخوته، إلاّ ابنه علي الأصغر الذي كان قريب البلوغ وعُمَر الذي كان في الرابعة[٣].

وكتب مؤلّف العقد الفريد: «عن محمّد بن الحسن بن علي بن أبي طالب قال: أُتي بنا يزيد بن معاوية بعدما قُتِل الحسين ونحن أثنا عشر غلاماً، وكان أكبرُنا يومئذً عليّ بن الحسين»[٤]

وكتب مؤلّف (فِرق الشيعة) الذي هو من كبار علماءِ الشيعة، وكتابُه أُلِّفَ في نهاية القرن الثالث الهجريّ أَنّهُ لمّا توجّه الحسين بن عليّ إلىٰ الكوفةِ أَودع أُمَّ سلمة زوج الرسول﴿صلى الله عليه وآله﴾ كتبه وسلاحَه وأشياءَ أُخرىٰ، وأَوصاها أَنْ تدْفعها إلىٰ عليّ بن الحسين﴿عليه السلام﴾ إذا عادَ إلىٰ المدينة، وكان غلاماً.[٥]

وذكر المفيدُ في الإرشاد أَنَّ حميد بن مسلم قال: دخل شمر في رجالة علىٰ عليّ بن الحسين

---

- نفسه: ٣٤٧/٤.
- أنساب الأشراف: ٢٠٨/٣.
- الأخبار الطوال: ٢٥٦، ط السعادة ١٣٣٠ هـ
- العقد الفريد: ١٢٤/٥.
- فِرق الشيعة (المترجم): ٦٠، الفرق ولمقالات: تح د.مشكور: ١١٢ والرواية فيه علي بن الحسين الأصغر.

وهو طريح علىٰ فِراش المرض، فقالوا له: ألا نقتل هذا المريض؟

فقلت: سبحان الله، أوَ يقتلون الأطفال؟

هذا طفل سيقضي عليه مرضُه، دأبت علىٰ ذلك، حتّىٰ حبستُهم عن قتلِه.[١]

وقال الخوارزميّ المتوفّىٰ سنة ٥٦٨ في وصفِه دخولَ أهل البيت علىٰ عبيدالله : نظر ابن زياد إلىٰ علي بن الحسين، وقال له: مَن أنت؟

- أنا عليّ بن الحسين.

- أما قَتَلَ اللهُ عليّ بنَ الحسين؟

ما لك لا تتكلّم؟

- قد كان لي أَخ يُقال له أيضاً عليّ، فقتله الناسُ -أو قال: أنت قتلتَه - وسيسألكم يومَ القيامة.

- اللهُ قتله.

- قال علي بن الحسين: «اللهُ يتوفَّىٰ الأَنفُسَ حين مَوتِها»[٢] « وَما كانَ لنفسٍ أَنْ تَموتَ إلاّ بإذن الله»[٣]

- أنتَ واللهِ منهم. انظروا هل أَدْرك، أَو لا؟

فقال مروان بن معاذ الأحمري: نعم»[٤]

وكتب الدميري: كان زين العابدين مع أبيه في كربلاء، ولم يقتلوه لأَنَّه كانَ صبيّاً، فالجند كانوا يقتلون كلّ من نبت له شعر، وَيَدعون من لم ينبُتْ له شعر، كما يفعلون بأبناءِ الكافرين.[٥]

وعلىٰ ما شاهدنا في هذِه الأسناد كانوا يَدْعون الإمام علي بن الحسين "الأَصغرِ" ونحوه

---

١- الإرشاد: ٢/١١٧؛ مقتل الخوارزمي: ٢/٣٨؛ الطبري: ٧/٣٦٧.
٢- الزمر/٣٩: ٤٣.
٣- آل عمران/٣: ١٤٥.
٤- مقتل الخوارزمي: ٢/٤٢-٤٣.
٥- حياة الحيوان: ١/٢٤٧، ط السعادة ١٣٣٠ هـ

مِن الألقاب.

ولو كان مولوداً سنة سبع وثلاثين أَو ثمانٍ وثلاثين، لكان عُمُره في تلك الواقعة أَربعاً وعشرين أَو ثلاثاً وعشرين سنة، ولما دَعَوْهُ صبيّاً، ولا شكّوا ببلوغِه في مجلس ابن زياد.

فكيف نعتقد أنّ ولادتُه -علىٰ ما ذكر صاحب المناقب - سنة إحدىٰ وثلاثين، ونعلَمَ أَنَّهُ في هذا التاريخ أي: السنة ٦١ هـ - في سنِّ الثلاثين؟

هذه القرائن تُبيِّنُ أنّ سنة ولادة الإمام عليّ بن الحسين﴿عليه السلام﴾ هي الثامنة والأربعون أَو التاسعة والأَربعون، وَ أنّه كان في حادثة كربلاء في الثانية عَشْرَةَ أو الثالثة عشرة.

صحيح أنّ الإمامَ عليّ بن الحسين﴿عليه السلام﴾ كان يوم عاشوراءَ وأَيّاماً بعدَها مريضاً محطوماً، والحزن والمرضُ لا يَحُطّان شابّاً في الثلاثين أو العشرين ونيّف حتّىٰ يَشْتَبِه بفتىً غير بالغ.

من ناحية أُخرىٰ لا يمكن التغاضي عن الشهرة التي أظهرتها كتابة المؤرخين وسيرة الكتّاب.

فما الحقيقة؟

أَما يُمكن أَنَّهم جَعَلُوا ولادة الإمام عليّ بن الحسين﴿عليه السلام﴾ ولادة عليّ بن الحسين الأكبر الذي أُستُشهِدَ في كربلاء؟.

اللهُ أَعلم.

قلنا: ذَهَبَ أمير المؤمنين﴿عليه السلام﴾ إِلىٰ العِراق سنة ستّ وثلاثين، وبقي في الكوفة إِلىٰ نهاية عُمُرِه.

ممكن أَن يتصوّر ناس بظاهر عبارة المُبرِّد أَنَّ أمير المؤمنين عادَ مِن العراق إِلىٰ الحجاز في سنة خلافته الثانية، وبهذا الترتيب يريدُون أَنْ يُلائموا بين عبارة الشيخ المفيدِ والواقع التاريخيّ، لأَنّ عبارة المُبرّد أنّ أَمير المؤمنين﴿عليه السلام﴾ كان في المدينة سنتين بعدَ الخلافة.

رَوَوْا أَنّ عليّاً أوصىٰ الحسن﴿عليه السلام﴾ بشأن وقف أَموالِه، وفيها ثلاثة من غلمانِه، ومن جملتها عين "أَبي نيزر" و"بُغيبغة". وهذا خطأ، لأنّ هذا وقف هذين الموضعين في سنة

خلافتِه الثانية.

ذكر أبو محلم محمّد بن هشام في اسنادِه أَنّ أَبا نيزر من أبناءِ بعض ملوك العجم. والصحيح عندي أَنّه من أبناء النجاشي، رغِبَ في الإسلام صغيراً، ووفد علىٰ رسول اللهِ ﷺ وأسلم، وبقيَ في بُيوتِه. وعند وفاة رسول اللهِ صارَ في كنفِ فاطمة وأولادِها.

قال أبو نيزر: جاءَني عليّ بن أَبي طالب، وكنت في العين وبغيبغة، وسأل: أَعندك طعام؟

- ليس عندي ما يُناسب أمير المؤمنين. قرع من قرع هذه المزرعةِ صنعتُه بإهالةٍ سَنخة.

- جئني بِه.

فذهب إلى الماءِ، وغسل يَدَيْهِ، وآغترف من الماءِ، وقال: اليدُ خيرُ إناءً يا أبا نيزر.

ومسح بقية الرطوبةِ ببَطنِه، وقال: مَنْ أَدخَله بطنُه النار، فأبعدَه الله، ثمّ أَخذ المعول، وانحدر في العين، وجعل يضرب، وأبطأ عليه الماء. فخرج وقد تفضّح جبينُه عرقاً، فانتكف العرقَ عن جبينه، ثمّ أَخذ المعول وعاد إلىٰ العين، فأقبل يضرب فيها، وجعل يُهمِهمُ، فانثالث كأنها عُنق جزور. فخرج مُسرِعاً، فقال: أُشْهِدُ الله أَنّها صدقة.

إلى نهاية القصّة.[1]

نِقُل هذا الشرح مِن هذا المصدر في معجم البلدان ذيل كلمةِ عين أَبي نيزر، وذيل بُغَيبغة، وفي وفاء الوفا[2] مختصراً، ودون ذكرٍ لسنةِ حفر العين.

وفي الإصابة ترجمة أَبي نيزر. وفي الكنىٰ والألقاب نقلاً عن مستدرك الحاج حسين النوري. ويُشاهد في قاموس الرجال.

والجملة التي تستلفت النظر في الكامل ومعجم البلدان ظاهراً هي وقف هذه العين في السنة الثانية من خلافتِه.

وجاءَ في هذين المصدرين وقاموس الرجال أيضاً أَنّ عليّاً عليه السلام حين سَأَلَ أَبا نيزرَ طعاماً فأَجابَهُ؛ ليس عندي ما يُناسب أميرَ المؤمنين.

---

١- الكامل: ٢/١٧٢-١٧٣.

٢- ص ١٢٧١.

فسلّمْ إذن أنّ أَميرالمؤمنين وقف هذه العين في خلافتِه، مع أَنّنا نعلم أَنّ عليّاً عليه السلام ذهب إلىٰ العراق في السنة السادسةِ والثلاثين، ومن المُسلَّم به أَنّ شهادتَه عليه السلام كانت في الكوفة سنة أربعين.

فكيف نقبل هذهِ الرواية؟

أكان علي عليه السلام يتنقّل بين الحجاز والعراق مرّةً بعد مرَّة وفي السنة الثانية من خلافته وقف أموالَه هذِه وهو في المدينة؟

مثل هذا الفرضِ غيرُ مقبول.

فإنْ صحّت كتابة المبرِّد، فإنّه يجب القول بأَنّ أميرالمؤمنين«عليه السلام» وقف العين في خلافتِه، لكن لا في السنة الثانية منها، لأنَّ تقاريرَ المؤرخين التفصيلية من السادسة والثلاثين إلى الأربعين تُظهر أَنَّه -عليه السلام- كانَ في العراق طوال هذه المدّة منهمكاً بِحَلِّ المشكلات. وما يقرب مِن الواقع هو أَنّ عبارة «لشهرين من خلافته» تصحّفت علىٰ الناسخ إلىٰ «لسنتين منْ خلافته».

إن كانَ الأمر كذلك، فسوف تصحّ القصّة، لأَنّ بيعة أميرالمؤمنين تمّتْ لخمسٍ بقين مِن ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وعزم علىٰ السفر إلىٰ العراقِ في آخرِ ربيع الأَوَّل سنة ستّ وثلاثين للهجرة.

فإذن كانَ في المدينة المحرّم وصفراً وربيعاً الأَوَّل، ومن المحتمل ذهابُه إلىٰ أبي نيزر في شهر صفر، وَوقف تلكُما العينيين.

## انقلاب الناس

«انقلبتم علىٰ أَعقابكم ومَنْ ينقلبْ علىٰ عَقِبيهِ، فلن يَضُرَّ اللهَ شيئاً»[١]

ولادة الإمام علي بن الحسين«عليه السلام» علىٰ المشهور هي في السنة السابعة والأربعين أَو الثامنة والأربعين.[٢] فإمّا أن نقبل القرائن الواردة، ونفرض أَنّ ولادته سنة سبع وثلاثين أو ثمانٍ وثلاثين فطفولته وصباهُ وفتوّتُه كانت مع حكومة معاوية الضّاجَّة بالاضطراب وقمع العِراق وأَزَمات الحجاز واختلاطِ السُّنَّة بالبدعة.

نعلم أَنّ أَمير المؤمنين علياً«عليه السلام» استُشهد في شهر رمضان سنة أربعين للهجرة عندما كان يُعدُّ لِتجديد الحرب علىٰ معاوية.

وبعد وفاتِه بايعَ شيعتُه ومَن كانوا يظهرون أنفُسَهُم شيعةً له أبنه الإمام الحسن بالخلافة، لكنّ قلبَ أكثر المبايعين ولسانَهُم لم يكن واحداً.

أولئك المتظاهرون بالتشيُّع في الكوفة وهم في جيش علي«عليه السلام» وآذَوْهُ إيّما إيذاء، حتّىٰ إنّه تمنَّىٰ الموت للخلاص منهم ما كان ممكناً لهم أَن يُعاملوا الولدَ خيراً من معاملتِهم للأب.

كانت الكوفة أواخر عمر عليّ مرآةً لانعكاس الأهواءِ المُتنّوعة.

قادته كلٌّ يُحدِّث نفسه بحكومةٍ أو رئاسة.

طلّابُ جاه كانوا يريدون أَن ينالوا منصباً من الخليفة الجديد.

والمسلمون حديثاً الذين حملتهم الآمال والأَماني الكِثارُ علىٰ أن يتركوا مدنهم كانوا قد أَوصلوا أنفُسَهُم إلىٰ مركز الخلافة لينالُوا ما يَرُومون.

---

١- آل عمران/٣: ١٤٤.
٢- للهجرة.

الانتهازيون الموالي[١] الذين تحالفوا مع إحدىٰ قبائل العرب واستخفوا وَراءَها إذ ما كانوا يَرونَ في أَنفُسِهِمُ القُدرَة علىٰ الانقلاب.

كان أولائك فئات يتألّف منها عمود الجماعة الفقري في ذلك العَهد.

ومن اليوم الذي بايع قيس بن سعد بن عبادة الإمام الحسن﴿عليه السلام﴾ بشرط العمل مع الشاميين أَوردت تلك الفئات المشكلات في عمل إمامها حتّىٰ أُجبر علىٰ مصالحة معاوية، فليس معلوماً كم مِن الجيش سيسيرُ لمواجهة جيش معاوية لو أَمَرَ الحسن﴿عليه السلام﴾ بذلك، ولو أَنّ الجيش كان علىٰ أُهبَةِ السير لنَشَرَ فيه الخونة بذور التفرقة، فقد كانوا يقفون حتّىٰ يُسلِّمَ الإمامُ وقائدُهُ.

ونتيجة الصلح هي:

١- الأنصار- والأحرىٰ أن نقول- القحطانيّون الذين لم يبلغوا مُرادهم طوال سنوات الانتظار تحت سلطة العدنانيين.

٢- ساسة العراق الذين كانوا يريدون نقل مركز الخلافة مِن دمشق إلىٰ الكوفة خنعوا للشام.

٣- المسلمون الطاهرون المتديّنون الذين كانت أُمنيتهم الوحيدةُ انتصار الحق علىٰ الباطل غدوا أكثر الناسِ همّاً وغمّاً.

فما العدّةُ التي كانت تعرف حقيقة العمل وعلّة الصلح والهزائم السابقة في ذلك العهد؟

الله أعلم.

ولو كانوا عدَّةً أَيضاً، فمن ذا الذي يُصغي لصَرختهم؟

يجب القول: لا أحد.

---

١- المسلمون من غير العرب الذين تركوا بلادهم وهاجروا إلىٰ شبه الجزيرة العربية وانضووا تحت لواء قبيلة ما من القبائل العربية طبقاً للأعراف العربية. لمزيد من الاطلاع علىٰ الموالي وحركتهم يُرجع إلىٰ: تاريخ تحليلي اسلام [للمؤلف بالفارسية]: ١٩٤، طبع مركز نشر دانشگاهي، [وتصدر ترجمته العربية قريباً إن شاء الله تعالىٰ. م].

لماذا؟

لأنّه لو كان مثل هؤلاء، لما كان أمير المؤمنين يُخوِّف الناسَ شرّ مُعاوية.

أجل لو كانوا لأصغوا لقائدهم، والتزمُوا الواقع خَلْف قائِدهم بَدَلاً مِن الجَلَبَةِ وَرَفْع الشعار.

كان معاوية بن أبي سفيان صخربن حرب بن أُميَّة زعيم قريش طالب جاهٍ من العدنانية.

ومن تأمّل حياة هذا الرجل والنهج الذي سلكه هو وأَبوه رَآهُما، بل كُلَّ بني أُميَّة قد اتّخذوا الإسلام والمسلمين وسيلة لبلوغ الرئاسة والقدرة، لا الشريعة السماوية التي يجب أَن يخضعوا لها، ويتمسَكوا بأحكامها.

قبِلَ أبو سُفيان الإسلام لِساناً عندما أحاطت جيوش المدينة بمكّة، ورَأىٰ سيف عمر فوق رأسِه.

أسرة أبي سفيان مثل بني مخزوم وبعض قبيلة قريش ما تكيَّفوا مع زعامة هاشم لهم - أَو قبلوها ولكن بصعوبة - ولا ساغوا أَن يرأسَهُم أبناءُ عمِّهِم الذين لا مالَ لهم ولا ثروة.

مثال هذا الحسد هو ما جاءَ علىٰ لسان أَبي جهل في تاريخ الإسلام ومثال الاعتراض ما جاءَ في شعر الوليد بن عقبة أخي عثمان بن عفّان لأُمّه خاطب بهِ بني هاشم بعدَ قتلِه، وكتبته في موضع آخر.(١)

وإذ أَصبح معاوية والياً لعمر علىٰ قسم من الجزيرة نضَجت في ذهنه فكرة حكومةٍ واسعة مستقلّة، وقد أوصاهُ أَبوهُ أبو سفيان وأُمُّه هند أَنْ يعرف قدر المنصِب الذي حظيَ به، وألاّ يعمل ما يغيظُ الخليفة عليه.(٢)

ومهما كان يبدو مطيعاً للخليفةِ في الظاهر لم يفقد غريزة البحث عن الأَفضل، فصنع

---

١ـ تاريخ الإسلام التحليلي (للمؤلف) بالفارسية: ٤٠، وترجمته العربية تحت الطباعة في دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان - بيروت.

٢- أنظر حياة فاطمة الزهراء للمؤلف (بالفارسية)، صص ١٧٧-١٧٨. وترجمته العربية في آخر مراحلها في دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان - بيروت.

لنفسه جهازاً مُهيباً في حكومةِ دمشق، وذكروا أَنّ عمر في سفرهِ لهذه المدينة سلك فيها ما يسلكُه في أيّامِه بالمدينة، فمرَّ معاوية يوماً بموكبِه، فرآهُ عُمرُ، وما عَرَفه هو وآجتازَه.

ولما قيل له: كان الخليفة، وقد آجْتزتَه دونَ آهتمام، عادَ وبحث عنه، وبعدَما سار راجلاً قليلاً خلف عُمَرَ سأَلَ معاوية: سمعتُ أَنّك تُعطّلُ الناس خلف منزلك؟

– نعم يا أمير المؤمنين هو كذلك.

– لم تفعل هذا؟

– لأَنّنا نعيش في أَرْضٍ يترقبُنا فيها جواسيس العدوّ، فلا بُدَّ أن يكون هذا سلوكُنا، ليرهبنا العدوّ.

ضحك عمر في نفسِه من هذا الجواب، لكنّه صدَّقَه بلِسانِه قائلاً: إن صدقت، فهذا جواب عاقل، وإن كذبت، فهو خدعة أديبٍ[1].

مع هذا كلِّه كان معاوية يحاسَبُ حساباً عسيراً لدىٰ عمر، وكان يُزيِّنُ عَمَلَهُ ما آستطاع لئلاّ يُعْتَرَض عليه.

بعد مقتل عمر وانتخاب الشورىٰ عثمان للخلافة اقترب سادة قريش ورهط أَبي سفيان من أُمنيتهم القديمة.

في خلافة عثمان تسلّم مروان بن الحكم بن أَبي العاص أعمال الخليفة، وآنبسطت أَيدي كبراء قريش في الأمور التنفيذية والمالية.

وطوال آثني عشر عاماً هي خلافة عثمان كان معاوية حاكماً مُطْلَقاً في الشام، ما كان يخشىٰ أَحداً، وما من أَحدٍ يستجوبُه.

فإذا وقف في وجهه مُسلمٌ زكتْ يَدُهُ مِن الأموال والدِّماء والتزم سنة رسول الله، مثل أبي ذرّ، أَبعدَهُ وآذاهُ بيد مَنْ هم مثل مروان الذي هو مَعَ الخليفة يفعل مايريد.

قتلُ عثمان بيد الهائجين عليه سنة خمس وثلاثين، وانتخاب عليّ عليه السلام للخلافة من جانب

---

١ – العقد الفريد: ٥/١٠٧.

هؤلاء وغيرهم من المُهاجرين والأَنصار أَتاحا لمعاوية أَنْ يهيىء المقدمات لحكومته علىٰ العالم الاسلامي كُلّه. فأَيَّدَ أَوَّلاً الانفصاليين طلحة والزبير في حرب الجمل سِرَّاً، ثُمَّ أَقام حرْب صفّيْن.

وذريعة معاوية أنّ عثمان خليفة المسلمين قُتِل مظلوماً، ولولّيه أَن يقتصّ مِن قاتليه، وهذا الحق لي بقرابتي منه.

وقد انتهت الحرب مُؤَقتاً -كما تعلمون- ليقعد حكمان من جيش العراق والشام، وينظرا في كتاب الله وسُنَّة الرسول: أَحقاً يقول مُعاويةُ أم لا؟[1]

وبعدما خُدِع حَكَمُ العراق أبو موسىٰ الأشعريّ بحكَم الشام عمرو بن العاص في دومة الجندل، وعرَّف عمرو معاوية خليفة للمسلمين، فاز معاوية بأمنيَّته في الحكم المطلق، لكنه بوجود عليعليه السلام في الكوفة ماكان يستطيع بسط يده علىٰ العراق، فكان يوحش تلك الديار بشنّ الغارات علىٰ المدن الحدودية.

ثمّ رفعت شهادة على عليه السلام العقبة الأخيرة من أمام معاوية، فدعا نَفْسهُ خليفة رسمياً للمُسلمين في سنة إحْدىٰ وأربعين للهجرة وضمّ العراق والشرق الاسلامي إلىٰ حكمه.

وفي هذه السنة صعد المنبر في النخيلة[2] وذكر ماكتمه في قلبه سنين:

ما قاتلتُكم لتُصلُّوا وتصومُوا، أو تحجُّوا، أو تُزكوا، فأنتم تفعلون ذلك.

حاربتكم لأتأمّر عليكم، والله أعطاني هذه الحكومة، وأَنتم لا تستطيبُونها.

ومن أجل أَنْ يُرسّخ معاوية دعائم حُكمه، ويرْعبَ الناس بسياسته العنيفة عَيَّن ولاة طُلابَ جاه وقُساة ولا إيمان لهم لإدارة الولايات الكبرىٰ كالحجاز والعراق ومصر.

أَهَمُّ أَمر تلقاهُ هؤلاء الولاةُ من دمشق هو التشديد علىٰ شيعة علي بن أبي طالبعليه السلام.

كانت الكوفة في تلك الأيام عاصمة اليمانيين، والأحسن أن نقول: القحطانيين،

---

١- للاطلاع علىٰ مقدّمات الحكمين يُراجع: تاريخ الإسلام التحليلي (للمؤلف) أصله بالفارسية، وترجمته العربية تحت الطباعة في دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان - بيروت.

٢- موضع قرب الكوفة.

وأكثرهم كانوا شيعة علي عليه السلام.

والعثمانيون المستقرّونَ خلف القدرة في الشام يحمونها كانوا ناعمي البال في البصرة والحجاز ودمشق.

بهذا التقرير تتجلىٰ نتيجة المواجهة بين العراق والشام، فضلاً عن عداوة أسرة معاوية لبني هاشم، والحقد العثماني علىٰ العَلَويين هناك عامل آخر يؤججُ الحِقْد الشامي والعراقيّ، فالعراق والشام منذ مئات السنين قبل الإسلام وهما في عراك: في تلك السنين أُسّستْ الحكومة الغسّانية في شمال شبه الجزيرة العربية، وكانت تابعة لأباطرة الروم. وحكومة اللخميين التابعة لأكاسرة ايران كانت في الشرق.

وباتساع الإسلام في الشرق والشمال والعراق والشام شغل سُكانُ المنطقتين بحرب جديدة، ونسي كلٌّ منهما حقده علىٰ الآخر، والأحسن أن نقول: تغاضىٰ كلٌّ عن حقده، وهبُّوا للحرب في البلاد غير الإسلامية ومحاربة عناصر غير العرب. لكن عندما صار مركز الخلافة بقيادة الإمام علي في الكوفة جدَّد ساسة المنطقة تاريخ العراقية الشامية، أو اللخمية الغسّانية.

في خلافة علي عليه السلام بسطت تقواهُ و عدالتهُ الإسلامية ظِلَّهما، حتّىٰ إنّ أولئك لم يستطيعوا أن يفتحوا علناً حساباً باسم العراق والشام، فوقفوا خلف شيعة علي عليه السلام راغمين، وقاتلو آل أبي سفيان باسم آل محمد.

ووقف الشاميّون في الجهة الأخرىٰ أيضاً يقاتلون لمعاوية باسم المطالبة بدم الخليفة المظلوم.

ونرىٰ هذا التنافسُ الشامي العراقيّ في طيّات أناشيدهم:

أَرىٰ الشامَ تكرَهُ مُلكَ العراق ... وأَهل العراق لهم كارهونا

وقالوا: «عليٌّ إمام[1](لنا) علينا» ... فقُلنا رضينا ابن هندٍ رضينا[2]

---

١- ورد في الأصل بعد هذه الكلمة كلمة (لنا) خطأ وحصر المؤلف (علينا) بقوسين مستنكراً.

٢-كعب بن جعيل من بني تغلب، تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، العصر الإسلامي: ٣٣٧.

وأجابه شاعر عراقي:

أتـاكـم عـليٌ بأهْـل العـراق وأهـل الحـجاز فمـا تـصنعونا
فإن يكره القومُ مُـلْك العـراق فَقِدماً رَضـينا الذي تكـرهونا

القحطانيُّون (الأنصار) الذين هم عرب الجنوب الذين دعوا الرسـول مـن مكَّـه إلىٰ مدينتهم، وبايعوهُ، ووقفوا معه، وبجهودهم وجهود عدَّةٍ من المهاجرين فُتِحت مكَّة قاعدةُ العدْنانيّين، وخَضَعَتْ قريش راضية أم آبية.

بعد مقتل عثمان وحركة أميرالمؤمنين عليعليه السلام من الحجاز إلىٰ العراق أَحاط الأنصارُ به في الكوفة، ووقفوا إلىٰ جانبه، وَأَنهوا حَرْب الجمل لمصلحته.

وكانوا معه في حرب صفين، وقالوا للشاميّين وقريش: لقد قاتلنا قُـريشاً أمس عـلىٰ تنزيله، واليوم نقاتِلهم علىٰ تأويله.

ومعنىٰ هذا الكلام هو أننا كنا أمس مع رسول الله، وها نحنُ اليومَ مع آبن عمِّه.

وفي الجهة الأُخرىٰ كانت الشام تعرف معاوية حاكمها سنين عَدَداً، ورأته اليوم يُحاربُ العراق مُنافسها القديم، فهبَّت لنُصرته، وآنضوتْ في طاعته.

وفي الحقيقة يجب أن تُعرفَ السنواتُ مِن الحادية والأربعين حتّىٰ الستين بسنواتِ ضغط العراق وحَطْمه.

ومِن استقبال معاوية لأعيان هذِه المنطقة الذين كانوا يذهبون لرؤيته أَحياناً يـتجلىٰ عَدَمُ رضاهُ عنها.

في حُكم معاوية باء ساسة العراق الذين خُدعوا في حرب صفين بـالخسران، وعـادوا أَسرىٰ الشام، وقبعوا في بيوتهم عشرين عاماً، وتراموا خلف الباب، وانطووا علىٰ أَنفسهم، وبقوا ينتظرون متىٰ تسنح لهم فرصة جديدة؟

والمسلمون الذين رُبُّوا تربية إسلامية وهم أولو عقيدة صحيحة ونية خالصة وماكانوا ينظرون لقوم أو قبيلة - وإذا كانوا ينظرون، فإلىٰ الحَّد الذي لا ينتابُ دينهم خَلَلٌ عِنْدَه، وكانوا يألمون - ماكان أَلمهم أَقلّ مِنْ أَلم أولئك، لأنهم كانوا يرون سنة الرسول تفنىٰ طوال

عشرين عاماً من حكم معاوية. فظهرت البدعة، وبَدَّل الخلافة إلىٰ ملكية وراثية، وبلغت الحكومة من الظُلْم أنّها استطاعت أن تُحارب الإسلام والمسلمين.

ودُعيَ نغلٌ مِن آل ثقيف أَخا معاوية بشهادة شيخ خمّار.(١)

وأنتشر الجواسيسُ بين الناس علىٰ خلاف القرآن الصريح بتحريم التجسس، ليعُدّوا أنفاسَهُم. ونُسِخ الوفاءُ بالعهد والقسم، وقتلوا حُجر بن عدي الذي كانوا قد طمأنُوهُ طمأنة كاملة.

وسَمّت جَعدة بنت الأشعث بن قيس زوجها الإمام الحسن عليه السلام بِمُؤامرة معاوية، وحدثت عشرات الأعمال الأُخرىٰ ومئاتُها علىٰ خلاف صريح كتاب الله وسنَّة النبي.

النتيجة هي أنّه لم يبق أَثرٌ للحكومة الإسلامية في الشام والعراق اللذين كانا مَرْكز صُنع المستقبل، وانتهىٰ الفقه الإسلامي إلىٰ مراسم من قبيل الصلاة والصوم والحج ودفع الزكاة أحياناً.

وكانت هذه البدع فادحة للمتديِّنين الحقيقيين الذين كانوا يَعُدّون الأيام، لينالوا فرصة يستطيعُون بها تطهير الإسلام ممّا أَظهرهُ معاوية فيه.

ويوم مات معاوية رأت الفئتان القويتان في العراق الفُرْصةَ التي كانتا تنتظران قد لاحت:

١- الفئة المؤمنة التي حملت همّ الإسلام حقاً، وكانت تتألَّم لضياع سنَّة الرسول، وتُريد أَن يَزول الأسلوب الملكي، وتعود الحكومة الإسلامية إلىٰ بساطة عصر الخلفاء الراشدين.

٢- الساسة القدماءُ الذين تشغلهم هموم الرئاسة، ويُريدون ألا يكون العراق تحتَ يد الشام، وأن يحكمُوا الشام إذا تيسّر لهم.

في تلك الأيام التي كان العراقُ يزخر فيها بالحوادث المُفجعة كان للحياة لون آخر في الشام.

---

١- تاريخ الإسلام التحليلي (بالفارسية): ١٥٥.

عاد يزيدُ الذي كان في "حوارين" إلىٰ دمشق عند موت أبيه بسعي الضحاك بن قيس عمدة[١] الشام، ودعا نفسه خليفة.

استعجل فراغ باله من أولئك الذين كان يخشاهم، ولذا كتب إلىٰ والي المدينة أَن يأخذ البيعة له من الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر.

كان واضحاً منذ البدء أَنَّ الحسين لن يُبايِعَه، وابن الزبير كان مُدَّعياً للخلافة، غير أنّ الناس كانوا لا يعبئون به وابن عمر لا يأتي بالحسُبان، فبيعته وعدمُها بلا نفع ولا ضرر.

والوحيدُ الذي كان يزيد يخشاهُ، ويُريدُ أن يعرف موقفه واضحاً منه هُوَ الحسين بن علي عليهما السلام.

من ناحية أُخرىٰ كان العراق الذي -علىٰ ما كتبنا- يبحث عن فرصة علىٰ دراية بما في الشام والحجاز وبما يجب فِعلُه وهو أن يطلب إلىٰ ابن بنت رسول الله أَن ينهض بقيادَته.

وبحُسن هذا الانتخاب شعَّ الأَمَلُ في قلوب المؤمنين، فقد كانوا يعلمون أَنَّ الرجل الوحيد القادر علىٰ مَحْو البدع الظاهرة سنين وإحياء سنة الرسول صلى الله عليه وآله هو الحسين بن علي عليهما السلام.

وكان الساسة القدماء مُطمئنِّينَ إلىٰ أنهم لا يستطيعون آستقطاب قلوب الناس، إلا به، فالحسين عليه السلام لا نظير له في جلالة القدر وكرامة النفس والتقوىٰ، فضلاً عن عظمة النسب وشرف الأسرة، وهو مستعد لمجابهة الظالمين، ولذا لم يُبايع يزيد.

وبدأ التكتل وتنظيم المجالس سريعاً في الكوفة، وكانت نتيجة تلك الجهود دعوة ابن بنت الرسول من الحجاز إلىٰ العراق وإعداد الكوفة لمحاربة الشام.

وعلىٰ ما نعلم كان الحسين قد بعث ابن عمِّه مسلم بن عقيل إلىٰ العراق قبل أن يتوجَّه هو إليه بجوابه عن رسائل أَهله.

وَأحاط أهل الكوفة بمسلم، آستبشروا به، وتظاهروا بالاستعداد الفائق للتضحية

---

١- رئيس الشرطة.

بالنفس والنفيس، حتىٰ كتب في رسالته إلىٰ الإمام عليه السلام هُنا مئة ألف رجل ضارب بالسيف مستعدون لنصرتك، فأسرع القدوم إلىٰ العراق.

لكن في هذه الأيام أيضاً أُرسلت رسائل من الكوفة إلىٰ الشام، ومن يدري؟

ولعلَّ فريقاً أَيضاً ممَّن بايع مُسلماً كانوا في عداد مَن أَمضىٰ هذه الرسائل.

هؤلاء كتبوا ليزيد أَنّه إن كنتَ تُريدُ الكوفة، فأسْرع في إرسال حاكم قويٍّ إليها، فالنعمان بن بشير الحاكم الحالي عاجز، أو متظاهر بالعجز.

رأىٰ يزيد صلاح نظر مستشاره الرومي "سرجون"، وأرسل عبيد الله بن زياد وبوصول عبيد الله إلىٰ هذه المدينة تخلىٰ الناس عن مسلم في مدة قصيرة، وبسطوا يد ابن زياد في قتله وقتل مضيفه هاني بن عروة.

من ناحية أخرىٰ سار الحسين ورهطه وعدّة من محبيه إلىٰ العراق ومعهم في هذا السفر الفتىٰ الذي هو مورد بحثنا الإمام علي بن الحسين عليهما السلام.

## الشهداء

"كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلىٰ مضاجعهم"

بعد خروج القافلة من مكّة حطّت في منازل* تنعيم[١]، والصّفاح[٢]، وذات عرق[٣]، وحاجز بطن الرُّمّة[٤] وزرود[٥]، وثعلبية[٦] وزبالة[٧]، وبطن عقبه[٨]، وشراف[٩]،وذي حسم[١٠]،وعذيب الهجانات[١١]،وقصر بني مقاتل[١٢]،وألقت رحلها في نينوىٰ[١٣].

في هذه المسافة الطويلة كلّم الإمامَ عدّةٌ من أقاربه وأنصاره في وصول الأخبار من الكوفة ولقاءات الطريق، لكن اسم علي بن الحسين - عليهما السلام - لم يذكر قط.

بعد اجتياز قصر بني مقاتل في طيّ الطريق أخذت الإمام سنة، فاستيقظ مسترجعاً

---

(*) كلّ تفاسير المواضع هنا مأخوذة من معجم البلدان.

١- موضع في نهاية طريق المدينة إلىٰ مكة في بداية أراضي الحرم، وفيه مسجد.

٢- موضع بين حنين وأنصاب الحرم علىٰ يسرة الداخل إلىٰ مكّة من مشاش، وهناك لقي الفرزدق الحسين بن علي -عليه السلام- لمّا عزم علىٰ قصد العراق، قال:

لقيت الحسين بأرض الصفاح ... عليه اليلامق والدّرق

٣- حدّ بين نجد وتهامة.

٤- الحاجز: هو ما يمسك الماء من ضفة الوادي، وبطن الرمّة: واد معروف بعالية نجد.

٥- رمال بين الثعلبية والخزيميّة بطريق الحاجّ من الكوفة.

٦- من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق، وقبل الخزيمية.

٧- قرية بين واقصة والثعلبية، وهي القاع من الكوفة، وقبل الشقوق.

٨- منزل في زريق بعد واقصة.

٩- موضع بين واقصة وقرعاء فيه ثلاثة آبار كبيرة.

١٠- ضبط علىٰ ما في الطبري: ٢/٢٩٢ [و٧/٢٩٦]، وفي مصادر: ذو خشب.

١١- ماء بين القادسية والمغيثة.

١٢- قصر منسوب لمقاتل بن حسّان، والمسير المذكور علىٰ ما ضبطه الطبري وأبو مخنف.

١٣- ناحية بسواد الكوفة، ومنها كربلاء (المترجم).

فسأله ابنه عليٌّ الأكبر عن السبب.

قال الإمام: «يابنيّ، إنّي خفقت خفقةً، فعنّ لي فارسٌ علىٰ فرسٍ وهو يقول: "القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم"، فعلمت أنّها أنفسنا نُعيتْ إلينا»[١].

أليس هذا أيضاً قرينة أخرىٰ علىٰ أنّ الإمام السجّاد كان في هذا السّفر في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة؟

والآن في أيّ منزل من هذه المنازل آعتلّ الإمام السجّاد؟

ليس لنا إلاّ خبر عن هذا حصل ليلة العاشر من المحرّم علىٰ هذا النحو:

«قال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّي لَجالِسٌ في تلك العشيّةِ التي قُتِلَ أَبي في صبيحتها وعندي عمّتي زينبُ تمرّضُني إذ آعتزل أَبي في خباءٍ له عندَهُ مولىٰ أَبي ذَرٍّ الغفاريّ، وهو يُعالج سَيفه ويُصلحه، وأَبي يقول:

يا دَهرُ أُفٍّ لكَ مِن خليلِ ... كم لكَ بالإشراقِ والأَصيلِ

مِن صاحبٍ وطالبٍ قَتيلِ ... والدَّهر لا يقنعُ بالبديلِ

وَ إِنّما الأَمْرُ إِلىٰ الجَليلِ ... وكلُّ حيٍّ سالك سَبِيْلي

فأَعادَها مَرَّتين أَو ثلاثاً، حتّىٰ فهمتُها، وعرفتُ ما أَرادَ، فَخَنقَتْني العَبْرة، فَردَدْتُها، ولزمتُ السكوت، وعلمت أَنَّ البلاءَ قد نزل.

وَأَمّا عمّتي، فإنّها سَمِعتْ وهي امرأة، ومِن شأنِ النساءِ الرِّقّةُ والجَزَع، فلم تملك نفسها أَن وثبت تجرُّ ثَوْبها، وإنّها لحاسرة، حتّىٰ آنتهتْ إليه، وقالت: واُثكلاه!

ليتَ المَوْت أَعدمني الحياة...»[٢].

وفي مصدر آخر أَنَّ الإمامَ أَنشد هذِه الأَبياتِ في اليوم الثاني من وروده إلىٰ كربلاء[٣].

ذاك ما مَضَىٰ علىٰ آل رسول اللهِ ومُحبِّيهم في تِلك الأيام المؤلمة.

---

١- الإرشاد: ٢/٨٢

٢- الإرشاد: ٢/٩٢.

٣- حالات سيد الشهداء، ٢/١٦٩.

وستقرءون في كتاب «ثورة الحسين»[١] وهو جزء من هذه السِّلسلة[٢]، أنَّ مجانين الكوفة غاروا علىٰ النساءِ والأَطفال مساءَ العاشر مِن المحرّم عندما لم يَرَوا مُقاومةً لهم، وامتدّت أيديهم بالنهب.

قال حميدُ بن مسلم أَحَدُ مُصَوِّري الحادثةِ وشهودِ عيانها: هجم الجندُ علىٰ علي بن الحسين وكان عليلاً، فأراد شمر أَنْ يَقتُلَه، فقلتُ له: سبحانَ الله، أَتقتُلون حتَّىٰ الأَطفال؟

وعندئذ وصل عمر بن سعد، وقال: لا يَذْهبنَّ أَحَدٌ إِلىٰ الخِيَم، ولا يُؤْذِيَنَّ هذا الطفل.

وكلّ مَنْ نهب شيئاً من مال هؤلاءِ، فَلْيُعِدْه[٣].

ومعلومٌ أَنَّه لم يَعْبأْ أَحَدٌ بالقسم الأَخير من كلامِه.

قال حميد بن مسلم: قال لي علي بن الحسين: جزيتَ من رجل خيراً، فوالله لقد دَفَعَ الله بمقالتك عَنِّي شَرّاً[٤].

قال الطبري:

---

١- طبع الكتاب بالفارسية تحت عنوان «پس از پنجاه سال»، والطبعة العربية تحت عنوان: شهيدي، جعفر؛ «ثورة الحسين نظرة جديدة»، بيروت: دار الهادي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢- مراد المؤلف هو السلسلة القيمة من الكتب التي ألفها حول حياة المعصومين ولاقت إقبالاً منقطع النظير في الوسط الثقافي الفارسي علىٰ تعدد مشاربه الحوزوية والأكاديمية والشعبية بحيث وصل عدد النسخ المطبوعة من هذه السلسلة الىٰ عشرات الآلاف من النسخ وبعضها تجاوز المائة ألف نسخة، وقد صدر من هذه السلسلة الكتب التالية:

- "زندگانى امام صادق" وترجم الىٰ العربية تحت عنوان "حياة الإمام الصادق" ترجمه عائد الزين.
- "پس از پنجاه سال (قيام حسين)" وترجم الىٰ العربية تحت عنوان "ثورة الحسين...نظرة جديدة" ترجمه رياض الأخرس.
- "علي از زبان علي" وترجمته العربية تحت الطبع وتصدر قريباً إن شاء الله تعالىٰ.
- "زندگانى فاطمه زهرا(س)" وشارفت ترجمته العربية علىٰ النهاية.

ويجدر بالذكر أن كتاباً آخرين قاموا بكتابة بقية حلقات السلسلة.

كما يجدر أن نذكر أن المؤلف قد منح بعقد قانوني جميع حقوق ترجمة وطبع وتوزيع هذه الكتب وغيرها إلىٰ دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت-لبنان.

٣- الكامل في التاريخ: ٤/٧٩.

٤- تاريخ الطبري: ٧/٢٦٧.

أَخَذَ عمر بن سعد عليَّ بن الحسين الذي كان مريضاً مَعَ الأَسرىٰ إِلىٰ الكوفة[١].

وَلم يُدَوِّن المؤرِّخونَ وكتّابُ السِّيَر وحفَظة الوثائق الأُولىٰ مِمَّا جَرَىٰ في العاشِرِ مِن المحّرم الحرام، إلا فقرات يَسيرة.

لكن تُشاهَدُ تقاريرُ كثيرة في كتابات المُحَدِّثين وكتّاب التراجم الشيعة.

وستقرءون قِسماً من هذه التقارير في كتاب (ثورة الحسين).

وما يناسِبُ هذا الكتاب هو ما ورد في كتاب كامل الزيارات لابن قولويه عن علي بن الحسين: ضاقَ صَدْري، لأنّي شهدت مصيبة يوم عاشوراء من قَتْل أَبي وأقربائي إِلىٰ أَسْرِي أَنا وأُسرتي.

سَألتني عمّتي زينب: ما بِكَ ياابنَ أَخِي؟

-لِمَ لا أَئنُّ وقَتْلانا مُتَرامُونَ هكذا في الصحراء؟

وروت عمتي زينب حديثاً عن أُمِّ أَيْمَن أَنَّه يَأْتي سريعاً قوم لا يخشون حكومتَهُم، ويضعونَ علامةً علىٰ مزار أَبِيْكَ لا تزول بِمُرورِ الزمان[٢].

وحُمِلَ الأَسرَىٰ إِلىٰ الكوفة.

كتبوا أَنَّهُم وَضَعُوا الجامعة[٣] في عنق علي بن الحسين عليه السلام عند جَلْبِ الأَسرىٰ من كربلاءَ إِلىٰ الكوفة[٤].

وَلأَنّه كانَ مريضاً، وما كان يستطيعُ الثبات علىٰ ظهرِ البعير شدُّوا رجلَيْه إِلىٰ بطن البعير[٥].

وَوَرَدَ هذا في قول دِعبِلٍ الخزاعيّ الشاعر المشهور الآتي:

يـاجَدُّ ذا نَجْـلُ الحُسـينِ مُـعلَّلٌ ومُـغَلَّلٌ في قَـيْدِهِ ومُـصَفَّدُ

---

١- المصدر نفسه، ٧/٢٦٩.
٢- نفسه ٧/٢٦٩.
٣- الجامعة ما يشبه الطوق تشدّ به الأيدي إلىٰ العنق.
٤- أمالي الطوسي: ١/٩٠؛ ومقتل الخوارزمي: ٢/٤٠.
٥- ناسخ التواريخ: ٢/٢٠.

يَـــرْنو لوالدِه ويـــرونو لحـــالِهِ وبنو أُمَّية في العَمَىٰ لم يَهْـتَدُوا[١].

كتب الخوارزمي أيضاً: حِين رَأَىٰ علي بن الحسين الذي أَنهكَهُ المَرَضُ وجَلْبُه إِلَىٰ الكوفة مغلولاً بالحديد أَهل الكوفة يبكون، قال:

إِن كانَ هؤلاء يبكون لنا، فمَن قَتَلنا إِذن؟[٢]

أَمّا البلاذري، فقد كتب في إِحدىٰ رواياتِه أَنَّ آبن زياد كانَ قد عيَّن جائزةً لجلب علي بن الحسين، ولما وَجَدُوه، وجاؤُوا به إِليه سأَلَه: ما آسمك؟

قال: علي بن الحسين.

فقال: أَما قَتَلَ الله علي بن الحسين؟

قال: كان لي أَخ يدعُونَه عليّاً قَتَلَه الناس.

فقال: كلّا، بل الله قَتَلَه. اقتُلُوا هذا.

وحينذاك صرخت زينب أَن يكفيك ما أَرقت من دمائنا.

وإِن أَردْتَ قَتْلهُ، فاقتُلْني مَعَه.

كُفَّ عنه يا آبن زياد[٣]

وكتب الخوارزمي أَنّ ابن زياد نظر إِلىٰ علي بن الحسين، وقال: من أنت؟

قال: علي بن الحسين.

فقال: أَما قَتَلَ اللهُ علي بن الحسين؟

فبقي علي ساكتاً.

فقال له: لم لا تُجيب؟

قال: كان لي أَخ يدعونه عليّاً قتله الناس.

أو قال له: قتلتُموهُ أَنتم، وسيسألكم يوم القيامة.

---

١- ديوان دعبل، تحقيق الدكتور الأشتر: ص ٢٢٩.
٢- مقتل الخوارزمي.
٣- أنساب الأشراف: ٢٠٧/٣.

قال: اللّه قَتَلَه.

فقرأ عليٌّ: «اللهُ يَتَوَفّىٰ الأَنفسَ حينَ موتها».[١]

« وما كانَ لنفس أنْ تَمُوتَ إلا بإذن الله كتاباً مُؤَجَّلاً»[٢]

قال ابن زياد: وأَنت من هؤلاء أيضاً؟ انظروا أَبالغٌ هو؟

فقال مروان بن معاذ الحمري: نعم.

قال ابن زياد: أُقتُلُوه.

في هذا الوقت قال علي بن الحسين: ومَنْ يَرْعىٰ هؤلاء النساء؟

وتعلّقت به زينب، وقالت: حَسْبُكَ ياآبن زياد ما أَرَقت من دمائنا، أَما آرْتويت مِن دَمِنا؟

أَسأَلك الله ياآبن زياد إن قتلتَهُ أَنْ تقتُلَني معه.

فقال علي بن الحسين: اسكُتي لأكلمه أَنا.

ثُمَّ قالَ له: أَتُخيفُني بالموت؟ ألا تَعلَمُ أَنَّ القتلَ شعارُنا والشهادة كرامتُنا؟

قال ابن زياد: دَعُوهُ مَعَ نَسائه[٣].

وذكَر ابنُ الأَثير أَنَّ عليَّ بن الحسين بقي ساكتاً، فقاله له ابن زياد: لم أَنت ساكت؟

قال: « اللهُ يتوفىٰ الأَنفس حينَ موتها»[٤]، «وما كان لنفس أَنْ تَمُوتَ إلا بإذن الله»[٥].

فقال ابن زياد: والله إِنَّكَ لمن هؤلاء.

أنظروا أَبالغٌ هذا الفتىٰ، أَم لا؟

أَظُنُّ أَنَّه صارَ رَجُلاً.

فقال مروان بن معاذ الأحمري: نعم هو بالغ.

---

١- الزمر/٣٩:٤٢.
٢- آل عمران/٣: ١٤٥.
٣- مقتل الخوارزمي: ٢/٤٢-٤٣.
٤- الزمر/٣٩:٤٢.
٥- آل عمران/٣:١٤٥.

فقال ابن زياد: اقتُلوه.

قال علي بن الحسين: وَمَن يرْعىٰ هؤلاء النساء؟

وتعلقت زينب بابن أَخيها، وقالت لابن زياد: إن كنت تؤمنُ باللهِ، فاقتلني مَعَه.

قال علي: إن كان بينك وبين هؤلاءِ النساءِ قرابة، فابعَثْ معهن رَجُلاً تَقِيّاً، يصحبهُنَّ بصحبة الإسلام.

نظر ابن زياد قليلاً، وقال: « عجباً للرحم، والله إني لأظنها ودّت لو أني قتلتها معه دعوا الغلام ينطلق مع نسائه»[١]

أَمّا الزبيريّ الذي كتابتهُ أَقْدَمُ سَنَدٍ ذُكِرَ، فقد روىٰ القِصَّةَ علىٰ هذا النحو:

قال علي بن الحسين: بعدما قال عُمر بن سعد: لا يتعَرَّضَنَّ أَحد لهذا المريض، سترني رجل من أُولئكَ، وأَكرمني، وكلّما جاءَني أَو خَرَجَ بكىٰ. فأَقُول: إن يكن عند رَجل من أهل الكوفة خير، فعند هذا، فبينا أنا ذات يوم عنده إذا نادَىٰ منادي ابن زياد: مَنْ كان عنده علي بن الحسين فليأت به، وله ثلاث مائة دِرْهم، فَدخل وهو يبكي ويقول: أخاف منهم، فربط يَدي إِلىٰ عُنُقي وسلمني إليهم، وَأخذ الدراهم»[٢].

ولشمس الدين محمد الذهبي رواية في هذا الشأن جديرة بالقراءة هي أَنَّ علىَّ بن الحسين قال: حين خرجت إِلىٰ الكوفة رآنا رجل، وأَخذنا إِلىٰ داره، ودثَّرني بلحاف، فنمتُ حتىٰ أَيقظتني ضَجّة الفرسان، ثم أخذونا إِلىٰ يزيدُ، وإِذ رَآنا بكىٰ، ثمَّ أَعطانا كلّ ما كنَّا نُريد. وقال لي: سيفعل أهل مدينتك فِعلا، فلا تكن معهم.

جئت بهذِهَ الكتابات مكررة، ليعلَمَ القارئون أنواع ما عَرَضَهُ الرواةُ للحادثة، وليَعْلَمُوا كيفَ سُوِّيَتَ الأَدلّة لمصلحة الأُسرة الأموية.

قال علي بن الحسين: حين خرجنا إِلىٰ الكوفة رآنا رجل، وأخذنا إِلىٰ دارِهِ، ودَثَّرني بلحاف.

---

١- الكامل في التاريخ: ٢٩٧/٣؛ اللهوف: ٦٨.
٢- تذكرة الخواص: ٢٥٨؛ نسب قريش: ٥٨.

كاتب هذه السيرة لم يفكِّرْ كيف يَستطيع أسيرٌ رجلاهُ في السلاسل ورقبته في الأَغلال أَنْ يَذهب إِلىٰ دار أَحد، وينام هُناك ملتحفاً؟

لو فرضنا أَنّه لم يقيّد بالسلاسل، كيف سَمَحَ له آسرُوه الذين جَلَبُوهُ مِنْ كربلاء إِلىٰ الكوفة أَنْ يذهب حيث يُريد؟

فضلاً عن هذا كيف أُخِذ هؤلاء الأسرىٰ مِنْ منزل هذا الرجل إِلىٰ يزيدَ دُفعةً واحدة؟

وَأَشدّ مِن هذا إضحاكاً إخبار يزيد بالغيب: « سيفعل أَهْل مدينتك قريباً فعلاً، فلا تكن معهم».

ما كان يزيد يعقل سياسة بلاده اليومية، ولو كان يعقلها لما مارس تلك الأفعال غير المثمرة.

كاتب السيرة هذا يراهُ سياسياً بصيراً حتّىٰ إِنّه يتوقّع حادثة السنة اللاحقة!.

من هذه التقارير المتنوّعة المشار إليها قصة استخفاء علي بن الحسين عليه السلام في بيت رجل بالكوفة وهي غير مقبولة كيفما كانت، لأن ابن سعد وجنودَه فعلوا بأُسرة الحسين عليه السلام ما قرَّره الإسلام في شأن الكافر المحارب! فيجبُ قَتْلُ مَنْ لم يبلغوا وأسَر النساء والأطفال!!.

أولئك نقلوا الأسرىٰ من كربلاء مغلولين مقيّدين، وأَمَّروا عليهم الجند، لئلّا يفِرّ أَحدٌ منهم، وجلبوهم إِلىٰ قصر ابن زياد.

إِنّنا يجب ألا نتوقَّع منهم غير هذا، فقد كانوا يرون هذه الحوادث جزئية وغير لائقة بالكتابة إِضافة إِلىٰ أَن التواريخ الأُولىٰ دُوِّنت في عهد الحكومة العّباسية وشِدَّتها علىٰ آل علي عليه السلام وهذا نفسه موجب ألا يُكتَبَ كثير من المناقشات، إلا ما وافق إرادة الحكومة.

وطبيعيٌّ أَيْضاً أَنْ ينسىٰ كثير من الحوادث المكنونة في ذاكرة الرواة بمرور السنين الطوال.

وفي اللهوف الذي هو من تأليف السيد ابن طاووس يُشاهَدُ تقرير مفصَّل، إِذ يكتب:

عندما بلغ الأَسرىٰ الكوفة خطبت زينب، ففاطمة الصغرىٰ ثمّ أُمُّ كلثوم - عليهنّ السلام - في تأنيب أهل الكوفة وتعنيفهم.

ولمّا أَخذ الحاضرون بالعويل والبُكاء، ونثر النساءُ شعورهنَّ أَشار علي بن الحسين إلىٰ الناس أن يَسكُتوا، وحين سكتُوا قال: أَيُّها الناسُ! من عرفني، فقد عرفني، ومَنْ لم يَعرفني أُعّرفه نفسي.

أَنا علي بن الحسين بن علي بن أَبي طالب.

أنا ابن من هتكت حرمته، وسُلبت نِعمته، وانتُهب مالُه وسبي عياله،

أنا ابن من المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا تراث.

أنا ابن من قتل صبراً وكفىٰ بذلك فخراً.

أيها الناس! هل تعلمون أنكم كتبتم إلىٰ أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة فقاتلتموه؟

فتباً لكم، وسوأة لرأيكم، بأية عين تنظرون إلىٰ رسول الله إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي.

فَعَلا الصياح فجأة، وَتَلاوَمَ الناس.

فقال علي بن الحسين: رحم الله امرءاً قَبل نصيحتي، وحَفظ وصيتي في الله وفي رسوله، فإنّ لنا برسول الله أسوة حسنة.

فصاحوا: نحن سامعون مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فَمُرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك، وسلم لسلمك، نبرأ ممن ظلمك وظلمنا.

فقال -عليه السلام-: أيها الغَدَرة المكَرة، حيل بينكم وبين ما تشتهون. أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلىٰ أبي من قبل؟

كلا وربّ الرّاقصات فإنّ الجرح لمّا يندمل.

قتل أبي بالأمس وأهل بيته، ولم يُنس ثُكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي، فإنّ وجده والله لَبين لهاتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصته تجري في فراش صدري.

فلا تكونوا لنا، ولا علينا.

وأنشد هذه الأبيات :

ولا غرو في قتل الحسين فشيخه ... لقد كان خيراً منه وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفة فالذي ... أُصبنا به من قتْله كان أعظما
قتيل لشطّ النهر روحي فداؤه ... جزاء الذي أرداه نار جهنما[1]

وعلىٰ ما كتبنا ما كان وضعُ الزمان والمكان يسمح بهذه الخطب في طلوع القافلة علىٰ الكوفة ووصولها إلىٰ قصر الإمارة. كما أنّ شدّة مأموري الحكومة وانعدام رحمتهم، وخوف الكوفيين منهم وما كان فيهم من الضعة تجعل قبول هذا التقرير صعباً نظير ما كتبه صاحب اللهوف.

ولا يستبعد أن يكون الرواة قد خلطوا الحوادث بمرور الزمان.

علىٰ كلّ حال، إن حدث بين الإمام وأهل الكوفة حديث، فالقاعدة أن يكون قصيراً منذ مجيء الأسرىٰ إلى المدينة حتّىٰ ورودهم علىٰ قصر أمير الكوفة، لأنّ مأموري ابن سعد المرافقين للقافلة ما كانوا يعطونه هو والأسرىٰ الآخرون مقداراً من الحرية ليكون له حديث طويل إلىٰ الناس.

وممكن أن تكون كثرة الناس التي أثقلت طريق الأسرىٰ قد أتاحت لابنة أميرالمؤمنين الحديث إلىٰ الناس.

كتبنا مرّات في تحليل نفسية الناس في هذه المدينة أنّهم متلوّنون والمؤرّخون الاجتماعيون القدماء متفقون علىٰ أنّ أولئك يهيجون سريعاً ويخبون سريعاً، يغضبون بسماع حديث، ويرقّون برؤية حال.

أولئك استقبلوا سفير الحسين بمثل هذا الهيجان، وسلّموه إلىٰ ابن زياد بمثل هذا الخنوع، وأقفلوا منازلهم عليهم بلا مروءة، وقعدوا مطمئنّين حتىٰ قتل ابنُ سعد وجنودُه الحسينَ وأصحابَه، والآن جاؤوا بنسائه وأطفاله إلىٰ المدن أسرىٰ.

عرفت الكوفة بنات عليعليه السلام فما مضىٰ إلىٰ الآن أكثر من عشرين عاماً علىٰ شهادة أمير

---

١- اللهوف: ٦٦- ٦٧.

المؤمنين، فمن كنّ في الثلاثين وأكثر منها كنّ قد رأين بأمّ أعينهن مكانة زينب في نظر المسلمين ومحبّة أبيها لها.

وطبيعيّ أيضا أن تؤَثِّر ذكرياتُ الحوادث الماضية وسوء معاملة ابن زياد لأسرة الرسول وعلي التي هي الآن أسيرة إزاء أعينهم، ولا يستبعد أن تكون كتابة كتّاب المقتل صحيحة، وهي أنّ بكاء الناس علا حين كلّمهم الإمام السّجاد كلاماً موجزاً، وشكا ظلم أهل الكوفة لأبيهِ وأَعمامه وأصحابِه.

ولا يستبعد أيضا أن يكون عدّة من هؤلاء الناس المتلوّنين قد قالوا له: نحن بأمْرِك، نفعل ما تأمُر، ونحاربُ من تُريد.

ولا يبعد أن يكون علي بن الحسين الذي رأىٰ كذب هؤلاء الناس وجُبْنهمُ، وعَلِم عِلم اليقين أنّ هؤلاء الجنود الذين يرافقون القافلة لو صاح بهم صيحةً، لهربوا جميعاً، ووَلّوا إلىٰ ديارهم، قد قال:

هيهات أيها المكارون، فالجرح لمّا يندمل، لا تكونوا لنا، ولا علينا.

نظر ابن زياد إلى الأسرىٰ في السجن مرّةً، وكتب إلى الشام يسأل عمّا يفعل بالأسرىٰ. وبعث برسالة إلىٰ عمرو بن سعيد بن العاص حاكم المدينة يطلعه فيها علىٰ ما جرىٰ في كربلاء.

وأجاب يزيد عبيدالله أنْ سرّح إليّ بالأسرىٰ والرُّءُوس.

فغل عبيدالله عليّ بن الحسين وسرّح به هو والأسرىٰ مع محفّز بن ثعلبة إلىٰ دمشق[1].

---

١- الطبري: ٤/٢٥١.

## مسير السبايا

فيا ليت أمي لم تلدني ولم يكن يزيد يراني في البلاد أسير[١]

في حين تتبّع المؤرخون القدماء مسير القافلة من مكة إلىٰ كربلاء مِن منزل لمنزل، ودوّنوا أكثر الحوادث التي حدثت لها في أثناء الطريق لا نجد في المصادر الأولىٰ خبراً دقيقاً عن مسيرها إلىٰ دمشق.

وفي بحثي عن ذلك وجدت أبا مخنف وحده قد فصّل ذلك.

وما جاء في «أسرار الشهادة» و«ناسخ التواريخ» والسِّيَر المتأخرة مأخوذ من هذا المصدر.

لكن يجب القول: إنّ النسخة الباقية من مقتل أبي مخنف تناولتها أيدِىٰ الزيادة والحَذف مراراً، وغير معلوم أيّها النسخة الأصلية.

وفي شأنِ المؤلّف مجال للحديث أيضاً.

وعلىٰ وفق هذا المصدر أخذوا القافلة إلىٰ دمشق* من طريق شرقيّ حصاصة[٢] وتكريت أعمىٰ، ودير عروة وصليتا ووادي نخلة وارمِيناء لِبّا[٣] وكُحيل[٤] وجهينة[٥] وتل أعفر[٦] وسنجار[٧] ونصيبين[٨] وعين الورد[٩] ودعوات وقنّسرين[١٠] ومعرّة

---

١- قول منسوب للإمام علي بن الحسين عليه السلام.

* كل التفاسير الواردة في الحاشية مأخوذة من معجم البلدان.

٢- من قرىٰ السواد وتوابع الكوفة قرب قصر ابن هبيرة.

٣- بين بلد وعقر من أرض الموصل.

٤- مدينة كبيرة علىٰ دجلة بين الزابين أعلىٰ من تكريت من الجانب الغربي.

٥- قرية كبيرة من نواحي الموصل.

٦- قلعة وأرض بين سنجار والموصل.

٧- مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام.

النعمان[١١] وشيزر[١٢] وكَفْرطاب[١٣] وسيبور وحماة[١٤] وحمص[١٥] وبعلبك[١٦] وحرّان[١٧].

فماذا جرىٰ لهؤلاءِ المصاحبين في هذا الطريق الطويل في ظل حراسة من لا يعرفون الله وشدّتهم؟

وخط السير هذا علىٰ أساس رواية في كتاب المقتل المنسوب لأبي مخنف، وجاء بها كتّاب المقتل في كتبهم علىٰ ما قلنا.

لكن لا يمكن أَن نقطع بصّحة ترتيب المنازل، فالقافلة التي كانت تذهب من تل أعفر إلىٰ نصيبين لا يلزمها أَن تعودَ إلىٰ سنجار.

وبالعكس يجب علىٰ قافلة كانت تذهب من حرّان إلىٰ دمشق أن تطوي منازلَ، حتّىٰ تصل إلىٰ حماة وحمص.

هل هذا التخليط ثمرة الإهمال أو عدم المعرفة بالوضع الجغرافّي وطريق القافلة في ذلك العصر؟.

غير معلوم.

وما يظهر أنه الصحيح أَنّ القافلة طوت المنازل علىٰ الترتيب الآتي:

تكريت، الموصل، لبا، كحيل، تل اعفر، نصيبين، حرّان، معرّة النعمان، شيزر، كفرطاب، حماة، حمص. وطبعاً كانت مضطرّةً للتوقّف في القلاع والواحات بين المنازل.

---

٨- مدينة عامرة من بلاد الجزيرة علىٰ طريق القوافل من الموصل إلىٰ الشام.
٩- موضع بين حرّان ونصيبين.
١٠- مدينة كان بينها وبين حلب من جانب حمص مسافة منزل، وخَربتْ في حملة الروم.
١١- مدينة كبيرة من أعمال حمص بين حلب وحماة.
١٢- قلعة مشتملة علىٰ مدينة في الشام قرب معرّة النعمان.
١٣- مدينة بين المعرة وحلب.
١٤- مدينة كبيرة كثيرة الخيرات عامرة الأسواق.
١٥- مدينة مشهورة بين دمشق وحلب.
١٦- مدينة قديمة ذات آثار عظيمة وعجيبة.
١٧- مدينة قديمة جدّاً ومشهورة.

والنزول في بعلبك أَغرب شيءٍ في مسير هذه القافلة.

قصّة سمعتموها وقرأتموها مراراً.

تشاهد في كتب المقتل أَبيات نظمت في منازل الطريق، ونسبوها إلىٰ الإمام علي بن الحسين -عليهما السلام-:

ساد العلوج فما تَرضَىٰ بذا العربُ ... وصار يقدُمُ رأسَ الأُمّة الذَّنَبُ

يا لَلرجال لما يأتي الزمانُ بهِ ... من العجيب الذي ما مِثْلُهُ عَجَبُ

آلُ الرسولِ علىٰ الأقتاب عارية ... وآل مروان يسري تحتهم نُحبُ

وفي منزلٍ عند ديرٍ لراهب[1] أنشدَ هذه الأبيات:

هوىٰ الزمانُ فما تفنىٰ عجائِبُهُ ... عنِ الكرامِ ولا تَفنىٰ مصائبُهُ

فَلَيْتَ شِعري إلىٰ كم ذا تجاذبنا ... صُرُوفُهُ وإلىٰ كم لا نُجاذِبُهُ

يُسيِّرونا علىٰ الأَقتاب عاريةً ... وسائقُ العِيسْ يَحْمي عنه غاربُهُ

كأنّنا من أُسارىٰ الرُّوم بَيْنَهُمُ ... أَو كُلّما قالَهُ المختارُ كاذِبُهُ

كَفَرْتُمْ بِرسُولِ اللهِ ويَلكُمُ ... يا أُمّةَ السّوءِ قد ضاقت مَذاهِبُهُ

لكنَّ سبك هذِه الأشعارَ ومعانيها تجعلنا نتردّد في قبول نسبتها إلىٰ الإمام علي بن الحسين -عليه السلام- وليسَ بعيداً أَن يكون أَحدُ الشعراءِ المحبّينَ لآل رسولِ الله -صلّىٰ اللهُ عليه وآلِه- المعادين لآل أَبي سفيان قد نظمها.

فجملة «فما ترضىٰ به العرب» في القطعة الأُولىٰ واضحة أَنَّ الشعر قائم علىٰ المفاخرة القومية والعنصرية لا علىٰ أساس امتيازات معنوية ودينية.

فضلاً عن هذا الاستِبعاد، فإنّهم كتبوا أَنّ الإمام علي بن الحسين -عليه السلام- لم يُكلّمْ أَحداً طوالَ الطريق من الكوفة إلىٰ الشام.

---

١- يظهر أن هذا المنزل هو حرّان، وقد كتب المجلسي في بعض الكتب أنّ علي بن الحسين أنشد هذه الأبيات قرب بعلبك. البحار: ٤/١٢٦-١٢٨.

## ندم الظالمين

«ويوم يَعَضّ الظالم علىٰ يديه»[١]

مذ دخلت الشام الإسلام حكَمها أمثال خالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان.

فأهلها لم يصحبوا رسول الله، ولا كانوا يعرفون سيرة أصحابه.

وأصحاب رسول الله الذين ذهبوا إلىٰ تلك البلاد، وسكنوها كانوا متناثِرينَ فيها ولا نفوذ لهم في العامّة.

في النتيجة كان أهل الشام يحسبون سيرة معاوية بن أبي سفيان وأُمرائه سنّة إسلاميّة.

ولأَنَّ نظام الأباطرةِ الروم كان حاكماً عليهم مئات السنين، ورأوا معاملة الحكومات الإسلامية أَعدل مِن معاملته لذلك كانوا يرون صحة أعمالهم.

جاءَ غرس النعمة[٢] بقِصّة في كتابه أشبه بالفكاهة منها بالواقع التاريخي، وهي كاشف عن عقلية أهل الشام في ذلك العصر، وأنا أجيء بهذه القصة، لأنّها مبيِّنة لطرف مِن الاجتماع الغافِل في إحدىٰ الولايات الإسلامية المهمة في ذلك العصر:

بعث عبدالله بن علي جماعة من مشايخ الشام إلىٰ السفَّاح علىٰ أَنهم أَعقل وَأَعلم أهل هذِه البلاد، وكلُّهم يقسمونَ أَنهم لا يعرفُونَ أَنَّ لرسول الله ذوي قُربىٰ غيرَ بني أُميَّةَ مذ ورثوهُ حتّىٰ أَصبحت أَميرا[٣].

وبناءً علىٰ هذا ليس عجيباً أَن نَقرأ في المقاتِل أَنّ شيخاً وَقَف علىٰ علي بن الحسين عليه السلام

---

١- الفرقان/٢٥: ٢٧.

٢- هو محمدبن هلال الصابيء مؤلف الهفوات النادرة الذي حقّقه الدكتور صالح الأشتر، وطبعة سنة ١٣٧٨ هـ المترجم.

٣- الهفوات النادرة: ٢٧١؛ ومروج الذهب: ٢/٧٢.

عند وصول الأسرىٰ إلىٰ دمشق، وقال: الحمدلله الذي قتلكم، وأَفناكم، وأراحَ الناس منكم، ونصر أمير المؤمنين عليكم.

وسكت علي بن الحسين، حتّىٰ أَفرغ الشاميّ ما في قلبه، ثمّ سأَلَه: هل قرأت القرآن؟

- نعم.

- هل قرأت هذه الآية: «قل لا أَسألكم عليه أَجراً إلاّ المودَّةَ في القربىٰ»(١).

- نعم.

- وهذه الآية: «وآتِ ذا القُرْبىٰ حقّه»؟(٢).

- وهذه الآية:«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»(٣).

-يا شيخ! هذه الآيات نزلتْ في حقِّنا.

نحن ذوو القُربىٰ، نحن أَهل البيت المطَّهرون من كلّ سُوء.

عرف الشيخ أَنَّ ما سمِعَه في شأن هؤلاء الأسرىٰ ليس صحيحاً، فهم ليسوا بخوارج وإنّما أَبناءُ الرسول. وندِمَ علىٰ ما تفوَّهَ به، وقال: اللهمّ! إني أَتوبُ إليكَ من بغض هؤلاءِ الذي كان في قلبي(٤).

كتبوا أَنّ إبراهيم بن طلحةَ بن عبيدالله الذي كان في الشام في ذلك الحين ذهب لاستقبالِ القافلة، وإذ رأَىٰ علي بن الحسين سَأَلَهُ: من المنتصرُ الآن؟

وفي هذا لكلام إشارة إلىٰ حرب الجمل التي دارتْ بين جيش علي عليه السلام وجيش طلحة والزبير، وقُتِلَ فيها طلحةُ أبو إبراهيم.

قال علي بن الحسين عليه السلام: «إذا أردت أَن تعرف من المنتصِر، فردد عند الصلاةِ الأذان والإقامة(٥).

---

١- الشورىٰ/٤٢: ٢٢.
٢- الاسراء/١٧: ٢٦.
٣- الأحزاب/٣٣: ٣٣.
٤- مقتل الخوارزمي:-٢/٦١- ٦٢؛ واللهوف: ٧٤.
٥- أمالي الطوسي:٢/٢٩٠

أَتعلمون أَنّ طلحة أَبا إبراهيم كانَ أحد السابقين إلىٰ الإسلام وأحد المهاجرين الأوائل وأَحد العشرة المبشرةِ بالجنة علىٰ ما يقولون؟.

طلحة هو الذي حمل الرسولَ، علىٰ رغم جرحه في معركة أُحد ليعلمَ المقاتلون أَنَّه حيّ!.

لكنّه بعد ربع قرن من رحلة الرسول شَهَر سيفه في وجه الإمام الذي بايَعه، وقال ابنُه ما مَرَّ لحفيد عليّ.

وبكلام ابن طلحة تتضح نقطة هي أَنَّ أَبناءَ كبار المهاجرين وأَشراف قريش ما كانوا يعرفون قط ما يجب أن يكون المسلم.

وإذا أَظهر آباءُ أولئك تضحية في حروب عَهد النبيّ، لربَّما كان ذلك لأجل انفتاح باب جديد لهؤلاء لبلوغ المال والمقام.

ولو صدق أُولئِكَ في السعي إلىٰ الله، لما انحدَر إيمان هؤلاء إلىٰ هذه الدرجة.

وإلاّ كيف يمكن عدُّ حرب الجمل أو فتح مكّة وحادثة كربلاء نصراً لبني هاشم أو بني أُميّة.

وكيف فرح ابن المهاجر هذا -وهو ليس من الأمويين- بانتصار الأمويين في معركة مقابل معركة بدر، هي معركة الطفّ علىٰ الهاشميين الذين قُتِل أَبوهُ في مواجهتهم.

وعلي بن الحسين عليه السلام أَجابَهُ بأَنَ الصراع هو من أَجل التكبير والأذان والتوحيد، لا من أَجل رئاسة بني هاشم أو بني أُميَّة.

## إملاء الله للكافرين

«ولا يَحْسَبنَّ الذين كفروا أَنّما نُملي لهم خير لأنفسهم»[١]

جاؤوا بالأسرىٰ إلىٰ قصر ابن معاوية.

كتب الذهبي أَنهم أَتوا بعليّ بن الحسين إلىٰ مجلس يزيد مغلولاً[٢].

وكتب ابن عبد ربِّه بإسناده إلىٰ محمد بن الحسين[٣] أنه قال:

أُتي بنا إلىٰ يزيد بن معاوية بعدما قُتِل الحسين، ونحن اثنا عشر غلاماً، وكان أكبرنا يومئذ علي بن الحسين، فأُدخلنا عليه، وكان كل واحد منّا يده مغلولة إلىٰ عُنُقة[٤]. وإذ وَضَعُوا رأس سيّد الشهداء بين يديهِ تمثَّل بقول حصين بن الحمام المُرّي:

يُفَلِّقْنَ هاماً مِن رجالٍ أَعِزَّةٍ ... علينا وهم كانوا أَعَقَّ وأظلَما

فقال له علي بن الحسين: كتاب الله أولىٰ بك من الشعر، يقول اللهُ: «ماأَصابَ مِن مُصِيبةٍ في الأرض ولا في أَنفُسكم إلاّ في كتابٍ من قَبلِ أَنْ نَبرأَها إنَّ ذلك علىٰ اللهِ يسير لكي لا تأْسَوا علىٰ ما فاتكم ولا تَفرَحُوا بما آتاكم والله لا يُحبُّ كلَّ مختال فخور»[٥].

فغضب يزيدُ، وجعل يعبث بلحيته، ثمّ قال:

غير هذا من كتاب الله أَولىٰ بِكَ وبأَبيك، قال الله: «وما أَصابكم من مصيبةٍ فبما كسبتْ أَيديكم ويعفو عن كثير»[٦].

---

١- آل عمران/٣: ١٧٨.
٢- سير أعلام النبلاء: ٢/٢١٦.
٣- الظاهر أنّه محمد بن الحسن.
٤- إلىٰ هنا انتهىٰ الإسناد إلىٰ محمد المذكور آنفاً في العقد، وقد جمع المؤلف بينه وبين ما بعده، وهو ليسَ منه سهواً. (المترجم).
٥- الحديد/٥٧: ٢٢-٢٢.
٦- الشورىٰ/٤٢: ٣٠.

ما ترون يا أَهلَ الشام في هؤلاء؟

فقال له أَحد المتملِّقين كلاماً غير مؤدَّبٍ لا يليق ذِكرُهُ، ومضمونه: لا تَدَعْ أَبناءَ مَن قَتلتَهم [أحياءاً].

وقال له النعمان بن بشير الأنصاري:

انظُر ما كان رسول الله ﷺ يصنعهُ بهم لو رآهم في هذه الحال، فاصنعه بهم»[1].

وكتب الطبري القصّة بنحو آخر، فقال:

فقال يزيد لعلي: يا عليّ أَبوكَ الذي قَطَعَ رحمي وَجَهِلَ حقّي، ونازعني سلْطاني، فصَنَعَ الله به ما قد رأيت.

فقرأ عليّ قوله – تعالىٰ –: «ما أَصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أَنفُسكم إلاّ في كتاب مِن قبْلِ أَن نَبْرأَها»[2]. فقال يزيدُ لابنِه: أُرْدُد عليه.

فما دَرَىٰ خالد ما يَرُدُّ عليه.

فقال له يزيد:

قُلْ: ما أَصابَكُم من مُصِيبةٍ فبما كَسَبَتْ أَيديكم ويعفو عن كثير»[3].

وكتب الخوارزميّ أَنّ علي بن الحسين تقدَّمَ حتّىٰ وقف بين يدي يزيد، وقال:

لا تَطمَعُوا أَنْ تهينُونا ونُكْرمكُمْ ... وأَن نكُفَّ الأَذىٰ عنكم وتُؤْذُونا

فاللهُ يَعلَمُ أَنّا لا نحِبّكُمُ ... وَلا نلومَنّكم إِنْ لم تُحِبّونا

قال يزيد: صَدَقْت، لكنّ أَباك وجدّك أَرادَا أَن يكونا أَميرَيْن، فالحمدُ للهِ الذي قَتَلَهُما، وأَراقَ دَمَهُما.

ثمّ قال: يا عليّ أَبوك الذي قطعَ رحمي، وجَهِل حَقّي، ونازعني سُلطاني، فصنع الله به ما قد رَأَيت.

---

١- العقد الفريد: ٥/١٢١.
٢- الحديد/٥٧: ٢٢.
٣- الشورىٰ/٤٢: ٣٠.

فقرأ علي بن الحسين عليه السلام قولَه تعالىٰ:

«ما أصابَ من مصيبةٍ في الأرضِ ولا في أَنْفُسِكُم إلاّ في كِتاب من قبل أَن نَبْرأَها»[١].

فقال يزيد لابنهِ خالد: أَرْدُدْ عليه.

فما دَرىٰ خالدٌ ما يَرُدُّ عليه.

فقال له يزيد: «قل: ما أَصابكُمْ من مصيبةٍ فبما كَسَبَتْ أَيْديكُم ويعفو عن كثير»[٢].

قال علي بن الحسين: كانت النُبوّةُ والحُكْمُ لأبي وأجدادِي - قبل أَنْ تأتي أَنت إِلىٰ الدنيا يا ابن معاوية وهند وصخر.

كان لواءُ رسولِ اللهِ في بدر وأحد والأَحراب في يد أَبي، ولواء الكافرين في يَد أَبيك وجَدِّك.

ثُمَّ أَنشد:

ماذا تـقولون إذ قـالَ النـبيُّ لكُـم ... مـاذا فَـعَلْتُم وَأَنـتُم آخـر الأُمَـمِ

بِـعِتْرتي وبِأَهْـلي بـعدَ مُـفتَقَدي ... منْهُم أُسارَىٰ ومِنهُمْ ضُرِّجُوا بِدَمِ

ثمَّ قال: لو عَلمتَ يا يزيدُ ما فَعَلْتَ وما أَنزلتَ بأبي وأَخي وبني عمّي وَرهْطي، لهربتَ إِلىٰ الجبال، وأفترشْتَ الرِّمال، ورُحْتَ تَصْرُخ فيها.

رأسُ أَبي الحسين بن عليٍّ وفاطمة الذي هو وديعة رسولِ الله مَرْفوعٌ علىٰ بابِ مدينتكم!؟.

لن يكون لك يومَ القيامةِ الذي تأتي فيه الخلائق غير الذّلِّ وَالندم.

لكنّ ما كتبه الخوارزمي من تقرير لهذا المجلس، وشُوهِدَ في تاريخ ابن الأَعثمَ أَيضاً[٣] غير صحيح، لأنّ الإمامَ عليَّ بن الحسين عليه السلام لم يكُن في موقع يَسْمَحُ له أَن يتمثَّلَ بالشِّعْر.

وهذا الشعر لفضل بن العبّاس بن عتبة بن أَبي لهب أَنْشَدَهُ بعد سنوات من هذِه الواقعةِ

---

- الحديد|٥٧: ٢٢.
- الشورىٰ|٤٢: ٣٠.
- الكامل لابن الأثير: ٨٦/٤.

في مَدح عبد الملك ولومِ الهاشميين.

ولم يَرَ أَنّ منْ شَأنِه مفاخرة يزيد. وذلكما البيتان منسوبان لزينب عليها السلام وعدَّة نفر غيرها والقسم الآخَرُ من الكلام مَقْتطفٌ من خطبة زينب في مجلس يزيد.

كتب ابن الأثير أنّ فاطمة بنت الحسين التي هي أصغر من سكينة، قالت:

- يا يزيدُ! بنات رسول اللهِ سبايا؟

- قال يزيد: لا يا آبنة أَخي.

- قالت: لم يَدَعُوا لنا قرطاً.

- قال: سَأُعطيكُنَّ أَكثر ممّا أَخَذُوا منكنّ[1].

كتب الزبيري أَنَّ رجلاً شاميّاً نهض وقال: هؤلاء النساء حِلٌّ لنا.

فقال علي بن الحسين: كذبتَ، لا يكون لك ذلك، إلاّ أَنْ تَخْرجَ مِن ملّتِنا.

فطأْطأَ يزيد رأْسه، ثمّ قال لعلي بن الحسين: إنْ أَحْبَبْتَ أَقمتَ معنا، وإلا أَرسلناك إلىٰ المدينة[2].

وكتابة ابن الأَثير أَقرَب إلىٰ الحقيقة، فقد قال بعد كلام فاطمة: نهض رجل شاميّ، وقال ليزيد: هَبْ لي هذه.

فَأَخَذَت بثياب زينبَ التي قالتْ له: كذبتَ ولَؤُمتَ، والله ما ذلكَ لكَ إلاّ أَن تخرج من ملَّتِنا، وتَدْينَ بِدِينِ غيرنا.

فغضِبَ يزيدُ واستطار غضباً، ثمّ قال: إيّايَ تستقبِلينَ بهذا، إنّما خرج من الدّين أَبوك وأَخوك.

فقالت زينب: بدين اللهِ ودين أَبي ودين أَخي وَجَدِّي اهتديتَ أَنتَ وأبوكَ وجدُّك.

قال: كذبت ياعدوّة الله.

قالت: أَنت أمير مُسلّط تشتمّ ظالماً، وتقهر بسلطانِك.

---

١ـ نفسه ٤/٨٦.

٢- نسب قريش: ٨٥.

وكأنّهُ آستحيا وسكت[١].

كما ترون قسم من الكلام المنسوب ليزيد وابن زياد مُتشابِه من ناحية. وما ذكـرهُ المؤرِّخون ممّا جرىٰ في ذلك المجلس ليس موحّد العبارات من ناحية.

وما يجب انتظارُ تَوحُّدِها طبعاً، فالحديث الذي قيل في مثل هذا المجلس وسَمِعَه عددٌ من الحاضرين لم يكن تعبيرُهم عنه واحداً عند إعادته للآخرين. فضلاً عن أَنّ أَحدهم يقولُ للآخر من خوفٍ أو رجاء علىٰ ما يرىٰ مصلحته فيه، لا أَنّه يقول ما حدث.

فضلاً عَما مضىٰ، فإنَّ كُلَّ كاتب يُغيِّر ويبدّل فيما سَمِع أو ما وصل إليهِ في تمادي السنين الطوال بِحَسبِ المِلَل والنِّحَل.

ويمكن أَن نحدس حدساً لعّله قريب من الواقع، وهو أَنّ النقاشات التي جرت في قصر دمشق بين يزيد والأسرىٰ أكثر ملاءَمةً من تلك التي كانت في قصر ابن زياد بينه وبين الأَسرىٰ، لأن عبيدالله لم يكن يرع الأسْرَىٰ وحاضري مجلسه تعاظماً وتفاخُراً بخِدمتِه، في حين أَنّ يزيد لم يخش أَحداً، حتّىٰ إن محفِّز بن ثعلبة حين بَلَغَ مدخل قصره بالأَسْرَىٰ عـبّر تعبيراً قبيحاً أَزعج الحاضرينَ قَطْعاً ونفّرهم، وشعر يزيد بأنّه ارتكب خطأً كبيراً، فردَّ عليهِ قوله، قائلاً: ما وَلَدَتْ أُمُّ مُحفّز شَرٌّ وَأَلأَم[٢].

والظاهر أَنَّه أَرادَ أَنْ يخُفِّفَ عدم آرتياح الحاضرين، والظاهر أَيضاً أَنَّه سعىٰ أَنْ يتحدَّثَ بفظاظةٍ أقلَّ مما هو عليه.

وفي هذه الأيام دعا يزيد خطيبَ دمشق، وقال له:

أُعلُ المِنْبَر، واذكر الحسينَ وأَباه بسوء.

وفعل الخطيب ما طُلِبَ منه، فصرخ علي بن الحسين عليه السلام به قائِلاً:

ويْلٌ لكَ أَيّها الخطيب! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوأْ مقعدَكَ من النّار.

ولعلّه في هذا اليوم أو يوم آخر طلب من يزيد أَن يعلو المنبر، ليقول ما يُرضي اللهَ، وَمع

---

١- الكامل: ٤/٨٦.

٢- اللهوف: ٧٨.

أَنّ يزيد ما كان يُريدُ ذلك سَمَحَ له به.

فاعتلىٰ الإمامُ المنبر، وقال:

يا معشر الناس: من عرفني، فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا أُعِّرفه نفسي. أَنا ابن مكَّة ومنىٰ، أنا ابن مروة والصفا، أنا ابن محمد المصطفىٰ، أَنا ابن من لا يخفىٰ، أنا ابن مَن علا فاستعلىٰ، فجاز سدرة المنتهىٰ، وكان من ربِّه كقاب قوسين أَو أَدنىٰ، أنا ابن من صلّىٰ بملائكة السماء مثنىٰ مثنىٰ، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، أنا ابن علي المرتضىٰ، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرىٰ، أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المحزوز الرأس من القفاء، أنا ابن العطشان حتّىٰ قضىٰ، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرِّداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجنُّ في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن مَن رأسه علىٰ السنان يهدىٰ، أنا ابن من حرمه من العراق إلىٰ الشام تُسبىٰ.

أيها الناس إن الله – تعالى وله الحمد – ابتلانا أَهل البيت ببلاء حسن، حيث جعل راية الهُدىٰ والعدل والتّقىٰ فينا، وجعل راية الضلالة والردىٰ في غيرنا.

فَضَّلنا أَهل البيت بست خصال:

فَضَّلنا بالعلم والحلم والشجاعة والسماحة والمحبَّة والمحلَّة في قلوب المؤمنين، وآتانا ما لم يُؤت أَحداً من العالمين من قبلنا. فينا مختلف الملائكة وتنزيل الكتب.

قال: فلم يفرغ حتَّىٰ قال المؤذن: الله أكبر.

فقال عليّ: اللهُ أكبر كبيراً.

فقال المؤذّن: أشهدُ أن لا إله إلاّ الله.

فقال عليّ بن الحسين: أشهد بما تشهد به.

فلما قال المؤذّن: أشهدُ أنّ محمداً رسولُ الله.

قال علي: يا يزيد هذا جدِّي أم جدُّك؟
فإن قلت: جدّك، فقد كذبت.
وإن قلت: جدّي، فلِمَ قَتَلت أَبي، وسبيت حُرَمَهُ، وسَبَيْتني؟
ثُمَّ قال: معاشر الناس، هل فيكم مَنْ أَبُوه وجدُّهُ رسول الله ﷺ؟
فَعَلتِ الأصواتُ بالبُكاء.(١)

كتب أَبو الفرج الإصفهاني أَن يزيد «أمرهُ أَن يصعد المنبر، فيعتذر إلىٰ الناس ممّا كان مِن أَبيهِ. فصعد المنبر، فحمدَ الله وأَثنىٰ عليه، وقال: أَيها الناس! من عَرَفني فقد عَرفني، ومن لم يَعرفني، فأَنا أُعرِّفُه بنفسي. أنا عليّ بن الحسين، أنا ابن البشير النذير، أنا ابنُ الداعي إلىٰ اللهِ بإذْنه، أنا ابن السِّراج المنير.
وهي خطبة طويلة تجنّبت الإطالة بذكرها وذكر نظائرها».(٢)

ولم يذكر المؤرّخون المرتبطون بجهاز الحكم هذه الخطبة طبعاً، لكنّ المُسلَّم به هو أَنَّ عليّ بن الحسين خطب هذه الخطبة في مسجد الشام، وعرّف نفسه وأَباه وجدَّه، وقال لأُولئك: ليس ما جرىٰ علىٰ لسان يزيد وأعوانه صحيحاً.
فأبوهُ ليس بخارجي، وما كان يُريد شَقَّ عصا المسلمين، ولا إثارة الفتنة في بلاد الإسلام.
لقد نهض ابتغاءَ الحق، وبدعوة المسلمين إيَّاه، ليُنَقِّيَ الدين من البدع التي ظهرتْ فيه، ويُعيده إلىٰ يُسْره ونزاهته اللذين كانا في عصر جدِّه.

والحقّ أَنّ يزيد ظنَّ بِغَطرسته وطيشه وعدم نضجه منذ بداية حُكمه أَنَّ عمل العراقيين

---

١- مناقب آل أبي طالب: ٤/١٦٨-١٦٩.
٢- مقاتل الطالبيين: ١٢١.

وثورة الحسين أمر سهل لا أهمية له، فالرسالة التي كتبها في أيام حكمه الأولىٰ إلىٰ حاكم المدينة، وطلب منه أَن يأخذ البيعة من الحسين، وأَن يبعث برأسه إلىٰ دمشق إذا امتنع عنها دليل علىٰ هذا الرأي.

ومن ذلك الجهل إرادتُه جلب عترة الرسول إلىٰ الشام بذاك الوَضع الرَّقيق، فنقل الأسرىٰ إلىٰ الكوفة نفسه خطأ، وجلبهم من العراق إلىٰ الشام خطأ أكبر.

قليلاً قليلاً فكّر العراقيون بما ارتكبُوا، وأدرك الشاميونَ أَنَّ من قُتلوا في العراقِ قتلاً مفجعاً لم يكونوا مشاغبين، وإنّما هم عترةُ مَنْ حكم يزيدُ المسلمين باسمه. وكتبوا تقريراً أو تقريرين لمواقف عدَّة من غير المسلمين إزاء يزيد في مجلسه لم تكن بلا أثر في زيادة قلقه وخوفه.

كلُّ هذه الحوادث كانت سبباً لمداراة يزيد لبقيَّة السَّيف مِن أُسرة الحسين عليه السلام، وعدم آستبقائهم في دمشق أكثر مما كان.

ونكتة أُخرىٰ جديرة بالإضافة لهذه الجملة، وهي العصبيَّة القبيليَّة الناشئة عن البداوة، فيزيد استشهد ببيت عمران بن حصين عند دخول الأسرىٰ إلىٰ قصره، وهو:

يُفَلِّقن هاماً مِن رجالٍ أَعزَّةٍ عَلَيْنا وَهم كانوا أَعَقَّ وأَظلما

وهذا مثال لهذا الإحساس، فما كان يريدُ أَنْ يرىٰ الحسين عليه السلام حيَّاً، لأنه كان يراهُ ندَّاً له، وساعياً للإطاحة بحكومته، فسعىٰ للقضاءِ عليه.

الآن وقد قتله، وسبىٰ عياله، وشفىٰ بظنِّه حقد أَبِيْه وقتلاه ارتفع ما يَدْعوهُ للتضييق علىٰ عياله، ولذا دعا عليّ بن الحسين، وقاله له: «لعن اللهُ آبن مرجانة. أَما واللهِ لو أَنِّي صاحبه ما سَألني خَصْلةً أَبداً، إلا أَعطيتُها إيَّاه، وَلَدَفَعْتُ الحتف عنه بكل ماآستطعت، ولو بهلاك

بعض ولدي، ولكنّ الله قَضَىٰ ما رأَيت. كاتبني ولك ما تريد».[١]

ومنذ ذلك الحين فصاعداً «كان يزيد لا يتغدَّىٰ ولا يتعشىٰ، إلا دعا عليّ بن الحسين إليه».[٢]

كتب البلاذري أَنّ يزيد قال لعلي بن الحسين:
إن تُحب أَن تبقىٰ عندنا، نُعْطك كلَّ ما تريد.
لكنّه اختار المدينة، فبعثه يزيد إليها.[٣]

في أحد أيام توقفه في الشام لقيه المنهال بن عمرو في سوق دمشق، وسأله: ما حالك يا ابن رسول الله؟

– نحن كبني اسرائيل بين الفراعنة، يقتلون رجالنا، ويسبون نساءنا. يا منهال ! إنّ العرب تفخر علىٰ غير العرب بأن محمداً ﷺ منها.

وقريش تفخر علىٰ سائر العرب بأنّ محمداً ﷺ من قريش، ونحن عترة النبي رهن القتل والنهب.[٤]

كتب ابن سعد هذه القصّة بسنده، لكنّ ظاهر كتابته أنّ هذا الحوار دار بين الإمام السجاد والمنهال في المدينة.[٥]

---

١– تاريخ الطبري: ٤/٣٥٣ – ٣٥٤.
٢– نفسه: ٤/٣٥٣.
٣– أنساب الأشراف: ٣٠/٢١٧.
٤– اللهوف: ٨١.
٥– الطبقات: ٥/١٦٢.

## ظهور الفساد

«ظَهَرَ الفسادُ في البِّر والبحر بما كسبتْ أَيدي الناس»[١]

كما رأَينا، ظهر أَوَّل رَدٍّ فِعل لحادثة كربلاء عند مجيء الأَسْرىٰ إلىٰ الكوفة.

ومع شدَّة ابن زياد في حُكمه وترهيب الناس من مخالفة يزيد شوهد من أولئك الناس نصف الموتىٰ الراضون بالظلم بعض الاعتراضات.

فيوماً خطب ابن زياد في المسجد، ومَدَح يزيدَ وأصله، وذَمَّ الحسين وآباءَهُ عليهم السلام، فوثب إليه عبدالله بن عفيف الأزدي - وهو رجل تقيٌّ لكنّه كفيف البصر - وردَّ عليه افتراءهُ، وردّ عليه وعلىٰ من اختارهُ للحكم ما ذمَّ به عترة النبيَّ، وأراد جلاوزتُه إسكات عبدالله واعتقاله، فنهض لحمايته فتية من الأزد، وحصل اشتباك واقتتال.[٢]

وعلىٰ الرغم من انتهاء النزاع لمصلحة عبيدالله، فإنّها غدت - علىٰ كلّ حال - مقدِّمة لاعتراضات أُخرىٰ.

وظهرت في الشام آثارُ عدم الرِّضا، حتىٰ إنّ يزيد نفسه تظاهرَ بعدم الرضا عن قتل ابن بنت الرسول، وَأَلقىٰ الذنب علىٰ عاتق ابن زياد.

وكانَ رَدُّ فعل الحادثة في الحجاز أوسع منه في العراق، فعبدالله بن الزبير الذي أوصل نفسه إلىٰ مكَّة في بداية حكم يزيد جعل هذه المدينة قاعدةً له، ودعا الناس إلىٰ بيعته، ورَأىٰ فاجعة المحرم سبباً قوّياً لذم يزيد، فوصف العراقيين في خطبة له بنقض

---

١- الروم/ ٣٠: ٤١.

٢- تاريخ الطبري: ٤/ ٣٥١.

العهد وعدم المروءة، وأثنىٰ علىٰ عظمة الحسين وتقواه.

ولم تبق المدينة التي كانت في هذه السنة تحت إدارة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خامدة، وما كتب الطبري في شأن عدم الهدوء فيها علىٰ وفق أُسلُوبه، لكنَّ تغيير ثلاثة من حاكميها خلال سنتين يكشف عن وضع غير مألوف.

كتب الطبري أَنّ ابن الزبير شكا إلىٰ يزيد غلظة والي المدينة الوليد بن عُتبة، وطلب إليه أَن يَبعث إليها والياً ليِّناً، فَبَعث إليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان.[١]

لكن يستبعد أن يكون ابن الزبير في مكانةٍ يُراسلُ يزيد فيها، وفي تغيير والي المدينة. والأقرب إلىٰ الحقيقة أَنَّ يزيد كان علىٰ طبع الملوك الشبان لا يُريدُ أَن يضع الرجال المجرّبين علىٰ رأس الأعمال، ولذا يُرسِلُ الشبَّان الأغرار للحكم، لأنّهم لا يعرفون الناس علىٰ ما يجب، فيعجزون عن إدارة الأُمور، وعثمان - علىٰ ما كتب الطبري - شابٌّ، ولم يكن مَقْدَم الحاكم الجديد مباركاً له، ولا لأهل المدينة علىٰ كلّ حال، ومهما كان السبب، فعلىٰ ظنِّ عثمان أَنَّه أراد أَن يُظهر كفايةً، فأَرْسلَ وَفداً مِن أكابر المدينة من أَبناء المهاجرين والأنصار إلىٰ دمشق، ليَرَوا الخليفة الشابَّ عن قرب، ويحظَوا بشيءٍ من هباته وعطفِه.

ولم يكن ليزيد - علىٰ ما كتبنا - تربية دينية، بل يمكن القول: إِنَّهُ لم يُرَبَّ أَصلاً، فأَبُوه بعثه هو وأُمّه إلىٰ الصحراء غضباً علىٰ أُمّه، فكبر يزيد في القبيلة داخل خيمة.

وما تعلّمهُ هناك هو ما يتعلمهُ الأعرابُ في الصحراء: سلاطة اللسان وإنشادُ الشعر والذهابُ للصيد.

وحين وصل إلىٰ جهاز الحكم، ومارس ترف معاوية شغل عن طلب المعارف بتربية الكلاب والقردة والشراب والقمار والملاهي الأُخرىٰ. وفضلاً عن هذه المعايب تقتضي طبيعة مثل هذه الحكومات إقصاءَ الشيوخ المجرَّبينَ وتقريب جماعة شابَّه مُتملِّقةٍ.

---

١- نفسه: ٤/٣٦٨.

ورد في المصادر أنّه اتخذ "سرجون الروميّ" المشهور مستشاراً له.

فهل كان هذا الرجل المسيحيُّ يُريُد في الخفاء حرف حكومة يزيد الذي كان مُسلم الاسم فيُعلِّمه سيِّئات الأمور؟. الله يعلم.

وما يمكن قولُه باطمئنان هو أَنّ يزيد ما كان يفقه شيئاً مِن إدارة البلاد الإسلامية الواسعة، فذلك التسرُّع والتشدُّد في أَخذ البيعة من ابن بنت الرسول، وتلك الفاجعة التي تهزُّ القلب في المحرَّم سنة إحدىٰ وستين، والأقبح سبيُ أسرة رسول الله ﷺ وجلبُها إلىٰ الكوفة وإخراجها إلىٰ الشام.

كلّ هذه الممارسات تكشف عن عدم نضج يزيد وعدم عقله.

وأسوَأ مِن ذلك أَنَّهُ عندما بعث إليه حاكم المدينة أبناءَ المهاجرين والأنصار، أحضروا إليه جمعاً مِن أنداده ومُلاعبيه في الصبا. ولو كان له أَدنىٰ عقل، أو كان له مستشارون مجرَّبون، لكان له معاملة موزونة لهؤلاء ماداموا في قصره وضيافته، فلا يفعل ما هو خلاف الدين الإسلامي، بل يتظاهر بتمّسكه بالدّين، لكنه ما عرف الدين ولا الناس.

غدت المدينة بعد هجرة رسول الإسلام إليها مركز الحكومة الإسلامية، كانت بعد الرسول قاعدة الخلافة حتىٰ سنة خمس وثلاثين هجرية، وعاش فيها ثلاثة خلفاء.

وإذ جعل علي عليه السلام الكوفة مقرَّ حكومته لم تفقد المدينة رونقها العلميَّ والديني.

عاش فيها جمع من أكابر المهاجرين والأنصار، وماتوا فيها ثمّ حلّ محلّهم أبناؤُهم.

عمّتها موجة تقوىٰ [وتقدس] منذ بداية الهجرة وكانت مُستقرَّة قليلاً أو كثيراً.[1]

كان لا بدّ ليزيد أن يعرف هؤلاء الناسُ ويتمالك نفسه يوماً، لكنّه لم يفعل.

لا أدري أكان إلباسُ القرد وإركابه الحمار وإرساله في سباق الخيل في هذه الأيام، أم

---

١- بعد وقعة الحرَّة، وخلافة عبدالملك أخذت هذه القداسة تزول تدريجياً.

لا؟

علىٰ كلّ حال هذه قصّة تبيّن خِفّة الرجُل، كما أنّ المسعودي كتب أنّه كان ليزيد قرد خبيث يحضر مجلس شرابه، ويتكئُ علىٰ وسادة، ولهذا القرد حمار وحشيّ دَجَّنوهُ له، وأركبوا القرد الحمار يوماً، وأرسلوه في سباق الخيل، وسبق حمار القرد خيل يزيد، فقال واحد من شعراء الشام في ذلك:

تمسَّك أَبـا قـيس بـفضل عـنانها ... فـليس عـليها إن سَـقطت ضمانُ

ألا مَن رأىٰ القرد الذى سبقتْ بـه ... جِـيادَ أَمـير المـؤمنين أَتـانُ

كتبوا أَنّ يزيد نفسه أنشد هذه الأشعار، ويجب أن يكون كذلك، فغرس النعمة كتب في آخر حوار ابن هبيرة وزياد بن عبيد الحارثي:

قال زياد: حين ذهبت إلىٰ مروان سألني فيم كانت مناقشتي لابن هبيرة؟

قلت: في كنية القرد أهو أَبو قيس أم أبو يمن؟

فضحك مروان وقال: حقّاً! أَلم يقل أمير المؤمنين:

تَمسَّك أَبا قيسٍ بِفَضْل عنانها ...[1]

قدَّر يزيدُ ممثلي المدينة، و أَكرمهم كثيراً، وأَعطىٰ أَحَدَهم وهو المنذر بن الزبير مئة ألف درهم، غير أنّ تربيته السيِّئة وسلوكه القبيح لم يبقيا مستورين عن نظر الضُّيُوف.

وعندما عاد أولئك إلىٰ مدينتهم صاحوا في مسجد النّبي، وذكروا يزيد بسوء، وقالوا: جئنا من عند رجل لا دين له، يشرب الخمر، ويضرب الطـنبور، ويـلعب بـالكلاب، ويسهر الليل بين الخُلعاءِ والمغنيات، ونحن نُشهدكم أَنّنا خلعناهُ مِن الخلافة.

بايع الناس عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، وحاصروا بني أمـية الذيـن يـبلُغُ

---

١- پس از پنجاه سال (بالفارسية):٧٣ - ٧٤ [النسخة العربية تحت عنوان : ثورة الحسين نظرة جديدة، من منشورات دار الهادي]؛ وحياة الزهراء (بالفارسية) ١٨١ - ١٨٢ وكـلاهما للمؤلف.

عَدَدُهم ألفاً في دار مروان بن الحكم، ثمّ طردوهم من المدينة.

في تلك الأيّام المليئة بالشغب والفتنة ذهب مروان إلىٰ عبدالله بن عُمر، وطلب إليه أنْ يحفظ أُسرته عنده، فلم يقبل عبدالله. وإذ يئس مروان منه لجأ إلىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام، وقال له: أنا قريبُك، وأُريدُ أَن تكون أُسرتي مع أُسرتك، فقبل عليّ بن الحسين رجاءَهُ بكرمه، وأرسل رهطه مع نسائه وبنيه إلىٰ ينبع، وكان مروان شاكراً له هذه المكرمة دائماً، وهذا ماكتبه الطبري:

كان لعلي بن الحسين صداقة قديمة مع مروان[١].

ولا أساس لهذا، فما أرىٰ مروانُ وجهاً طيباً لبني هاشم يوماً ما، وبناءً علىٰ هذا لا مكان لصداقته لعلي بن الحسين.

والطبري يريدُ الغضّ من مروءة بني هاشم السامية، ووضعها في نطاق الصداقة الشخصية.

وصل خبر اضطراب المدينة إلىٰ دمشق مرّة وأغضب يزيد غضباً بالغاً، وأراد أَنّ يعهد أمر هذه المدينة وأمر مكة وقع ابن الزبير إلىٰ عبيدالله بن زياد، لكنّ عبيد الله لم يقبل، وقال:

لا أستطيع أن أبوءَ بقتل الحسين والنيل من حرمة الكعبة من أجل هذا الفاسق.[٢]

إذا لم يكن هذا القول من صنع القصّاصين، وجاءَ به عبيدالله علىٰ لسانه حقّاً، فيجب القول:

كان ابن زياد يعلم أنّ نهاية حكم السفيانيين قريبة، لأنّه أبعد نظراً من يزيد.

وإلاّ، فعبيدُ الله ليس مَنْ يخشىٰ ذنباً مهما كان عظيماً.

طلب يزيد إلىٰ عمرو بن سعيد حاكم المدينة السابق أَداءَ الأَمر، فلم يقبل، وقال: لا

---

١- الطبري: ٤٠٩/٧.

٢- الطبري: ٤٠٨/٣.

أُخَضِّبُ يدي بدم قريش، دع غريباً يتعهد بهذا العمل.

اضُطرَّ يزيد لبعث مسلم بن عُقبة الذي كان شيخاً عاجزاً مريضاً علىٰ رأس جيش إلىٰ المدينة، فحاصرها، فوقف علىٰ أَهلها من ناحية حرَّة واقم[1]، وقال: أُمهلكُم ثلاثة أيام، إذا سلّمتُم تركتُ المدينة، وذهبتُ إلىٰ ابن الزبير في مكَّة من ساعتي وإذا لم تفعلوا، فسأُعذر. فوقف أهل المدينة في وجهه، لكنَّهم هُزموا أخيراً، وسَلَّمُوا.

أَباح مسلم المدينة لجنوده السّفّاحين ثلاثة أيام يفعلون ما يشاءون، ثمَّ جعل الناس بين خيارين:

١- أن يُقرُّوا أَنّهم عبيد ليزيد يفعل بهم ما يشاء.

٢- أن يُقتلوا.

فلم تقبل جماعة شرطه، فقتلت، وقبلهُ كثير أيضاً.

والاثنان اللذان بقيا خارج شرطه علي بن الحسين عليه السلام وعلي بن عبدالله بن عباس.

فلماذا لم يقتل مسلم عليَّ بن الحسين، أو لم يأخذ منه البيعة بالنحو الذي قاله؟

لا تتفق المصادرُ في هذا الشأن أيضاً.

كتب الطبري أَن يزيد حين بعث مسلم بن عقبة إلىٰ المدينة قال له: لا دخل لعليّ بن الحسين في عَمَل المشاغبين، فكفّ يدك عنه، وعامله بإحسان.

وكتب أنّه عندما ذهب علي بن الحسين إلىٰ مسلم، قال له مسلم: أهلاً ومرحباً، وأقعده علىٰ السّرير، وجعل له مسنداً، وقال له: هؤلاء الخبثاءُ - أهل المدينة !- لم يدعوني أَنهض بحقِّك، فأميرالمؤمنين أوصاني بك.

وبعد هُنيهة، قال: رُبّما أَخافك أَحد.

فقال علي بن الحسين: نعم.

---

١- تقع في الجانب الشرقي من المدينة.

أمر مسلم أن يحضروا دابَّته، فأركبه، وأعاده إلىٰ داره.[١]

كتب مؤلّف كشف الغمة أيضاً أَن مُسلماً أَكرم عليّ بن الحسين، وقرب دابَّته، وقال له: خاف أهلك [عليك]؟

فشكره علي بن الحسين، وحين خرج من داره، قال مسلم: هذا الرجل إضافة إلىٰ قرابته من رسول الله، هو خير لا شرّ فيه[٢].

كتب ابن أبي الحديد أَنّ مُسلماً أخذ البيعة من أهل المدينة علىٰ أَنهم عبيد ليزيد ما عدا عليّ بن الحسين الذي احترمه، وأجلسه علىٰ السرير، وأَخذ منه البيعة علىٰ أَنّه أَخ لأمير المؤمنين.[٣]

وهكذا عبارة الشيخ المفيد مضافاً إليها أَنَّ مسلماً قال: أمرني أمير المؤمنين أَن لا أُعاملك معاملة الآخرين.

وكتب أيضاً أَنّه قال له: لو كان بأَيدينا شيء لوصلناك بما أنت جدير به.[٤]

وأورد الطبريّ في رواية أخرىٰ أن علي بن الحسين أراد أن يذهب إلىٰ مسلم، فجعل عبدالملك وأباهُ مروان إلىٰ جنبه، وذهب إليه، وحين طلع علىٰ مسلم أراد مروان ماءاً، وشرب قليلاً، ثم ناوله علي بن الحسين، وإذ أخذ علي الإناء بيده، قال مسلم: لا تشرب من شرابنا.

أَخفىٰ علي بن الحسين اهتزاز القدح، فقال مسلم: أَجئتَ مع هذين الاثنين؟

والله لو كان هذان شفيعيك، لقتلتك، لكن أمير المؤمنين أوصاني بك، وقال لي: إنّك

---

١- الطبري: ٤٢١/٧.

٢- كشف الغّمة: ٨٩/٢.

٣- شرح نهج البلاغة: ٢٥٩/٣.

٤- الإرشاد: ١٥٢/٢.

كتبت إليه رسالة؛ وإن ترد الآن، فاشرب[١].

ونقل ابن الأثير هذه الرواية من هذا المصدر أو مصدر آخر.

وكتب اليعقوبي أنّ علي بن الحسين قال لمسلم بأي شرط أراد يزيد أن أبايعك؟

- بيعة أخ وابن عمّ.

- إن ترد أن أُبايع أنني عبد له، فسوف أُبايع.

- لا أُكلِّفُك مثل هذا.

وعندما رأىٰ الناسُ عليّ بن الحسين قال هكذا، قالوا: هو ابن رسول الله يقول هكذا فلماذا لا نبايعُ نحن بمثل هذا الشرط[٢]؟

هذا التقرير والتقارير الأُخرىٰ التي كتبناها نقلاً عن الطبري كاذبة قطعاً، ومحتمل أنّ عدّة من أبناء أعيان المدينة الذين بايع آباؤهم مسلماً خوفاً علىٰ أنفسهم قاموا بوضعه كذباً لكي يبرروا عمل أسلافهم أمام الناس.

لماذا نقول أنه كذب وافتراء؟

لأن سلوك علي بن الحسين وتعامله الحسن مع أسرة مروان لم يكن خافياً علىٰ بني أمية ولا علىٰ يزيد نفسه فضلاً عن قائده مسلم.

كتب المسعودي أنّ مسلماً أَخذ البيعة من أهل المدينة علىٰ أنّهم عبيد ليزيد، وكلُّ مَنْ لم يقبل قُتِل، ما عدا عليّ بن الحسين وعليّ بن عبدالله بن عبّاس.[٣]

وكتب ابن الأثير أنّه عندما وصلت النوبة لبيعة علي بن عبدالله بن عباس، قال حصين بن نمير: يجب أن يبايع ابن أُختنا مثل علي بن الحسين.[٤]

---

١- الطبري: ٤/٤١٩.

٢- تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٢٣.

٣- مروج الذهب: ٢/٩٦.

٤- الكامل: ٤/١٢٠.

وكتب المسعودي أيضاً أَن عليّ بن الحسين عليه السلام لجأ إلىٰ مرقد الرسول، ودعا عنده، وأَخذوه إلىٰ مسلم علىٰ تلك الحال، وكان غاضباً عليه، ويضيق به وبآبائه ذرعاً.

ولما طلع عليّ عليه، ووقعت عين مسلم عليه اهتزّ، ونهض إليه، وأقعده عنده، وقال له: اطلب حاجتك. وكلّ من تشفّع به علي بن الحسين لم يقتله.

هذا القول يبدو غير صحيح أيضاً[1]، فبعيد من مسلم السفَّاح أَن يُغمض عينه عن قتل أَحدٍ بشفاعة علي بن الحسين.

والمسلم أَنّ مسلماً بأمر يزيد لم يكلف الإمام من أمره عسراً وليس هذا وفقط، بل أكرمه.

أَمّا حصين بن نمير، فكان يسير مَعَ الجيش علىٰ ما أمر يزيد، حتَّى إذا لم يتعاف مسلم من المرض صار هو قائد الجيش - وهذا ما حدث أخيراً - وبناءً علىٰ هذا غيرُ بعيد أَن يكون هو شفيع علي بن عبدالله بن عباس.

كتبوا أنّ عليّ بن الحسين تكلف أربع مئة أسرة من آل عبد مناف، وكان ينفق عليهم ما كان جيش مسلم في المدينة.[2]

---

١- مروج الذهب: ٢/٩٦.

٢- كشف الغمة: ٢/١٠٧.

## انقلاب الناس

«وما محمدٌ إلا رسول قد خلتْ من قبله الرُّسُلُ
أَفإن مات أو قُتل انقلبتم علىٰ أعقابكم
وَمَن يَنقلب علىٰ عقبيه فلن يَضّرَّ الله شيئاً»[١]

يجب النظر إلىٰ واقعة الحرّة علىٰ أَنها مِن أَعجب الحوادث في تاريخ الإسلام وأبعثها علىٰ الأسف، وأنها صفحة سوداء أضافها الأمويّون إلىٰ دفترهم.

الرجل الذي يرىٰ نفسه خليفة الرسول يجيز أن تكون مدينة الرسول ومدفنه ومركز الحكومة الإسلامية ومسكن المتقين ومحيي الليل تحت تصرُّف الجنود ثلاثة أيام يأخذون منها ما يريدون، ويفعلون فيها ما يشاؤون.

يا للأتقياء الذين قتلوا في تلك الأيام!

ياللحرمات التي ذهبت مع الرِّيح!

يا للانتهاك الذي ارتكبه أولئك المفترسون!

إنَّ القلم ليستحيي من كتابة ذلك، من انعدام دين الأَمير و مأموره.

حقّاً كيف رأت الجماعة المسلمة في ذلك العهد ذلك اللامسلم بل اللا إنسان، وبقيت ساكتة؟

يزيد علىٰ ما كتبنا ما كان يعرف شيئاً من الإسلام، ويجب عدم الارتياب في هذا القول. فجنوده ساعة سمعوا أَن قائدهم المبعوث فتح أيديهم رأوا المدينة وكلّ ما فيها

---

١- آل عمران/٣: ١٤٤.

حقاً لهم. لكن لماذا بقي مُسلمو الأطراف خامدين؟

فما اهتزوا بعد حادثة المدينة لا في الشام، ولا في مصر والعراق، وما أَظهروا ردّ فعل غير اللعن، وهذا في الزوايا والجوانب الخفيّة عن أنظار جلاوزة الحكم وجند الشام.

كان في مكّة جمع غفير من التابعين -الطبقة اللاحقة للصحابة- أَبناء المهاجرين والأنصار. فلِمَ لم ينهض هؤلاء، ولم يستنهضوا الناس علىٰ يزيد؟

لِمَ لمْ يأتوا لنجدة المسلمين في المدينة؟

لنفرض أَنَّ أَهل المدينة ما كان لهم النهوض علىٰ الحكومة ولنفرض أن للحكومة الإسلامية علىٰ وفق اختياراتها أَن تقمع المشاغبين، لكن علىٰ أَيِّ باب من أبواب الفقه الإسلامي جاز قتل المدينة قتلاً عامّاً؟

ما كان قد مرَّ علىٰ وفاة الرسول أكثر من خمسين عاماً، وعدّة من أولي السبعين عاماً في المدن الإسلامية رأَوهُ وتجلت سيرتُه لأنظارهم.

حتّىٰ الآن لم تزُل حرمة مدينة الرسول من أعين القادة بعده، ولم تفارق خاطر أُولي الخمسين عاماً، ولا نسي أولو الثلاثين عاماً فصاعداً زُهدَ عليّ وتقواه.

لِمَ رأىٰ هؤلاء حادثة كربلاء قبل سنة، وقتل المدينة العامَّ وأَطبقوا أفواههم التزاماً بالصمت ؟

لِمَ تحدُثُ تلك الحوادث الباعثة علىٰ الغمّ واحدةً بعد أُخرىٰ؟

قتل أبناء الرسول، وسبيُ نسائه وأطفاله، وتخريب المدينة وهتك أعراض المسلمين هذه حوادث مدهشة غيرُ ممكنة التصوُّر.

ولعلّ ناساً يقولون: إنَّ المؤرِّخين في العصر العباسي أرادوا أن يدعوا صورة حكم ابن أبي سفيان أَقبح ما تكون!

لكنّ الحقيقة هي أنّ الجماعة الإسلامية قد فقدت في هذه الخمسين عاماً صبغتها الإسلامية، واتَّخذت طبع الجماعة العربيَّة قبل الإسلام.

لِمَ صارَ مثل هذا؟

ذكرتُ علّة هذا أو علله في كتاب بعد خمسين عاما[١]، كما أنّني قلت في كتاب آخر[٢]:

أثّرت هذه الدوافع طوال خمسين عاماً في مجتمع الحجاز والعراق والشام أثراً أو آثاراً حتّىٰ إنّ ظهور مثل هذه الحوادث يبدو للناس طبيعياً.

في هذا التجييش لا الأمير ولا المأمور لديه اطلاع علىٰ فقه الإسلام، وإن كان لديهم منه، فإنهم لا يرون أنفسهم ملزمين برعايته، والإسلام لهؤلاء الناس كان وسيلة قدرة لا قانوناً لإقامة أحكام الله، وهم إذا تظاهروا بالإسلام، فذلك كان لخداع المسلمين؛ وأعجب من ذلك كتابتهم أنّ مسلماً قال بعد انتهاء حادثة المدينة: إلهي، لا أحبُّ أيّاً من أعمالي التي أنجزتها بعد توحيدك وإيماني بنبوّة محمد بمقدار قتل أهل المدينة، ولا أنظر لثواب عمل مثلما أنظر لثواب هذا العمل!.

كان لمسلم في هذه المأمورية بضع وتسعون سنة ورجله علىٰ شفا القبر - علىٰ ما يقال - كما أنّ عمله لم يبلغ غايته، فقد مات قبل وصوله مكّة.

وهو من الذين يعجبهم من الإسلام اسمه فقط، ويلوون ظاهر القرآن والحديث لمصلحتهم، ليكون مُسوِّغاً لعملهم القبيح، وكان من المخلصين لمعاوية، وكانت قيادة معسكره في صفين بعهدته.[٣]

ومحتمل أنّه كان قد سمع هذا الحديث:

« اللهم مَن ظَلم أهل المدينة وأخافهم، فأَخفه، وعليه لعنةُ الله والملائكة والناس

---

١- هذه ترجمة العنوان الفارسي الذي هو: پس از پنجاه سال پژوهش تازه در قيام امام حسين (ع). [الطبعة العربية تحت عنوان: ثورة الحسين ...نظرة جديدة]

٢- تاريخ تحليلى اسلام: ٦٣.

٣- الإصابة: ٣/٤٩٣-٤٩٤.

أَجمعين»[١]

وهذا الحديث أيضاً في شأن المدينة: « مَن أراد أَهل المدينة بسوء أذابه اللهُ كما يذوب الملح في الماء».[٢]

وقال أيضاً ما معناهُ: لا يقتل أحدٌ أحداً في المدينة، ولا يكُن له سلاح للقتال.[٣]

وقال: «اللهمّ إنَّ إبراهيم حَرَّم مكَّة، فجعلها حراماً، وإني جعلتُ المدينة حراماً ما بين مأزميها أَن لا يُهراق فيها دم، ولا يُحمل فيها سلاح لقتال، ولا يُخبط فيها شجرة إلا لعلف».[٤]

أجل كان قد سمع، ولكن عندما كان يرىٰ من يرىٰ نفسَه خليفةَ الرسول يقتل ابنهُ عليه السلام ويدور ببناته في المدن، ولا يعترض عليه أحد، فلماذا يعطي الخوف سبيلاً إلىٰ نفسه من تخريب مدينة النبيّ.

بعدما قمع مسلم أهل المدينة، وخمد الشغب اتجه إلىٰ مكَّة، لينهي عمل ابن الزبير، لكنّه مات في الطريق، وعلىٰ ما أمر يزيد أَخذ حصين بن نمير قيادة الجيش علىٰ عاتقه، وحاصر مكّة، ونصبوا المجانيق، وأَمطروا المدينة بالصخر، وفي هذه المعمعة سقطت النار في الكعبة، وكتبوا أَنّ علّة ذلك متنوّعة.

وفي وقت كانت مكةُ فيه في حصار وصل أهلَها والمحاصِرين لهم خبر موت يزيد.

ولم يعلم قائد جيش الشام لمن يجب أن يُحارب، ففاوض ابن الزبير مظهراً أَنَّه مستعدّ لمبايعته بشرط أن يذهب معه إلىٰ الشام، وحين لم يقبل عبدالله شرطه عاد حصين وجيشه إلىٰ الشام.

---

١- كنز العمال: كتاب فضائل الحديث: ٣٤٨٨٤.

٢- نفسه: ٣٤٨٣٩.

٣- نفسه: ٣٤٨١١.

٤- وفاء الوفا: ٩٠؛ وسفينة البحار: ٢/ ٥٣٠.

من المناسب في نهاية هذا الفصل أن نكتب حديثاً جاءَ به المجلسي من روضة الكافي وهذا الحديث عن طريق ابن محبوب عن أَبي أيوّب عن يزيد بن معاوية عن الإمام الصادق أنّه قال:

« إنَّ يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يُريدُ الحجّ، فبعث إلىٰ رجل من قريش، فأتاهُ، فقال له يزيد: أَتُقِرُّ أَنَّك عبدٌ لي إن شئتُ بعتُك، وإن شئتُ آسترققتُك؟

فقال له الرجل: والله يا يزيدُ ما أَنت بأكرم منّي في قريش حَسَباً، ولا كان أَبُوك أَفضل مِن أَبي في الجاهلية والإسلام، وما أنت بأفضل منّي في الدين ولا بخير منّي، فكيف أُقر لك بما سألت؟

فقال له يزيد: إن لم تقرَّ لي والله قتلتُك.

فقال الرجل: ليس قتلُك إيّاي بأعظم مِن قتلك الحسين بن علي آبن رسول الله ﷺ فأمر به، فقُتلَ. ثم أرسل إلىٰ علي بن الحسين، فقال له مثل مقالته للقرشيّ، فقال له عليُّ بن الحسين:

«أرأيت إن لم أُقرَّ لك، أليس تقتلني كما قتلت الرجل بالأمس».

فقال له يزيد: بلىٰ.

فقال له عليُّ بن الحسين: قد أقررت لك بما سألت، أنا عبد مكره،فإن شئت،فأمسك، وإن شئت، فبع.

فقال له يزيد: أولىٰ لك حقنت دَمَك، ولم ينقصك ذلك من شرفك».[1]

إذا لم نشك في نسبة الروضة إلىٰ الكليني، فالشك في هذا الحديث في موضعه، بل إنّ هذا الحديث كذبٌ بلا ريب، والمجلسي قد التفت أيضاً إلىٰ نُقطة ضعفه، فيزيد حكم ثلاث سنوات لم يخرُج فيها من الشام، فكيف حجَّ وذهب إلىٰ المدينة وحادث علي بن الحسين عليه السلام؟

---

١- البحار: ٤٦/١٣٧-١٣٨.

وجود هذا الحديث وبقاؤه في كتب علماء الطبقة الأولىٰ من المحدِّثين يُبين أَنَّهُم اعتنوا برواية الحديث في النقد لا بدرايته.

ويبدو أَنَّ هذا الحديث وضعه أبناءُ من بايَعُوا ابن عقبة خوفاً علىٰ أَنفُسهم، لكنّ أحد الرواة آستعاض من مسلم بن عقبة بيزيد عمداً أو سهواً.

مات يزيدُ في حوّارين في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين هجرية عن ثمانٍ وثلاثين أَو تسع وثلاثين سنة، وصحيفة أعماله تضمُّ قتل ابن بنت الرسول وسبي عِترتهِ، والقتل العامَّ لمدينته، وتخريب الكعبة!.

وبعد يزيد بايع أهل الشام ابنه معاوية، لكن حكومته لم تدم.

وبموت معاوية هاج الشغب من جديد، ولم تكن الشامُ هذه المرَّة بمعزل عن الاضطراب.

بعد هلاك يزيد ابتليت الشام بالصراع القبيلي وتنافس القيسية واليمانية، فأمُّ يزيد ميسون بنت بحدل بن أُنيف مِن قبيلة كلب.

والضحّاك بن قيس عمدة الشام (قائد الشرطة) الذي وَضعَ الأساس لحكومة يزيد في حياة معاوية وبقي وفيّاً له بعد مماته هو من قبيله قيس، ومن العرب الشماليين.

في خلافة يزيد القصيرة، وخلافة ابنه مُعاوية القُصرىٰ، وصل الكلبيون إلىٰ السلطة قليلاً قليلاً، وشدَّوا علىٰ القيسيين.

وكان هذا العمل فادحاً للضحاك بن قيس، فأخذ جانب حكومة ابن الزبير بعد موت يزيد.

وعبدالله بن الزبير من العرب العدنانيِّين.

وفي معركة الكلبيين والقيسيين في مَرْج راهط وآنتصار القيسيين فيها، وخلافة مروان، خفَّ الاضطراب، وساد تلك البلاد هدوء.

وأَجَّج عبدالله بن الزبير الذي رأىٰ نفسه خليفة بعد موت معاوية نار الحجاز.

وفضلاً عن الحجاز بدأت الحركة والنشاط من جديد، فأولئك الذين تابعوا الرسائل

إلىٰ الحسين بن علي عليه السلام يدعونه إلىٰ مدينتهم، واستقبلوا رسوله إليهم استقبالاً حارّاً، ثمَّ خذَلوه هو والحسين في مواجهة العدوّ عادُوا إلىٰ أَنفسهم.

هل ندموا علىٰ كلّ أَفعالهم القبيحة؟

الجوابُ عن هذا السؤال في شأن عدة منهم مُثبت وإيجابي، فليس كلٌّ من تحرَّكوا بعد موت يزيد كان همُّهم الدين.

فجماعة كانوا يريدون أَن يزول ضعف العراق المتوالي للشام، ويعود مركز الحكم إلىٰ العراق.

علىٰ كل حال انتفض المتدينون والساسة، وجابَهُوا الحكومة، لكنهم لم يفعلوا شيئاً، فقائد الشيعة سليمان بن صرد قُتل، وتشتت الجيش الذي اجتمع، والرجل الذي تقدّم في هذه المعمعة، وفتح لنفسه مكانة في تاريخ التشيع إلىٰ الأبد هو المختار بن أبي عبيدة الثقفيّ.

وفي شأن المختار وغايته من هذه الثورة أحكام متنوِّعة، حتّىٰ إنَّ بعض علماء الطبقة الأولىٰ والثانية من الشيعة ليس لديهم نظرة حسنة إليه، إلّا أَنّ المتأخرين مدحوهُ بالحسن.

فبعد ثورة سليمان بن صرد رئيس الشيعة غير الموفَّقة جمع المختار الشيعة، وكان يعلم أنه إذا أُريد لحركة الشيعة أَن تنجح، فيجب أَن يقودها رجل من عترة النبي، أو أَن تبدأ باسمه في الأقلّ.

فمَنَ الجديرُ بهذا الأمر؟

علي بن الحسين نجل شهيد آل محمد، وإذا لم يقبل، فمحمد بن عليّ بن أبي طالب عمُّ علي بن الحسين.

وكتب المختارُ إلىٰ الاثنين بذلك.

والإمام علي بن الحسين الذي كان قد رأىٰ عدم وفاء العراقيين وتلوّنهم، وعلم أنّهم كما قال أبوهُ العظيم:

« الناس عبيدُ الدُّنيا والدِّينُ لَعَق علىٰ ألسنتهم، يَحُوطونهُ ما درَّتْ معايشُهم، فإذا مُحِّصُوا بالبلاءِ قلَّ الدَّيانون».

لم يُجب (الإمام علي بن الحسين) المختار جَوَاباً مُساعداً، والعمل الوحيد الذي صَوَّبَهُ له معَاقبته قتلة أَبيه، فعندما بعث إليه المختار برأس عبيدالله بن زياد، وعمر بن سعد، سَجَدَ، وقال:

« الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أَعدائي، وجزىٰ اللهُ المختار خيراً»[١]

كتب اليعقوبي أَنَّ المختار بعث برأس عبيدالله بن زياد إلىٰ علي بن الحسين عليه السلام في المدينة، وقال لمبعوثه: اجلس علىٰ بابه، فإذا رأيته انفتح، ودخل الناس، فاعلم أنَّ ذلك وقت طعامه، وآدخل أيضاً.

وفعل المبعوث ذلك، وحين دخل الدار صاح: يا أَهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة، ومنزل الوحي، أَنا مبعوث المختار بن أبي عبيدة الثقفيّ، وهـذا رأس عبيد الله بن زياد جئت به إليكم.

وبسماع صيحته علا صراخ نساء بني هاشم، وحين رأىٰ الإمام رأس عبيدالله، قال: إلىٰ جهنم.

قال ناس: لم يُرَ علي بن الحسين ضاحكاً منذ وفاة أبيه، إلاّ ذلك اليوم.[٢]

وكتب ابن عبد ربِّه أَنَّ رأس عبيدالله عندما وصل عليّ بن الحسين انتصاف النهار كان يتغدَّىٰ، ولمّا رأى الرأس قال: « سبحان الله ما آغترّ بالدنيا، إلّا مَن ليس لله في عنقه نعمة، لقد أُدْخل رأسُ أَبي عبدالله علىٰ ابن زياد وهو يتغدَّىٰ».

أَمّا المسعودي، فقد كتب أَنَّ المختار أرسل إلىٰ علي بن الحسين السجاد رسالة قَبِلَه فيها إماماً، وأراد أَن يبايعهُ، واستأذنهُ أَن يجعل دعوته له علناً، وبعث بمال غزير مع

---

١- رجال الكشيّ: ٨٤؛ والمختار الثقفي: ١٢٤.

٢- تاريخ اليعقوبي: ٦/٢.

الرسالة.

فما قبل علي بن الحسين المال، ولا أَجاب عن الرسالة، وعابه في المسجد.

ويمكن أن يكون غيرُ الراضين عن المختار قد أضافو المقطع الأخير، ولكنَّ المُسلمَ به أَنَّ الإمام لم يلتفت إليه في شأن الدعوة إلىٰ قيادته الشيعة.

في رواية أَنّ المنهال بن عمر قال: حججتُ عاماً ورأيتُ عليّ بن الحسين عليه السلام، فسأل: كيف يعيش حرملةُ بن كاهل ؟

- رأيته حيّاً في الكوفة.

ورفع الإمام يديه إلىٰ الأعلىٰ، وقال: «إلهي أَذِقهُ حَرَّ الحديد، إلهي أَذقه حرارة النار».

وعندما ذهبت إلىٰ الكوفة جَلَبُوا حرملة إلىٰ المختار، فأَمَر بقطع يديه ورجليه، ثمَّ أَحرَقهُ بالنار.

ولمّا يئس المختارُ من التفات الإمام إليه، استأذن محمد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين أن يدعو الناس له، فقبل محمد، ودعاهُ المختار «مهديَّ الأُمة»، وفي هذا الزمان ظهرت الفرقة المعروفة في الإسلام بـ"الكيسانية".

وذكر ابن سعد أنّ المختار أرسل إلىٰ علي بن الحسين مئة ألف درهم، فحفظ المال عنده، وبعد مقتل المختار كتب إلىٰ عبد الملك ما جرىٰ، فأجابه بأَنِّي أَعطيتك هذا المال.

كانت السنوات من ٦٦ إلىٰ ٧٥ للهجرة سنوات محنة ورُعب للحجاز والعراق والشام، فلم تر هذه الولايات وجه الهدوء طوال هذه السنوات العشر. فالشام - علىٰ ما كتبنا - غدت ساحة لصراع الكلبيِّين والقيسيين الجنوبيِّين والشماليين.

وشهدت الحجاز هجوم جيش عبدالملك علىٰ مكَّة، ومقتل عبدالملك بن الزبير.

وذاق العراقُ جزاءَ عدم مروءَته أكثر مِن هاتين الولايتين.

والحق أنّه يجب القول: إنّ أَهل هذه الأرض ابتُلُوا بلعنة ابن بنت النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال الحسين في شأن أولئك:

« اللهمّ! أَمسك عنهم قطر السماء، وآمنعهم بركات الأرض. اللهمّ! فإن متَّعتَهم إلىٰ حين ففرِّقهم فرقا، واجعلهم طرائق قدَداً، ولا تُرْض الولاة عنهم أبداً».[١]

في المحرِّم من سنة إحدىٰ وستين هجرية رأىٰ ابن زياد رأس الحسين بين يديه، وفرح. ولم تمرّ خمس سنوات حتىٰ كان رأس ابن زياد بين يدي المختار.

وما مرَّت سنة حتّىٰ وضع رأس المختار بين يدى مصعب بن الزبير.

ولم تمر خمس سنوات حتىٰ استقرّ رأس مصعب بين يدي عبدالملك بن مروان.

ونظم هذا الانتقام الإلهي شاعرٌ باللغة الفارسية (بما ترجمته):

نصح شيخ كبير عبد الملك بن مروان قائلاً له:لقد رأيت في نفس هذا المكان ونفس هذا القصر وتحت نفس هذا السقف وأمام نفس هذا العرش أعمالاً من ابن زياد أرجو أن لا تراها عين أحد:

لقد رأيت رأس الحسين المشع بالنور - فدته آلاف الرؤوس - الرأس الذي عليه عمامة رسول الله وهو يتقاطر دماً وقد وضع علىٰ طبق لامع وأحضر إلىٰ ابن زياد.

لم تمض مدة طويلة حتىٰ ظهر المختار وأُحضر إليه رأس ذلك المفسد مرفوعاً علىٰ السنان.

بعد مدّة جاء مصعب بن الزبير وقتل المختار وأُحضر الرأس منه إليه.

ولم يَسلم رأس مصعب من نفس المصير المحتوم فقتل وأحضر رأسه إلىٰ الذي تلاه.

يا للحسرة ! الناس لا يعتبرون ولا يتعظون بما يرون ويشاهدون.

وتستمر مسيرة الحياة دون أن يتوقف الفلك منها أو أن ينهدّ سقف السماء.

---

١- الطبري:ج ،صص ٢٤٤ - ٢٤٥.

وأنا حائر من هذا السحر والطلسم الذي لا يقبل البطلان.

أَخيراً امتدّت يد الانتقام الإلهي من كُمٍّ رجل عديم الرحمة وَلوغ في الدماء، و أَنزل بعديمي المروءَة من أهل العراق ما هو جزاؤهُم، وقال لهم ما تستطيبُه أسماعُهم:

«تعرفونني معرفة حسنة أَنِّني لا أَخشىٰ شيئاً، وإِذا باشرتُ عملاً ستعرفون ما عملي.

يا أهل الكوفة! أرىٰ عيوناً كفيفة، وأعناقاً مديدةً، ورؤوساً أَينعت وحان قطافها، ودماءً خضبت اللحىٰ من أعلىٰ الهام.

يا أهل الشقاق والنفاق و فساد الأخلاق، ما أنا بريشة تذروها الرياح، ولا أنا من تتلاعبون به.

أبان هذا الحديث ما علىٰ الكوفة والعراق من تكليف.

فقد عرفوا أَنَّهم بإزاء رجل جاءَهم في أَوانه، يتحدَّت بالمنطق الذي يفقهونه، إِذ رَعب الحّجاجُ أولئك الناس المتلوِّنين رعب الماهر في القمع الذي هدأ به الشغب والفتنة عشرين عاماً في العراق والمنطقة الشرقية وخوزستان التي كانت قاعدة الخوارج.

لكنّ لازمة مثل هذا الحكم هي – علىٰ ما نعلم – الظلم والحبس والقتل الذريع وشيوعُ الرُّعب.

في حكم الحجّاج مثلما في حكم ابن زياد كانوا يعتقلون الناس بأدنىٰ تهمة ويقتلون ويزجّون في السجن، بل إِنّ الإلقاء في السجن ما كان مستلزماً ذنباً أو سوء ظنّ أو معصية.

انظروا إلىٰ هذه القصّة الكاشفة عن زاوية من آجتماع ظَلَمَةِ ذاك الزمان وتصوير لحياةٍ تحت حكومات مستبدّة:

كان الحجّاج يقرأ سورة هودٍ، وإذ وصل هذه الآية:

«قال يا نوح إِنَّه ليس من أَهْلك، إِنّه عملٌ غيرُ صالح»

لم يعرف كيف يُعربُ «عمل»، فقال لأحد الحرس: آتني بمن يُحسن قراءَة القرآن.

وإذ أحضر الحرسيّ قاريء القرآن كان الحجّاج قد نهض من مكانه وذهب، فألقاه في السجن، ونسيه.

وبعد ستّة أشهر فتّش الحجّاج السجن، وإذ وصل إلىٰ ذلك الرجل، سأله: لِمَ وقعتَ في السجن؟

- من أجل آبن نوح.

عرف الحجّاج قصّته، فأمر بإطلاقه.(١)

وكلما امتدّت سنوات حكمه أزداد إعراضاً عن فقه الإسلام، و جرأة علىٰ الدِّين، حتّىٰ إنّه خاطب زائري مرقد الرسول في إحدىٰ خطبه، قائلاً:

«تَبّاً لهم، إنما يطوفون بأعوادٍ رَمَّةٍ باليةٍ.

هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبدالملك!

ألا يعلمون أنّ خليفة المرءِ خير من رسوله؟

ولمعرفة الحاكمين الآخرين بمكانته عند الخليفة كانوا يتملقُونه ويتزلفونَ إليه، لكن عندما رأوا خليفة الزمان أو أقرباءه لا يهتمونَ به، غيَّروا مواقفهم منه.

في أحد أيام الجمعة رقي خالد بن عبدالله القسري حاكم مكّة المنبر، وَأثنىٰ علىٰ الحجاج، وبعد أيام علىٰ تلك الخطبة وصلته رسالة من سليمان بن عبدالملك أنّه سَبَّ الحجّاج.

فرقي خالد المنبر في الجمعة الأُخرىٰ، وقال: كان إبليس في زمرة الملائكة، ولأنّه كان يُظهر طاعته، كان الملائكة يرونه خيراً منهم، لكنّ الله كان يعلَمُ خُبْثَ باطنه، وعندما أراد أَنْ يفضحه، أمره أن يسجُدَ لآدم. وبهذا الأمر تجلّىٰ إبليس الذي كانَ خافياً علىٰ الملائكة.(٢)

---

١- العقد الفريد: ٥/٢٧٢.

٢- شرح نهج البلاغة: ١٥/٢٤٢؛ العقد الفريد: ٥ /٢٨٤؛ مروج الذهب: ٢/٤٤.

الحجاج أيضاً كان يُظهر طاعة أمير المؤمنين، ولهذا كنّا نرىٰ له فضلاً، ولكنّ الله أطلع أمير المومنين علىٰ باطنه القبيح، وفضحه علىٰ يديه.

أيها الناس! العنوا الحجّاج ألا لعنة الله عليه.[١]

وبهذا الكلام رفع نفسه إلىٰ مقام الملائكة ووضع الحجاج في رتبة إبليس.

وما نستنتجه من هذا الكلام وأشباهه هو أنّ الحكومات في هذا العصر مثلها في أغلب العصور كانت تسعىٰ لقول ما يُرضي الخليفة دون خالق الخليفة.

إذا كان وصول الكتاب صحيحاً فلا بدّ أن يكون تاريخه بين سنوات ٩٣-٩٥هـ لأنّ خالداً تولىٰ حكومة مكة مرّتين:

الأولىٰ: بين عامي ٨١-٨٦هـ وفيها كان الحجاج محل اهتمام عبد الملك.

والثانية: بين عامي ٩٣-٩٦هـ

منذ سنة ٦٢هـ وهي السنة التي يُحتمل فيها رجوع الإمام زين العابدين مع بقية آل النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ المدينة حتىٰ سنة ٩٥هـ سنة ارتحاله عليه السلام (بحسب المشهور) حكم فضلاً عن يزيد الذي دام حكمه لسنتين أربعة حكام آخرون هم: مروان بن الحكم بن أبي العاص، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وكانوا بين طالب للجاه والدعة والملذّات.

وعلىٰ ما ذكرت في مكان آخر[٢] فإنّ مقدمات موت السنّة واندثارها وإحياء البدع بدأت مع وصول القرشيين والأمويين إلىٰ المناصب الحكومية الحساسة وسوء استفادتهم من خزانة بيت مال المسلمين في سنة ٣٠هـ فصاعداً.

وظهرت تغييرات أساسية في الأحكام والنظام الإسلاميين منذ تولي معاوية للحكم والسلطة.

---

١- العقد الفريد: ٥/٢٦٧.

٢- زندگاني فاطمه عليها السلام: ١٦٨-١٨٥؛ وتاريخ تحليلي اسلام: ٢٠٤.

ولكن في عهد معاوية وبسبب وجود عدد مهم من أصحاب النبي أحياءاً في مختلف بقاع الدولة والولايات الإسلامية، وكانوا بين الحين والآخر يقفون في وجه البدع التي يُحدثها.

بذل الفقهاء الدينيون وسعهم في ذمّ البدع التي كانت تظهر بين الحين والآخر رغم أن كلامهم لم يكن يؤثر في حكّام زمانهم.

كان معاوية لبعد نظره وحذقه في مداراة الناس كثيراً ما يلتزم الصمت أمام اعتراضات الصحابة.

ويمكن القول أنّ إغلاق الطريق أمام أي نوع من الاعتراض علىٰ الحكومة بدأ منذ عهد عبد الملك.

ذهب عبد الملك بعد قتل ابن الزبير إلىٰ مكة (سنة ٧٥ هـ) ثمّ إلىٰ المدينة وخطب فيها: «أما بعد:

فلست بالخليفة المستضعف (يعني عثمان) ولا بالخليفة المداهن (يعني معاوية) ولا الخليفة المأفون (يعني يزيد) ألا وإنّ من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال.

ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمّة إلا بالسيف حتىٰ تستقيم لي قناتكم.

تُكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم،... والله لا يأمرني أحد بتقوىٰ الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه».[١]

والجملة الأخيرة من كلامه ردّ علىٰ خطباء الجمعة الذين كانوا يبدءون خطبهم بـ اتق الله .

ذكروا أن عبدالملك كان يقرأ القرآن لمّا وصلته البشارة بوصوله للخلافة فأطبقه وقال له هذا آخر العهد بك، والفراق بيني وبينك.

---

١- تاريخ التمدن الإسلامي: ٤/٧٨؛ الكامل: ١/٣٩١؛ البيان والتبيين: ٢/٢٤٤-٢٤٥.

عندما يعرّف أحد نفسه أنّه خليفة الرسول، ويتحدّث في مدينة الرسول، وعند ضريحه هكذا، ويجرؤ علىٰ سنّته، فطبيعيٌ كلُّ ما سيقولُ عُمالهُ في الولايات النائية وما سيفعلون.

هشام بن اسماعيل المخزومي الذي كان حاكم المدينة من سنة ٨٢ إلىٰ ٨٦ أخذ الناس بالشدَّة، وآذاهُم حتّىٰ إن عبدالملك علىٰ قسوته اضطُرَّ لعَزله.

والحجّاج بن يُوسف حين ترك المدينة قاصداً العراق صعد المنبر، وقال:

«أحمد الله الذي أخرجني مِن هذه الأرض، فهذه المدينة أخبث المدن، وأهلها أفسدُ الناس وأحقدهم علىٰ أمير المؤمنين».

وكذلك قال في إحدىٰ خطبه:

«ما قامت السماوات والأرض إلا بالخلافة.

وإنّ الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين، لأنّ الله خلق آدم بيده، وأسجد له الملائكة، وأسكنه جنّته ثمّ أهبطه إلىٰ الأرض، وجعله خليفة، وجعل الملائكة رسلاً»[١]

وخطب خالدبن عبدالله القسري في مكّة، فقال:

«أيها الناس! أيهما أعظم أخليفة الرجل علىٰ أهله أم رسوله إليهم؟

والله لم تعلموا فضل الخليفة! ألا إنّ إبراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً أجاجاً واستسقىٰ الخليفة فسقاه عذباً فراتاً»[٢].

أراد بالخليفة الوليد بن عبد الملك الذي حفر بئراً في الحجون كان ماؤها عذباً.

ودوّن التاريخ هذهِ الكلمات، لأنّ قائليها كانوا مشهورين، فهم وُكِل إليهم مصير الحجاز والعراق وايران والشرق الإسلاميّ

---

١- تاريخ أبي الفداء: ٢٠٥؛ وتاريخ التمدن الإسلامي: ٩٢/٤.

٢- الكامل: ٥٣٦/٤.

ولحسن الحظ لم تُدَوّن كلماتُ الحاكمين الصغار وذوي المناصب الدُّنيا، وإلاّ لَقَرأنا أَنَّ حاكم واسط أو الأهواز أو نيسابور قد مدح عبدالملك أو الوليد بالرُّبوبيَّةِ وما فوقها!

ولعلّكم تَسألون: ما فعلت الأمة الإسلاميَّةُ إزاءَ أَقوال الخلفاء والحكام الخانعين لهم القبيحة و أفعالهم التي هي أَقْبحُ مِن تلك الأقوال؟

سؤالٌ في محلّه.

وليس جوابه بطويل ولا ثقيل، إنّه قصير وواضح، إنَّه ذلك الفعل الذي تتَّخذُهُ كلَّ حين.

وكان عبدالملك قد عرف الناس جيّداً، فقال لهم مستنكراً دعوةَ الخطباءِ إياهُ إلىٰ التقوىٰ: «تدعوننا إلىٰ التقوىٰ وأنتم غير متَّقين».[١]

ومنذ ذلكَ تبيَّن واجب الناس:

ففئة منهم كانت متمسّكةً بالدين، لكَّنها قليلة.

كانت الحكومات في البدء تقطع أُعطيات الناس من بيت المال، بل تقطع أُعطياتِ مدينةٍ بِمُخالفة أحدٍ منها، مثلما قطع هشام عطاء مكّة والمدينة عند قيام زيد.[٢]

فإن لم يَرْتدعُوا بهذا القطع عن الخلاف زُجُّوا في السجن أو قُتلُوا.

وفئة أُخرىٰ آعتزلتْ وسكنَتْ.

في ذلك العهد دارت الدُّنيا لرجال السَّاعةَ الذين كانُوا يحتفظون بأُوار المعارك مشبوباً.

نعلم أنه في نهاية النصف الاوّل من القرن الأوّل الهجري ظهرت فئة مُلمَّة بأصول العقائد الاسلاميّة ذهبت إلىٰ أنّ الايمانُ هو الإقرارُ باللسان وحده، أي: شهادة الشهادتين، و أَنّ مرتكب الكبائر ليس من الخالدين في جنهّم، و أَنّ الله يعفو عنه،

---

١- تاريخ أبي الفداء: ١/ ٢٠٥؛ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢١٧.

٢- الأغاني: ٧/ ٢٢.

ويظهر أَنَّهم كانوا يتخذون مِن بعض الآيات بُرْهاناً علىٰ مايدَّعون، كقوله - تعالىٰ -: وآخرون مُرْجُون لامر الله إمّا يُعذّبهم وَإمّا يتوب عليهم»[١]

هؤلاءِ هم مَنْ عُرفوا في علم الكلام الاسلامي بالمرْجئة، وقد انتفع الأُمويُّون بهذه الفئة من المتكلمين، فكان هؤلاءِ علموا أم لم يعلموا يُصحِّحون أَفعالَ الحاكمين و يُخَفِّفُون مَن قُبحها في نظر المسلمين.

وفئة مادحة عابدةٌ لبطنها منحطة أَلقت نفسها في الوسط تمدح الحاكمين بما ليس فيهم، وتمحو عَنْهُمْ ما بهم.

شعراء مثل الأخطل وكعب بن جُعَيل و الليثي وعبدالله بن همّام السلولي، و أبي العباس الأعمىٰ ومسكين الدارمي وعديبن الرقاع ويزيد بن مفرغ.

وهذه أمثلة مِن أناشيد هؤلاءِ المادحين المحترفين:

قال يزيد بن مفرغ في مدح مروان:

وأَقمتُمْ سُوقَ الثناء ولم تكنْ سوُقُ الثناءَ تُقامُ في الأسواقِ

فكأَنّما جَعَل الإله إليكم فيضَ النُّفُوس وقِسمة الأرزاق

وأنشد أبوالعباس الأعمىٰ الشاعر الإيرانيُّ الأصل الآذري في الأُسرةِ الأموية قبل أن تُطرد من المدينة:

ولم أَرَ حَيًّا مثل حيٍّ تحَّملوا إلىٰ الشام مظلومين مُنْذُ بريتُ

أَعَزَّ وأَمضىٰ حين تشتجرُ القنا وَأَعْلمَ بالمسكين حيثُ يبَيْتُ

إذا ماتَ منهم سيِّدٌ قامَ سيِّدٌ بَصيرٌ بِعَوراتِ الكلام زَميْتُ[٢]

وَأَنشد أبو العباس الأَعمىٰ في ذَمِّ شيعة علي:

لَعَمْرُكَ إِنَّني وَأَبا طُفيلٍ لَمختلفانِ وَاللهُ الشَّهيدُ

---

١- التوبة| ٩: ١٠٦.

٢- تاريخ الأدب العربيّ، العصر الإسلامي، شوقي ضيف: ٢/٢٢٨-٢٢٩.

لقد ضَلُّوا بحُبِّ أَبي تُرابٍ كما ضَلَّتْ عَنَ الحقِّ اليَهُود[١]

وأَنشد الفرزدقُ قصيدةً طويلةً في موت الحجّاج منها:

ليَبْك علىٰ الحجّاج مَن كان باكياً علىٰ الدِّين أو شارٍ علىٰ الثَّغر واقف
وما ذَرَفَتْ عينان بَعدَ محمدٍ علىٰ مثلهِ إلّا نفوس الخلائف[٢]

وقَالَ الأخطل قصيدة في مدح الحجّاج جاءَ فيها:

أحيا الإلهُ لنا الإمامَ فإنَّهُ خيرُ البريةِ للذُّنُوب غَفُورُ
نُورٌ أَضاءَ لنا البلاد وقد دَجَت ظُلمٌ تكادُ بها الهداةُ تجورُ
فعَليك بالحجَّاج لا تعدِلْ بهِ أَحداً إذا نَزَلتْ عليك أُمورُ[٣]

ومدح عدي بن الرقاع الوليدبن عبد الملك بقوله:

ولقد أراد اللهُ إذْ وَلَّاكها مِنْ أُمَّةٍ إصلاحها وَرشادَها
أَعْمرْت أَرض المسلمين فأقبلت ونَفَيْتَ عنها مَنْ يَرُومُ فَسادها[٤]

وقال الأحوصُ في شأن الوليد بن عبدالملك:

تَخيَّرَهُ رَبُّ العباد لخلقه وليّاً وكان الله بالناس أعلما[٥]

ومدح الأخطل بشير بن مروان وبني أمية بقوله:

بكم أَدرك اللهُ البَريَّة بعدما سعىٰ لصُّها فيها وهَّب غَشُومُها
وَإِنَّك للمأمولُ والمتَّقىٰ به إذا خيف مِن تلك الأمور عظيُمها[٦]

---

١- نفسه: ٢/٢٢٩.
٢- الديوان: ٢/٥.
٣- الديوان: ٧٤.
٤- تاريخ الأدب العربي- السابق: ٢/٢٤٤.
٥- نفسه: ٢/٢٤١.
٦- الديوان: ١٢٢.

ومدح عبد الله بن الزبير بن أشيم عبد الملك، فقال:

هـو القـائدُ المـيمون والعـصمةُ التي ... أَتىٰ حَـقُّها فـينا عـلىٰ كُـلِّ بـاطلِ
أقـامَ لنـا الديـنَ القـويمَ لحـلمهِ ... ورَأي له فَضْل عـلىٰ كـلِّ قـائلِ[1]

وأنشد الفرزدق في مدح هشام بن عبد الملك قائلاً:

هشام بـن خـير النـاس إلّا مُحَـمداً ... وَأصـحابَهُ إنِّي لكـمْ لم أُقـارف
مِـنَ الغِش شـيئاً والذي نَحَـرتْ لهُ ... قُريش هدايـا كـلَّ ورقـاء شـارف
إلىٰ آل مـروان آنـتهت كـلُّ عِـزَّةٍ ... وكـلُّ حـصىً ذي حَـوْمة للـخنادف
هُمُ الأكـرمُون الأكـثرون ولم يَـزلْ ... لهم مُنْكرُ النّكراءِ للـحقِّ عـارف[2]

ولا يخفىٰ أنَّه كانَ بإزاءِ معسكر المدَّاحين بـاعةِ الدِّيـن وطُـلّاب الدُّنـيا شـعراء لم يُقصِّرُوا في مَدح آل الرسول وذمِّ آل أَبي سفيانَ والمروانيين آبتغاءَ رضوان الله وبيان الحقيقة.

وإذا أَراد ممدوحو أُولئك وَصْلهُم بصلة يَسيرةٍ أَو كبيرة ما كانوا يقبلون، وعلىٰ رأس هؤلاء الكُميتُ بن زياد الأسدي صاحب سلسلة القصائد المعروفة بـ"الهاشميات"[3].

لكنَّ صرْخة أُولئك الشعراء في تِلكَ الضَّجة الصاخبة، كانت كنسيم بـاردٍ يَهبُّ في جهنَّم لاهبة، أو علىٰ مايُعبَّرُ بالفارسيَّة:

"مقابلة اللحن الحجازي لِدَوِيِّ طبلِ الغازي".

وَصَفَ أَبو الإمام الرّابع [أي الإمام الحسين عليه السلام] ذاك الزمان بقوله:

«الناسُ عبيدُ الدُّنيا والدِّين لعقٌ علىٰ أَلسنَتهم يَحُوطونَه ما دَرَّت معايشُهُم،

---

١- ناسخ التواريخ: ٥/٢٩٦.
٢- ناسخ التواريخ: ٥/٣٩٦.
٣- الديوان: ٢/٩.

فإذا مُحِّصوا بالبلاءِ قلَّ الديَّانون».[١]

كان الوضع الاجتماعي في البلاد الإسلامية كافَّةً هو علىٰ هذه الشاكلة، ويجب أن نُضيف هذه الجملة أَنَّ المدينة ابتليت بالفساد الأخلاقيّ والفساد العامّ منذ عام خمسة وستين للهجرة، وبدأت مقدّمات ذلك في السنين السابقة طبعاً، فمنذُ عام ثلاثين للهجرة وأُسَر الأشراف من قريش تحظىٰ بدَخْل كبير مِن خزانة الدولة، وتنتفع بهبات الخُلفاءِ الوفيرة في تنمية ثرواتها.

وارتفاع مستوىٰ الثراء وشراء العقارات والضياع جذب أولئك إلىٰ الحياة المترفة الزاخرة بوسائل الراحة.

وهنا أَخذت هذه الأسرُ في المباهاة، فاشترت الإماءَ والغلمان والجواري اللواتي يُجدْن الموسيقىٰ والغناء.

وقليلاً قليلاً اقتدىٰ الناسُ بأُولئك في هذا الشأن.

القتل العامُ للرجل والمرأة في "وقعة الحّرة" والاعتداء علىٰ حرمات المسلمين اللذان لا سابقة لهما في العالم الإسلامي بدّلا أهل المدينة.

فالأثرياءُ المترفون العالون علىٰ الأحكام الدينية والأخلاق الإسلامية انغمسوا في معاقرة الخمر والاستماع لغناءِ المُغنّين.

ويمكن القولُ: إنّ إقبال أولئك علىٰ هذه المنكرات حَدَثَ لِيخرجُوا مِنَ العذاب أَو لكي لا يَطّلِعُوا علىٰ ما يدورُ حولَهُم.

ولا مُبالغة فيكتابة شوقي ضيف: كأنّ المدينتين الكبيرتين مكّة والمدينة أُقيمتا للمُغنين، حتّىٰ إنَّ فقهاءَ وزُهاداً كانوا يذهبون إليهم في بعض الأوقات.[٢]

وإذا كان حال الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هكذا، فبسهولة يمكن معرفة

---

١- تحف العقول: ٢٤٥، باب وعنه في قصار هذه المعاني. م

٢- تاريخ الأدب العربي: ٣٤٧/٢.

كيف كانَ حال غيرهم؟

ذكر أبو الفرج الإصفهاني قصّة في نهاية ترجمة جميلة - إحدىٰ مغنيات ذلك العصر - تبيّن جانباً من الاجتماع الفاسد لتلك المدينة، وهي أنَّه لما خرجت جميلة للحجّ من منزلها في "سُنج" القريبة من المدينة - وكان لأبي بكر بن أبي قحافة بيت فيها - وَدَّعها كبارُ المغنين "هيت، وطويس، ودلال، وبرد الفؤاد، ونومة الضحىٰ، وفند، ورحمة، وهبة الله، ومعبد، ومالك، وابن عائشة، ونافع بن طنبورة، وبُديح المليح، ونافع الخير" مِن الرجال.

ومن النساء "فرهة، وعزّة الميلاد، وحبابة، وسلامة، وخُليدة، وعصيلة، وشماسية، وفرعة، وبلبلة، ولذَّة العيش، وسعيدة، والزرقاء".[1]

هؤلاء الذين ذكرهم أبوالفرج من أكابر مغنِّي عصرهم الذين طبّقت شهرتُهم آفاق ذلك الزمان.

ولو نظرنا إلىٰ أَنَّ كُلاً من هؤلاءِ كان له عدد مِن المتعلِّمينَ والمساعدين وإذا وضعنا في خاطرنا أَنَّ عَدَداً من الموسيقيين المشهورين الذين بقوا في المدينة، ولم يذهبوا لتوديع جميلة، سيكون بأيدينا رقمٌ صعب التّصديق.

وإذا كان هذا وضع قبلة المسلمين الإجتماعي، ووضع مركز تأسيس الحكومة الإسلامية، فيجب تصوُّر وضع دمشق والبصرة والمدن الكبيرة الأُخرىٰ. طبعاً كان عدد من الزُّهّاد ومقيمي الليل والعُبّاد معتزلين عن الناس.

يقضون يومهم في الطاعة وليلهم في حرم الله أو عند ضريح الرسول متعبدين، وكانوا مُشمئزّين مما كان الناس يفعلون، لاجئين عائذين إلىٰ الله. والكثرة الكاثرة كانت مشغولة بحياتها اليوميَّة لا علاقة لها بالفئتين.

في مثل هذا المحيط عاش الإمام علي بن الحسين النصف الثاني من حياته وقد ذكرنا

---

١- الأغاني ٢٠٩/٨؛ وأعلام النساء: ٢١٢/١.

طرفاً من وصفه.

وهو محيط تحكمه رقابة مأموري الشام أن يُذكر اسم لآل عليٍّ بخير، وكانوا يتشددون في ذلك، حتىٰ إنّ الناس كانوا يسعون أن يكونوا بعيدين عن مدىٰ النظر، لئلا يُتَّهموا، حتىٰ إنَّ علي بن الحسين يقول:

«لايُحبُّنا في مكّة والمدينة عشرون رجلاً».(١)

ومن ناحية أُخرىٰ كانت المدن الإسلاميّة - علىٰ ما كتبت - تغرق في الانحطاط الأخلاقي والفساد الاجتماعي كلَّ يوم وكأنّ عامة الناس قد صمّوا آذانَهم، فلا يدخلها حديث الحقّ.

يمكن القول: إنّ أدعية الإمام علي بن الحسين التي انضمَّتْ في مجموعة من الدعاء باسم «الصحيفة السجّادية» هي مِرآة تنعكس عليها صورة الاجتماع في المدينة خاصّةً في ذلك الزمان.

فالأَذىٰ من فعل الناس وقولهم القبيحين في ذاك العَهْد، واللجوءُ إلىٰ الله - تعالىٰ - مما يرىٰ ومما يسمع، وبيان الطريق الصحيح في كنف الدين والقرآن وتطهيرُ الأَرْوَاح مِن السُّوءِ كُلُّها تتجلّىٰ فيها.

فالإمام علي بن الحسين يريد علىٰ قَدْرِ الإمكان أَن يُخْرج الناس بلسان الدُّعاء من قبضة الشيطان، ويصلهم بالله - تعالىٰ.

## ذمّ الظُّلم

اللهمّ إنّي أَعتذر إليك من مظلوم ظُلِمَ بحضرتي، فلم أَنصُرْهُ، ومن معروفٍ أُسدي إليَّ، فلم أَشكُرْه، ومن مسيءٍ آعتذر إليّ فلم أعذِرْه، ومن ذي فاقةٍ سألني، فلم أوثِرْه، ومن حقِّ ذي حقٍّ لزمني لمؤمنٍ، فلم أُوقِّرْهُ، ومن عيب مُؤمنٍ ظهر لي، فلم أستُرْه(٢).

---

١- شرح نهج البلاغة: ٤/١٠٤؛ والبحار: ٤٦/١٤٣؛ والغارات: ٥٧٣.

٢- من الدعاء الثامن والثلاثين.

## القرآن

كتابك الذي أَنزلته نوراً، وجعلته مُهيْمِناً علىٰ كلّ كِتاب أنزلتَه، وفضّلْته علىٰ كلِّ حديث قَصَصْته، وفُرْقاناً فرقت به بين حلالك وحرامك، وقُرآناً أَعربت به عن شرائع أَحكامك، وكتاباً فصّلته لعبادكَ تَفصيلاً. وجعلتَه نوراً نهتدي من ظُلَمِ الضّلالة والجهالةِ باتبِّاعِه، وشفاءً لمن أَنْصَتَ بِفهْم التّصديق إلىٰ آستماعه[١].

## النّبيّ

اللهمّ فصَلِّ علىٰ محمدٍ أَمينكَ علىٰ وحيك، ونجيبكَ من خَلْقِكَ، وصفيّكَ مِن عبادِك، إمام الرّحمةِ وقائد الخير، ومفتاحِ البركةِ كما نَصَبَ لِأَمرك نَفْسه، وعَرَّضَ للمكروهِ بَدَنَه، وكاشَفَ في الدّعاءِ إليكَ خامّتَه، وحارَبَ في رِضاكَ أُسْرتَه، وقطع في إحياءِ دِيْنِكَ رَحِمَه... ووالىٰ فيكَ الأبعدين[٢].

## تهذيبُ النَّفسْ

اللهمّ إنّي أَعوذ بِكَ من هَيَجانِ الحِرص، وسَورةِ الغَضَب، وغَلَبَةِ الحَسَد، وضَعْفِ الصَّبْر، وقِلّة القناعة، وشكاسةِ الخُلق، وإلحاح الشهوة، وَملكَة الحمّيَة، ومتابعةِ الهوىٰ، ومُخالفةِ الهُدىٰ، وسِنَةِ الغَفْلة، وَتعاطي الكُلْفةِ، وإيثار الباطِل علىٰ الحق، والإصرارِ علىٰ المآثِم، وآستصغارِ المَعْصِيَة، وآستكبار الطاعَّة[٣].

---

١- من الدعاء الثاني والأربعين.

٢- من الدعاء الثاني.

٣- من الدعاءِ الثامن.

## تواضع علي بن الحسين

«وعباد الرحمن الذين يَمشون علىٰ الأرضِ هَوْناً
و إذا خاطبَهم الجاهلون قالوا سلاماً
و الذين يبيتون لِربِّهم سُجَّداً و قياماً
و الذين يقولون ربّنا أصرف عنّا عذاب جهنّم
إن عذابها كانَ غَراماً إنها ساءت مُستقَرّاً ومُقاماً
والذين إذا أنفقُوا لم يُسْرفوا ولم يَقتروا وكان بينَ ذلك قَواماً
... و الذينَ لا يشهدون الزورَ
و إذا مرُّوا باللغوِ مرُّوا كراماً»[1]

الآيات التي كتبناها أَعلاهُ في آخر سورة الفُرقان عَدَّ اللهُ فيها صفاتِ المؤمنين المُصطَفيْن، وفيما ستقرءُون من الفصول القادمة ترون كلَّ الصفاتِ المُعيَّنةِ هُنا لِعباد الرحمن جليةً في عليّبن الحسين﴿عليه السلام﴾ الذي كانَ في تلك الحِقبةِ المُظلمة مصباحاً منيراً للباحثين عَن الكمال: بقولِه وفِعْلِه، مُحيياً سيرة جدِّه وأبيه وبيت الرسالةِ المَنسيَّة.

ورأىٰ الناس الذين كانت السنون فاصلاً بينهم وبينَ عصر النُبُوّةِ مثال التربية الإسلامية بأُمِّ أَعيُنهم: من عبادة اللهِ، ودماثةِ الطبع، ومحاسبة النفس، والانكسار للحق، والأخذ بيدِ المستحقّين، والسخاء، والتقوىٰ...

قال الجاحظ عنه في الرسالةِ التي كتبها في فضائل بني هاشم:

«رأَيت الخارجيَّ فيه كالشيعيّ، والشيعيّ كالمعتزليّ، والمعتزليّ كالعاميّ، والعاميّ

---

١- الفرقان| ٢٥: ٦٣-٧٣.

كالخاصّ، وما رأيتُ أَحداً يشُكُّ في فضله أو في تقدُّمه».[١]

ما كان يعامِلُ ذوي قُرباهُ وأصدقاءَهُ ومعارِفه وحدهم بإحسان، فحنانه، كان يشمل حتىٰ أعداءَهُ العاجزين، ويتفيَّأ ظِلَّه الحيوان، وقد كتبنا لُجوءَ مروان بن الحكم إليه وقَبُوله رجاءَه في فصل سابق.

كتب الطبري أنّه عندما بلغ خبر موت يزيد إلى الحصين بن نمير عادَ إلى الشام، وكان في طريقه إلىٰ المدينة تعِباً مهدوداً قلقاً، فرسُه تعِبٌ وفارسُه أَتعبُ منه، وفي المدينة استقبله علي بن الحسين.[٢]

أورد المجلسي عن السيّد ابن طاووس بإسنادِه عن الصادق﴿عليه السلام﴾ أنّه كان علي بن الحسين﴿عليه السلام﴾ إذا دخل شهر رمضان يكتب ذنوب غلمانِه وفتياتِه: أذنب فلان، أَذنبت فلانة يومَ كذا.

فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حولَه، ثمّ أَظهر الكتاب، وقال: «يا فلان! فعلتَ كذا وكذا ولم أُؤدِّبْكَ، أَتذكرُ ذلك؟

فيقول: بلىٰ يا ابن رسولِ الله.

ويُقرِّرهم جميعاً، ثمّ يقوم وسطهم، ويقول: ارفعوا أَصواتكم، وقولوا: يا علي بن الحسين! إنَّ رَبّك قد أَحصىٰ عليك كلّ ما عملت كما أَحصيتَ علينا كلَّ ما عمِلنا لديك حاضراً. فاعفُ واصفح! يعفُ عنك الليلة ويصفح، فإنَّهُ يقول:

«ولْيَعْفوا وليَصْفَحُوا ألا تُحبّون أن يغفر الله لكم»[٣]

وهو يُنادي بذلك عِلىٰ نفسه، ويُلقِّنهُم، ويُنادون معه وهو واقف بينهم يبكي ويقول: «ربَّنا إنَّكَ أَمرتنا أن نعفو عمَّن ظلمنا وقد عفونا عمَّن ظَلَمنا كما أَمرت، فاعفُ عنّا،

---

١- عدّة الطالب: ١٦٠.

٢- تاريخ الطبري: ٢/٧٣.

٣- النور| ٢٤: ٢٢.

فإنّك أولىٰ بذلك مِنّا ومن المأمورين. إلهي كرمت فأكرمني إذ كُنتُ من سُؤّالك[١]، وجُدت بالمعروف فاخلطني بأهل نَوالك يا كريم. ثمّ يُقبل عليهم، فيقول: «قد عفوتُ عنكم، فهل عفوتُم عنّي ماكان منّي إليكم من سوءِ مِلكة فإنّي مليك سوء لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل مُحسن متفضّل».

فيقولون: قد عفونا عنك يا سيّدنا وما أسأت.

فيقول لهم: «قولوا: اللهمّ اعفُ عن عليّ بن الحسين كما عفا عنّا، وأَعتقْه من النار كما أعتق رقابنا مِن الرِّقّ».

فيقولون ذلك، فيقول: «اللهمّ آمينَ ربَّ العالمين؛ اذهبوا، فقد عفوت عنكم، وأعتقتُ رقابَكم رجاءً للعفوِ عنّي وعِتْقِ رَقبتي». فإذا كان يوم الفِطر أَجازهم بجوائز تصونهم وتُغنيهم عمّا في أيدي الناس.

وما مِن سنة إلاّ وكان يُعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رقَبة إلىٰ أقلّ أَو أكثر.

وما استخدم خادماً فوقَ حَوْل[٢].

كان إذا ملك عبداً في أوّل السنة أو في وسط السنة وكانت ليلة الفطر أعتقهمّ واستبدل سواهم في الحول الثاني.[٣]

وأوردَ المجلسي بإسنادِه أَنَّ عليَّ بنَ الحسينِ قَرَعَ مَوْلىً له سَوْطاً، فدخلَ منزِله، وخلع لباسَه، وأحضر سوطاً، وطلب إلىٰ المولىٰ أَن يقتصَّ مِنْه، فأبىٰ المولىٰ أَنْ يفعلَ، فَوَهبَ له الضيعةَ التي ضَرَبَهُ لما رآهُ مِنْ فسادِهِ وتضييعه فيها.[٤]

---

١- جمع سائل.

٢- أي سنة.

٣- البحار: ٤٦/١٠٢-١٠٥.

٤- نفسه: ٦٤/٩٢.

كان في مجلسه يوماً جماعة، وترامىٰ إليهم نَحيبٌ مِن الخارج، فخرج الإمام، وعاد فجلسَ في مكانه هادئاً، فسأله الحاضرون: أكانت مصيبة؟

قال: نعم.

فَعَزّوْهُ، وتعجّبوا من صبرِه.

قال الإمام: «نحن أهل بيت نطيع اللهَ فيما نُحبّ، ونشكرهُ فيما نكْره».[١]

تُوفّي طفلٌ له، ولم يروا منه جَزَعاً، فسألوه: كيف لا تجزع من موت آبنِك؟!

قال الإمام: كان شيئاً ننتظرُه، وإذ وَصَلَ لم نجزع منه[٢].

وكما كتبنا كان في تلك السنوات عِدَّة مِن عظماء التابعين المشهورين بالفقه والزهد يعيشون في المدينة مثل ابن شهاب[٣]، وسعيد بن المسيّب[٤]، وأبي حازم[٥].

كلّ هؤلاء كانوا يُحدِّثون الناس بفضل عليِّ بن الحسين وعظمتِه.

وكان الزهري يقول: لم أرَ هاشمياً أفضل مِن عليّ بن الحسين.[٦]

ونقلوا هذا الاعتراف عن عبدالعزيز بن حازم أيضاً.[٧]

*كان الإمام يوماً في مجلس عمر بن عبدالعزيز الذي كانَ في تلك السنوات حاكم المدينة، ولمّا قام مِن عنده سأل عمر الحاضرين: مَن أشرف الناس؟

فقالوا: أنتم.

فقال: لا، أشرف الناس هذا القائم من عندي آنِفاً. مَنْ أَحبَّ الناسُ أَنْ يكونوا منه،

---

١- حلية الأولياء: ١٢٨/٢؛ المناقب: ١٩٦/٤، كشف الغمة: ١٠٢/٢.

٢- كشف الغمة: ١٠٢/٢-١٠٣.

٣- محمد بن مسلم الزهري المتوفىٰ سنة ١٢٤.

٤- المتوفىٰ سنة ٩٤هـ

٥- من التابعين.

٦- أنساب الأشراف: ١٤٦/٢؛ نسب قريش: ٨٠ عن يحيىٰ بن سعيد؛ علل الشرائع: ٢٢٢/٢.

٧- الإرشاد: ١٤٢/٢، حلية الأولياء: ١٤١/٢.

ولم يُحِبَّ أَن يكون من أحد[١].

هذه أحاديث من كانوا يرون فضله الظاهر، وهم محرومون معرفة عظمتِه المعنوية ومقام ولايته، ولذا مَدَحوا أَظهر ما فيه، إذ لم يروهُ إماماً، ومع ذلك نراهم خاضعين لملكاتِه السّامية.

*أعتق علي بن الحسينِ فتاةً له، وتزوّجها، وعلم عبدالملك بن مروان بذلك، وَرَأىٰ ذلك نقصاً، فكتب إليه أَنْ لماذا فعلت هكذا؟

فأجابَه بأَنّ الله رفع بالإسلام كلّ منزلة، وأكمل به كلَّ نقص، وأَكرم به كلّ لئيم، وقد تزوّج رسول الله أَمَةً.

وإذ قرأ عبدالملك هذه الرسالة قال: ما يُوجب للآخرين خفض المنزلةِ هو رفعة لعلي بن الحسين[٢].

*ودعا مملوكَه يوماً مرّتين، فلم يُجِبْه، وإذ أجابه في الثالثةِ قال له: يا بُني أَما سمعتَ صوتي؟

قال: بلىٰ.

قال: فما لك لم تُجبْني؟

قال: أمنتُك.

قال: الحمدللهِ الذي جعل مملوكي يأمنني.[٣]

*قيل له: ما لك إذا سافرتَ كتمتَ نفسَك أهل الرفقة؟

فقال: أَكْرهُ أَنْ آخُذَ برسولِ الله ما لا أُعطي مِثْلَه.[٤]

---

١- المناقب: ٤/١٦٧.

٢- العقد الفريد: ٧/١٢١؛ المناقب: ٤/١٦٢؛ عيون الأخبار: ٤/٨؛ المعارف: ٢١٥.

٣- الإرشاد: ٢/١٤٧؛ المناقب: ٤/١٥٧؛ كشف الغمّة: ٢/٨٧؛ أعلام الورىٰ: ٢٦١-٢٦٢.

٤- كشف الغمّة: ٢/١٠٨؛ والمناقب: ٤/ ١٦١.

*ومَرَّ بمجذومين، فسلَّم عليهم وهم يأكلون، فقالوا له: هَلُمَّ تَغدّ معنا.

فقال: أما إنِّيّ لولا أني صائم لفعلت. فلمّا صار إلىٰ منزله أمر بطعام فصنع، ثمّ دعاهم فتَغَدوا عنده وتَغدّىٰ معهُم[١].

*قال له نافع بن جبير: أنت سيِّد هذا الناس وأفضلهم، وتذهبُ إلىٰ هذا العبد، (يعني زيد بن أسلم) فتجلس معه؟ فقال: إنّه ينبغي للعِلم أن يُتَّبع حيثما كان[٢]. وفي رواية المجلسي عن المناقب أنّه قال: أجلس إلىٰ من في جلوسي إليه نفع لديني.[٣]

ولأنه يُعاملُ عباداللهِ هكذا للهِ وطلباً لرضاه يزيد اللهُ عظمته وهيبتَه في عيون الناسِ وقلوبهم.

*قيل له: إنّكَ مِن أَبَر الناس بأُمِّكَ، ولسنا نراكَ تأكل معها في قصعة وهي تريد ذلك[٤].

فقال: أَخاف أَن تسبق يدي إلىٰ ما سبقت إليه عينُها.[٥]

إنّه ليعامل خلقَ الله بهذا التواضعُ لله وٱستحصالِ رضاه، فيزيدُ اللهُ حرمته وكرامته في نظر العباد.

كان أعداؤه -إن كان له أعداء- يريدون أن يُخفوا قَدْرَه، وأَلاّ يعرفه الناس، لكنّ شهرته كانت تتسع برغم أولئك، فالشمس لا تُطلىٰ بالطين، والمسك مهما حَفِظوه في وعاءٍ، فإنّ رائحته الطيبة تأخُذُ بالمشامِّ.

---

١- أصول الكافي: ٢/١٢٣؛ الإمام علي بن الحسين: ٣٤٥.

٢- حلية الأولياء: ٣/١٣٧-١٣٨.

٣- البحار: ٤٦/٣١؛ المناقب: ٤/١٦١.

٤- من آنية الطعام.

٥- المناقب: ٤/ ١٦٢.

## مدح الفرزدق لعلي بن الحسين

قِصّة مجيئه إلىٰ المسجِد الحرام وإفراج الناس عن طريقه قرب الحجر الأسود معلومة لكلّ المِلُمِّين بالتاريخ الإسلاميِّ. هذه القصة من الحوادث التي اتّفق عليها أكثر المؤرخين وكُتّابِ السير منذُ القِدم، ولو أَنّهم مُتباينون في الجزئياتِ، وعلىٰ الرغم من الخلاف في عدَّة الأبيات علىٰ ما سأكتبُه.

وخلاصتها: أنّ هشام بن عبد الملك كان قد ذهب للحج يرافقه كبار أهل الشام. وفي أحد الأيام بينما كان يؤدي مناسك الطواف أراد أن يلمس الحجر الأسود فتعذّر عليه ذلك بسبب الزحام الشديد، وبينما هو علىٰ ذلك الحال جاء علي بن الحسين عليه السلام ليلمس الحجر وعندما اقترب من الركن انفرج الناس وفسحوا له المجال ليتمكن من لمس الركن بيده، فأثار هذا المشهد استغراب الشاميين، وحملهم علىٰ أن يسألوا هشاماً:

– من يكون هذا الرجل حتىٰ يحترمه الناس كلّ هذا الاحترام؟

– أجاب هشام: لا أدري!

– فقال الشاعر الفرزدق الذي كان في ذلك الجمع قائلاً: ولكن أنا أعرفه.

وأنشد أبياتاً في التعريف بشخصية الإمام عليه السلام والثناء عليه. والأبيات طبقاً لما جاء في طبعة دار صادر كالتالي:

١- هذا الذي تعرف البطحاءُ وَطْأَتَهُ ... والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحَرَمُ

٢- هذا ابن خيرِ عبادِ الله كُلِّهُم ... هذا النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ

٣- هذا ابنُ فاطمةٍ إن كُنتَ جاهِلَهُ ... بِجَدِّهِ أَنبياءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا

٤- وليسَ قولُك: من هذا بضائرِهِ ... العُرْبُ تعرِفُ مَنْ أنكرْت والعَجَمُ

٥- كِلتا يَدَيْهِ غياثٌ عَمَّ نَفْعُهُما ... تُستَوكَفانِ ولا يعروُهُما عَدَمُ
٦- سَهْلُ الخَليقةِ لا تُخْشىٰ بَوَادِرُهُ ... يزينُهُ آثنانِ حُسْنُ الخُلْقِ والشِّيَمُ
٧- حمّالُ أَثقالِ أَقوام إذا آفتُدِحُوا ... حُلْوُ الشَّمائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
٨- ما قال لا قَطُّ إلاّ في تَشَهُّدِهِ ... لولا التَّشَهّدُ كانت لاؤهُ نَعَمُ
٩- عَمَّ البَرِيَّةَ بالإحسانِ فانْقَشَعَتْ ... عَنْها الغَياهبُ والإملاقُ والعَدَمُ
١٠- إذا رأَته قريشٌ قال قائلُها ... إلىٰ مكارِمِ هذا ينتهي الكَرَمُ
١١- يُغْضي حَياءً ويُغضَىٰ من مهابتِهِ ... فما يُكلّمُ إلاّ حين يَبتَسِمُ
١٢- بكفِّهِ خَيزرانٌ رِيحُها عَبِقٌ ... مِن كفِّ أَرْوَعَ في عِرْنِيْنِهِ شَمَمُ
١٣- يكادُ يُمْسِكُهُ عِرفان راحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطيم إذا ما جاءَ يَسْتلمُ
١٤- اللهُ شَرّفَهُ قِدْماً وعَظَّمَهُ ... جَرَىٰ بذاكَ لَهُ في لَوحِهِ القَلَمُ
١٥- أَيُّ الخلائقِ ليست في رقابِهِمُ ... لِأَوَّلِيّةِ هذا أَو لَهُ نِعَمُ
١٦- مَن يَشْكُرِ اللهَ يشكُرْ أَوّلِيَّةَ ذا ... فالدّيْنُ مِن بَيت هذا نالَهُ الأُمَمُ
١٧- يُنمىٰ إلىٰ ذُروَة الدِّيْن التي قَصُرتْ ... عَنْها الأَكُفُّ وعنْ إدْراكِها القَدَمُ
١٨- مَنْ جَدُّهُ دانَ فَضْلُ الأَنبياءِ لَهُ ... وفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الأُمَمُ
١٩- مُشتقّةٌ مِن رسولِ اللهِ نَبْعَتُهُ ... طابَتْ مغارِسُهُ والخِيمُ والشّيَمُ
٢٠- يَنشَقُّ ثوبُ الدُّجىٰ عن نُورِ غُرَّتِهِ ... كالشَّمْسِ تَنْجابُ عَنْ غُرّتِها الظّلَمُ
٢١- مِن مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وبُغْضُهُمُ ... كُفْرٌ وقُرْبُهُمْ مَنْجَىٰ ومُعْتَصَمُ
٢٢- مُقَدَّمٌ بعدَ ذِكرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ ... في كلِّ بدءٍ ومختوم بهِ الكَلِمُ
٢٣- إنْ عُدَّ أَهلُ التُّقَىٰ كانُوا أَئِمَّتَهُمْ ... أو قيلَ مَنْ خيرُ أَهْلِ الأَرْضِ؟ قيْل: هُمُ
٢٤- لا يستطيعُ جَوادٌ بعدَ جُودهِمُ ... ولا يُدانيْهِم قَومٌ وإنْ كَرُمُوا
٢٥- هُمُ الغُيُوثُ إذا ما أَزْمَةٌ أَزمَتْ ... والأُسْدُ أسد الشَّرَىٰ واليأْسُ مُحتَدمُ
٢٦- لا يَنْقُصُ العُسْرُ بَسطاً مِن أَكُفِّهِمُ ... سيّان ذلك إن أَثْرَوا وإن عَدِمُوا
٢٧- يُستَدْفَعُ الشَّرُّ والَبْلوىٰ بُحبِّهِمُ ... ويُستَرَبُّ بهِ الإحسان وَالنِّعَمُ

ومثلما سنكتب أَورد المؤرّخون منذ القرن الرابع فصاعداً هذه القِصّة الباعثة علىٰ إنشادِ هذه القصيدة أَو أَبياتٍ منها، وما من أَحدٍ منهم أَنكر أَصل القِصّةِ صراحةً، لكنّهم ليسوُا يَدَاً واحدةً في شأن الشاعِر وعِدّة الأبيات ومَن قيلت فيه القصيدة أَو شيءٌ منها.

وَأقدمُ مصدر تُرىٰ فيه أَبيات من هذه القصيدة هو «ديوان الحماسة» الذي هو آختيارُ أَبي تّمام حبيب بن أوس الطائي المتوفَّىٰ سنة اثنتين وثلاثين ومئتين للهجرة، وهي مسَّجلة بهذا الترتيب:

١، ١٠، ١٣، ١٥، ١٢، ١١

وفي طبعة بيروت، مطبعة قوزما، عنوان الأبيات هو:

أَنشد الحزين الليثي في مدح علي بن الحسين، وقالوا: الأبيات للفرزدق[١].

وفي طبعة بيروت: دارالقلم، التي جُعلتْ بشرح الخطيب التبريزي عنوان الأبيات هو:

وقال الحزينُ الكناني. وكتب الخطيب التبريزيّ:

وهذا الشعر يقوله الحزين في عبدالله بن عبدالملك بن مروان، وكان عبدالله من فتيان بني أُميّة وظرفائهم، وكان حسن المذهب[٢].

والناس يروون هذه الأبيات للفرزدق يمدح بها عليّ بنَ الحسين بن علي بن أَبي طالب، وَهو غلط ممّن رواها فيه، لأَنّ هذا ليس ممّا يُمدَح به مثلُ علي بن الحسين، وله من الفضل الباهر ما ليسَ لأحَدٍ في وَقْتِه.[٣]

---

١- ص ٢١٢.

٢- قال المؤلف: «هذه العبارة أُخذت من كتابة الزبيري، أو راوي الاثنتين واحد».

٣- ص ٢٨٤.

وبعد الحماسةِ، كتبها أبو عبداللهِ مصعب الزبيري الذي عاش ما بين ١٠٦و ٢٢٦ للهجرة في كتابِه «نسب قريش».

قال عند عَدِّهِ أَبناءَ عبدالملك بن مروان:

وعبدالله بن عبدالملك أُمُّه أُمُّ ولد، مَدَحوه بِحُسن الوَجْه والمذهب، وفيه يقول الحزين الكناني أَحد بني بكر بن الدئِل بن بكير:

في كفِّه خيزَرانٌ رِيْحُها عَبِقٌ ... مِن نشْرِ أبيضَ في عرْنينِهِ شَمَمُ

يُغضي حياءً ويُغضَىٰ مِن مهابَتِهِ ... فما يُكَلَّمُ إلاّ حين يَبْتَسِمُ[1]

وبعدَهُ كتبها أبو عثمان عمرو بنُ بحرالملقّب الجاحِظ المتوفّىٰ سنة ٢٢٥ للهجرة.

فقد قال في فصل عنوانُه (شعر في تعظيم الأشراف)[2]: أَنشد أَحد الشعراء في أَحد المروانيّين[3]:

في كفِّه خيزرانٌ رِيْحُهُ عَبِقٌ ... في كفِّ أَرْوَعَ في عِرنِينِهِ شَمَمُ

يُغضي حياءً ويُغضىٰ من مهابتِهِ ... فما يُكلَّمُ إلاّ حين يبتسِمُ[4]

إنْ قالَ قال بما يَهوىٰ جَميعُهُم ... وإنْ تكلَّمَ يوماً ساختِ الكَلِمُ

كم هاتِفٍ بِكَ مِن داعٍ وهاتفةٍ ... يَدْعُوكَ يا قُثَمُ الخيراتِ يا قُثَمُ

وأضاف عبدالسلام هارون محقّق الكتاب[5] في الحاشية:

أَنشد الفرزدق هذِه الأبيات في هشام بن عبدالملك كما في أمالي المرتضىٰ وزهر الآداب.

---

١- نسب قريش: ١٦٤.

٢- لم يرد هذا العنوان في "البيان والتبيين".

٣- الوارد في "البيان والتبيين" /ص٤١، هو: في أَحد الخلفاء.

٤- هذان البيتان فقط وَرَدَا في الصفحة التي أَشارَ إليها المؤلّف.

٥- البيان والتبيين: ٣/٤١ - ٤٢.

أو الحزين الكناني في مدح عبدالملك بن مَرْوان، كما جاءَ في الحماسة.
أو اللعين المنقري في مدح علي بن الحسين.
أو كثير بن كثير السهمي في محمد بن علي بن الحسين[١].
أو داوود بن مسلم في حقّ قُثَم بن عَبّاس[٢].
وكتب الجاحظ في موضع آخر أيضاً:
«والسبب في أنهم كانوا يتّخذونَ المَخاصر في مجالسهم كما يتّخذون القَنا والقسيّ في المحافل قولُ الشاعر في بعض الخلفاء:

في كفّه خيزرانٌ رِيحُه عَبِقٌ ... من كفّ أَرْوَع في عرْنينهِ شَمَمُ
يُغضي حياءً ويُغضىٰ من جلالتِه ... فما يُكلَّمُ إلاّ حينَ يبتسِمُ»[٣].

وفي فصل عنوانه (ما قِيل في المخاصر والعصي وغيرها) كتب أَيضاً أَنّه:
«كانت العربُ تخطب بالعصيِّ والقنا. نعم حتّىٰ كانت المخاصر لا تُفارقُ أَيدي الملوك في مجالسها، ولذلك قال الشاعر:

في كفِّه خيزرانٌ رِيحُه عبقٌ ... بكفّ أَرْوَعَ في عرْنينه شَمَمَمُ
يُغْضي حياءً ويُغْضَىٰ من مهابتِهِ ... فما يُكلَّمُ إلاّ حين يبتسمُ
إنْ قال قالَ بما يهوىٰ جميعهُم ... وإنْ تكلّم يوماً ساختِ الكِلمُ
يكادُ يُمْسِكهُ عِرْفان راحتِهِ ... رُكْنُ الحطيم إذا ما جاءَ يستَلِمُ»[٤]

---

١- أي الإمام الباقر(ع).م
٢- الحيوان: ٣/١٣٣.
٣- البيان والتبيين: ٢/٤١-٤٢.
٤- نفسه: ١/٢٧٠.

بعد كتابة الجاحظ رواية الزبير بن بكّار المتوفىٰ سنة ٢٥٦ للهجرة، وسوف يأتي رأيه في الشاعر وممدوحِه في ذيل كتابة جلال الدين السيوُطي.

ابن قُتيبة المتوفىٰ سنة ٢٧٠ للهجرة:

ما قال أَحدٌ في الهيبةِ أَحسن من هذا الشعر ثمّ جاءَ بالبيتين ١٢، ١١[١]، وجلبَ ابن عبد ربّه من قولِه:

وأبدع مِن هذه الأبيات ما أنشده الشاعر في الثناء علىٰ بعض الخلفاءِ:

يُغضِي حياءً ويُغضَىٰ من مهابتِه فلا يُكلّم إلاّ حين يبتسمُ[٢]

كتب أبو الفرج الإصفهانيّ المتوفّىٰ سنة ٣٥٨هـ القصّة بهذا النحو:

ذهب الفرزدق إلىٰ الحجّ سنةً وعمره يقربُ في هذا السفر من سبعين عاماً.

وكان عبدالملك بن مروان قد جاءَ إلىٰ الحجِّ أيضاً، ورأىٰ عليّ بن الحسين بين عدد غفير من الناس، فسأل: من هذا الشابّ الذي يتلألأ وجهه كمرآةٍ صينيَّة تستطيع بنات القبيلة رُؤية وجوههن فيها؟

- قالوا: هو عليّ بن الحسين.

وأنشد الفرزدق في مدحه.

واختلاف ما أثبته أبوالفرج وما يشاهد في الديوان هو أَنّه ليس لديه الأبيات: ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ٢٥، ٢٦،

وذكر في رواية أُخرىٰ أَنّه حين رأىٰ هشامٌ الناس يفسحون الطريق لعلي بن الحسين سأَل: مَن هذ؟

فقال الأبرش الكلبي الذي كان حاضراً: لا أعرفُه.

وقال الفرزدق: لكنّني أَعرِفه.

---

١- الشعر والشعراء: ٩.

٢- العقد الفريد: ١ / ٢٧.

- من؟

- فأَنشدَ الفرزدق شعره[١].

كتب الحسن بن بِشر الآمديّ المتوفّىٰ ٣٨٤ هـ في المؤتلف والمختلف[٢] في ذيل ترجمة كثير بن كثير السهميّ: أورد دعبل بن علي في كتابه في ترجمة محمد بن علي بن الحسين بن علي لكثير:

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَه ... والبيتُ يعرفُه والحلُّ والحَرَمُ
هذا ابن خير عباد اللهِ كلِّهمُ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
إذا رأَتْهُ قريشٌ قال قائلها: ... إلىٰ مكارم هذا ينتهي الكرمُ
وكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفان راحتِهِ ... ركنُ الحطيم إذا ما جاءَ يَستَلِمُ

لكنّ هذا المؤلّف أَثبت في ترجمة الحزين الكناني البيتين:

في كفِّه خيزران ريحُه عبِق ... في كفِّ أَرْوع في عرنينه شممُ
يُغضي حياءً ويُغضىٰ من مهابته ... فلا يُكلَّم إلا حين يَبْتسمُ

مع بيتين آخرين لهذا الشاعر في مَدح عبدالله بن عبدالملك بن مروان.[٣]

أَبو إسحاق الحصيري القيرواني المتوفىٰ سنة ٤١٣هـ كتب أَنّ هشام بن عبدالملك أَو أَخاه الوليد ذهب للحجّ، وعند طوافه بالبيت أَرادَ أن يستلمَ الحجر الأسودَ، لكنّه لم يستطع من كثرة الناس، فنصبوا له مِنبراً جلس عليه.

وفي هذه الأثناء مرّ علي بن الحسين بن علي بن أَبي طالب وعليه رداءٌ وإِزار وهو أحسن الناسِ وجهاً، وأطيبَهم ريحاً، وأعمقهم خشوعاً، وبينَ ناظريه أثر السجودِ

---

١- الأغاني: ٢١/٢٧٦-٢٧٧.

٢- المؤتلف والمختلف: ١٦٩، ط القدسيّ بالقاهرة ١٣٥٤ هـ

٣- المؤتلف والمختلف: ٨٨-٨٩.

ظاهراً، ولما أَرادَ أَن يستلم الحجر الأسود انفرجَ الناس لهيبتِه وإجلالاً له، فغضب هشام، وسأله رجل شاميّ: مَن هذا الذي هابَهُ الناسُ وأعظمُوه؟

قال هشام (لئلاّ يعلم الشاميّون عظمتَه): لا أعرف.

فأنشدَ الفرزدق الذي كان حاضراً الأبيات التي دَوَّنها الحصيري في كتابه، وهي تِسعة وعشرون بيتاً.

ثمّ كتب: «يقولون: وفد الحزينُ الكناني علىٰ عبدالله بن عبدالملك بن مروان الذي كان أمير مصر، وأنشده:

لما وقفت عليه في الجموع ضُحىً ... وقد تعرضت الحجاب والظلم

حيَّيتُه بسلامٍ وهُو مُرْتفقٌ ... وضجّةُ القوم عند الباب تَزْدَحم

في كفّةٍ خيزرانٌ رْيحهُ عَبقٌ ... في كفٍّ أَرْوَعَ في عرْنينة شَمَمُ

يُغْضي حياءً ويُغْضىٰ من مهابته ... فلا يُكلَّمُ إلاّ حين يَبْتسمُ

وقالوا: إنّ هذا البيت لداوود بن سلم في مدح قُثَم بن عبّاس.

وقالوا: في علي بن الحسين والقائل هو الشنفري[1] اللعين، وقيل له اللعين، لأنه كان يُنْشد الشعر والناس يصلُّون، فسأل عمر: مَن هذا اللعين؟[2]

الشيخ المفيد المتوفّىٰ ٤١٣ لم يتكلم في علّة إنشادِ هذه القصيدة ومجيءِ هشام إلىٰ المسجد، لكنّه قال: حجّ علي بن الحسين، فعجبوا لجمالِه وعظمتِه، فسألوا: مَنْ هذا؟

وكان الفرزدق هناك، فأنشدَ هذه القصيدة.

والأبيات التي ذكرها الشيخ هي: ١، ٢، ١٢، ١١، ١٥، ١٦، ١٠ مع اختلافٍ طفيفٍ في الكلمات.[3]

---

١- كذا، والصحيح المنقري.

٢- زهر الآداب: ١/٥٩-٦٢.

٣- الإرشاد: ٢/١٥٠.

أبو نعيم الإصفهانيّ المتوفّىٰ سنة ٤٣٠هـ أورد الأبيات علىٰ هذا النحو:٢، ١، ١٤، ١٠، ٢٣، ٣، ٤، ١١ وأثبت علّة إنشادِه علىٰ ما ذكرهُ أَبو إسحاق القيرواني[١].

السيِّد المرتضىٰ المتوفّىٰ سنة ٤٣٦ هـ جعل علَّة إنشادِ الأبيات مثل ما قاله الشيخ المفيد، ثمّ ذكر الأبيات علىٰ هذا النحو: ٢، ١، ١٠، ١٣، ١١، ١٥، ١٦ مَعَ اختلاف قليل في الكلمات.

وفي رواية أَخرىٰ كتب قصّة هشام، وأضاف في النهاية أنّ أَبيات الفرزدقِ أكثر من هذا الذي كتبناه، لكنّني لم آتِ بها، لأَنّها معروفة[٢].

كتب محمد بن الفتّال النيسابوري المقتول سنة٥٠٨ هـ أَنَّهُ لما أَرادَ هشام أَنْ يستلمَ الحجر الأسود، وعجز نصبوا له منبراً أَحاط به أَهلُ الشام.

في هذه الأثناء ظهر عليّ بن الحسين وعليه إزارٌ ورداءٌ وهو أَجمل الناس وأَطيبُهُم، وفي جبينِه أَثر السجود، وعند الحجر انفرج له الناس، فغضب هشام، وحينئذٍ سأَلَه رجُلٌ شاميّ: من هذا؟

ولئلّا يميل الشاميّون إليه قال هشام: لا أعرفه.

فقال الفرزدق: أَنا أَعرِفه.

سأل هشام: مَن هو؟

فأَنشدَ الفرزدق الأبيات.[٣]

وما جاءَ به ابن الفتّال في روضة الواعظين هو أبيات القصيدة ما عَدَا الرابع، وأَضاف عوضاً منه هذه الأبياتَ الثلاثَة:

---

١- حلية الأولياء: ٣/١٣٩.

٢- أمالي المرتضىٰ: ١/٦٧-٦٩.

٣- ما كتبه ابن الفتال من شرح لعلّة الإنشاد مشابه لما جاء في زهر الآداب.

هـذا عـليٌّ رسـولُ اللـه والِـدُهُ ... أمستْ بنُور هُداهُ تَهتدي الظّـلَمُ
لا يُخلفُ الوَعْـدَ مـيمونٌ نـقيبتُه ... رَحْبُ الفناء أديبٌ حـين يَـعتزمُ
يأبىٰ لهم أَنْ يحـلَّ الذّمَّ سـاحتهُمْ ... خِيْمٌ كرْيمٌ وأَيْدٍ بالنّدىٰ هُضُمُ[1]

وَعدَّ ابن شهراشوب المتوفّىٰ سنة ٥٨٨ للهجرة القصيدة واحداً وأَربعين[2] وهذا تمامُها:

يـا سـائلي أَيـنَ حـلَّ الجـودُ والكـرمُ ... عـنـدي بـيانٌ إذا طُـلَّابُهَ قَـدِمُوا
هـذا الذي تـعرفُ البـطحاءُ وَطـأتهُ ... وَالبـيتُ يَـعْرِفُه والحِـلُّ والحَـرَمُ
هـذا ابـن خـير عـباداللـه كُـلِّهمُ ... هـذا التّـقيُّ النَّـقيُّ الطـاهرُ العَـلَمُ
هـذا الذي أَحمـدُ المخـتارُ والِـدُهُ ... صـلَّىٰ عـليه إلهـي مـا جـرىٰ القَـلَمُ
لو يـعَلمُ الركـنُ مَـن جـاءَ يـلثمُهُ ... لَخـرَّ يـلثمُ مـنه مـا وطـئَ القدمُ
هـذا عـليٌّ رسـولُ اللـهِ والِـدُهُ ... أَمستْ بـنُورِ هُـداهُ تهـتدي الأُمَـمُ
هـذا الذي عـمُّهُ الطـيّارُ جـعفر وآلـ ... ـمـقتول حـمـزة لَـيْثٌ حُـبُّهُ قَـسَمُ
هـذا ابـنُ سـيّدة النِّسـوانِ فـاطمة ... وابـنُ الوصيّ الذي في سـيفِهِ نِـقمُ
إذا رأَتْـه قـريشٌ قـال قـائلها: ... إلىٰ مكـارِم هـذا يـنتهي الكَـرَمُ
يكـادُ يُمسكُـهُ عـرْفان راحـتهِ ... رُكْـنُ الحـطيم إذا مـا جاءَ يَسْتَلمُ
وليس قـولك مـنْ هـذا بـضائرهِ ... العُرْبُ تَـعْرِفُ مَـنْ أَنكـرت والعَـجَمُ
يـنمى إلى ذروة العـزِّ التي قَـصُرتْ ... عَـنْ نَـيْلها عَـرَبُ الإسلام والعَـجَمُ
يُـغضي حـياءً ويُـغْضَىٰ مِـنْ مَـهابتِهِ ... فـمـا يُكـلَّمُ إلاّ حـين يَـبْتَسِمُ
ينجابُ نورُ الدجىٰ عـن نـورِ غُـرَّتهِ ... كالشمس يَنجابُ عن إشراقـها الظُّـلمُ
بكـفِّهِ خـيزرانٌ ريحُـهُ عَـبِقٌ ... مِـن كـفِّ أَرْوعَ في عـرنينهِ شَمَـمُ

---

١- روضة الفتال: ٢٠٠-٢٠١.
٢- المناقب: ٤/١٦٩-١٧٢.

ما قالَ «لا» قطُّ إلاّ في تَشهُّده ... لولا التَّشهُّدُ كانت لاءَهُ نَعَمُ
مشتقّةٌ من رسولِ الله نَبْعَتُهُ ... طابتْ عناصرهُ والخِيْمُ والشّيمُ
حمّال أثقالِ أقوام إذا قدحوا ... حُلْو الشمائل تحلو عِندَه نعم
إنْ قال قالَ بما يهوىٰ جميعُهمُ ... وإنْ تكلَّمَ يوماً زانَهُ الكَلِمُ
هذا ابنُ فاطمة إنْ كنتَ جاهلهُ ... بجدِّه أنبياءُ اللهِ قد خُتِموا
اللهُ فَضّلَه قدماً وشرّفهُ ... جرىٰ بذاك لهُ في لوحهِ القَلَمُ
مَنْ جدُّهُ دانَ فضلُ الأنبياء لهُ ... وفضلُ أمّتِهِ دانتْ له الأُمَمُ
عمّ البريّةَ بالإحسان وانقشعتْ ... عنها العمايةُ والإملاقُ والظُّلَمُ
كلتا يديهِ غياث عمّ نَفْعهما ... تَستوكفانِ ولا يَعْرُوهُما عَدَمُ
سَهْلُ الخليقة لا تُخشىٰ بوادِرُهُ ... يزينُه خصلتانِ «الحِلْمُ» و«الكرمُ»
لا يُخلِفُ الوعدَ ميموناً نقيبتُهُ ... رحبُ الفناءِ أَريبٌ حين يعتزمُ
من معشرٍ حُبُّهمْ دِيْنٌ وبُغضهمُ ... كُفرٌ وقُربهُمُ منْجىً ومعْتَصَمُ
يُسْتَدفعُ السُّوءُ والبلّوىٰ بُحبّهمُ ... ويُستزادُ بِهِ الإحسانُ والنِّعَمُ
مُقدَّمٌ بعدَ ذكْر اللهِ ذِكْرُهمُ ... في كلِّ فَرْضٍ وَمختوم بهِ الكلم
إنْ عُدّ أَهلُ التُّقىٰ كانوا أئمَّتَهُمْ ... أَو قيل: مَنْ خيرُ أَهلِ الأَرض؟ قيل: هُمُ
لا يستطيعُ جوادٌ بعد غايَتِهمْ ... ولا يُدانِيْهمُ قومٌ وإنْ كَرُمُوا
هُمُ الغيوثُ إذا ما أَزْمةٌ أَزَمَتْ ... والأُسْدُ أسْدُ الشرىٰ والبأس محتدمُ
يأبىٰ لهمْ أَنْ يَحلّ الذمُّ ساحَتَهُمْ ... خيمٌ كريمٌ وأَيدٍ بالنَّدىٰ هُضُمُ
لا يقبضُ العُسر بسطاً مِن أكُفّهِمُ ... سيّان ذلك إنْ أَثْروا وإنْ عَدِمُوا
أيُّ القبائل ليستْ في رقابِهمُ ... لأَوَّليَّةِ هذا أَو لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَعرِفِ اللهَ يعرفْ أَوّليَّةَ ذا ... فالدِّينُ من بيتِ هذا نالَهُ الأُمَمُ
بيوتُهمْ في قُريش يُستَضاءُ بِها ... في النائبات وعند الحِلْم إنْ حلموا
فجدّهُ من قُريشٍ في أَزمَّتها ... «مُحمّدٌ» و«عليٌّ» بَعْدَهُ عَلَمُ

بـــدْرٌ لهُ شـــاهدٌ والشـعبُ مِـن أحـدٍ والخـندقان ويـومُ الفـتح قـد عـلموا
و«خـــيبر» و«حُـــنينٌ» يـــشهدانِ لهُ وفي «قـــريظة» يـــومَ صـــيلم قـــتمُ
مـــواطـــنُ قـــد عَـلَتْ في كـلِّ نـائبةٍ عـــلىٰ الصـــحابة لم أكْـتُمْ كـما كـتموا

كتب ابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ للهجرة عن طريق ابن عائشة قِصّة حجّ هشام وعدم حصولهِ علىٰ الطريق إلىٰ الحجر الأسود ومجيءِ علي بن الحسين باختصار شديد.

وما أَثبته مِن الأبيات هو ما يُشاهدُ في حلية الأولياء.[١]

وأورد علي بن عيسىٰ الإربلي المتوفّىٰ سنة ٦٩٣ للهجرة القصيدة في عشرين بيتاً باختلافٍ يسير في الأبيات.[٢]

غير أنّه كتب في فصل فتحه لحياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنَّ الفرزدق الشاعر لقي الحُسين في منزِلِ الشقوق[٣] فسأله عليه السلام: مِن أين مجيؤكَ يا أَبا فراس؟

– من الكوفة.

– كيف رأيت أَهل الكوفة؟

– قلوبهُم معك، وسيوفُهُم عليك، قلَّ الدّيّانون، ينزل القضاء من السماء وما يريدُ اللهُ يكون.

ثمَّ وَدّعهُ، وسارَ إلىٰ مكّة.

وسأله ابنُ عمّه من مجاشع: أَبا فراس، أَهذا الحسينُ بن علي؟

– نعم الحسين بن علي، وابنُ فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفىٰ. هو والله ابن خير الناس، وأفضل مَنْ يمشي علىٰ الأرض.

وكنتُ قُلتُ في مَدْحهِ أَبياتاً غير ناظرٍ فيها لعطاء، وإنّما أَرَدتُ بها رضا اللهِ والجنّة

---

١– صفة الصفوة: ٢/٥٧.

٢– كشف الغمة: ٢/٩٢-٩٣.

٣– اسم هذا المنزل علىٰ ما كتبنا في الشعر المنسوب للفرزدق هو "الصفاح".

وإذا أردت أن تَسمعَها، فبإمكانك.

- قل: حتّىٰ نسمع.

- قلت فيه وفي أُمّهِ وأبيهِ وجدِّه:

هــذا حســينٌ رســولُ اللــهِ والدُهُ ... أَمستْ بــنور هـداهُ تهـتدي الأُمَـمُ

هــذا آبـنُ فـاطمة الزهـراء عـترتُها ... في جَـنّةِ الخـلد مَجـرياً بـهِ القَـلَمُ

بــيوتُهمْ في قُــريشٍ يُســتضاءُ بهـا ... في النائبات وعند الحكـم إنْ حـكمُوا

فــجدُّهُ في قُــريشٍ في أرومــتها ... محــمّدٌ، وعــليٌّ بـعدهُ عَـلَمُ

وخــيبرٌ وحــنينٌ يــشهدانِ لهُ ... وفي قــريظة يــوم صــيلم قــتمُ

مواطـنٌ قـد عـلت أَقـدارُهـا ونَمَتْ ... آثــارها لم تُــلِها العُـرْبُ والعـجمُ

ولا تضمّ القصيدة الأبيات: ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٤، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ويتبيَّن مِن الأبيات المضافة في الآخر أَنّ عَدَدَها في زمان الإِرْبلّي كان أكثر مما ذكر، ويُمكن أَنْ تكون الأبيات التي لم يذكُرْها هي هذه الأبيات.[1]

كتب اليافعي المتوفّىٰ سنة ٧٦٨ للهجرة: ذكروا للفرزدق مكرُمةً تكونُ له أَمَلَ رَحْمةٍ في الآخرة، وهي أَنّه لما حجّ هشام بن عبدالملك زمان والده سعىٰ لاستلام الحَجر الأسود، فما آستطاع لشِدّةِ الزحام، فنصبوا له مِنبراً قعد عليه، وَراحَ ينظرُ إلىٰ الناس، وكان معه عدد من كبراء الشام.

في هذه الأثناء أَقبل زين العابدين علي بن الحسين بن أَبي طالب -رضوان الله عليهم أجمعين- وجههُ أَحسن الوجوه، وريْحهُ أطيبُ الرّياح.

بل أقول: أطهر الناس وأَشرفُهم حسباً ونسباً، وأَصلاً وفرعاً.

فلما بلغ الطوافَ، ووصل الحجر الأسودَ انفرج الناسُ له ليَسْتَلِمه، فقال رجلٌ مِنَ الشام: مَنْ هذا الذي يُكْرِمُهُ الناس هكذا؟

---

١- كشف الغمّة: ٢/٤٣ - ٤٤.

فقال هشام مِن خوفه أن يَرغبَ فيه الشاميُّون: لا أعرف.

فقال الفرزدق الذي كان حاضراً: أَنا أَعرِفُه.

سأل الشامي: مَن هو يا أبا فراس؟

قالَ الفرزدق الأبيات.

والأبيات التي سجّلها اليافعي هي تلك الأبيات التي تُشاهَدُ في ديوان الفرزدق، ما عدا الأبيات: ١٥، ١٨، ٢٦، ٢٧، وبإزاء ذلك أَضاف هذين البيتين:

لا يُخلفُ الوَعـدَ مـيمونٌ نـقيبتُه ... رحبُ الفناءِ أريبٌ حـين يـعْتَزِمُ

يأبىٰ لهم أَن يحـل الذمُّ سـاحَتَهُم ... خيمٌ كريمٌ وأَيـدٍ بـالنّدىٰ هُـضُمُ

ولمّا سمع هشامٌ هذه القصيدة غضبَ، وحَبسَ الفرزدق، فبعثَ إِليه زين العابدن آثني عَشَرَ ألف درهم، فأعادها الفرزدق، وقالَ: مدحتُه لله.

فقال زين العابدين: نحنُ أهل بيت لا نَأْخذُ ما وهبنا. فقبل الفرزدق الهديّة[١].

سَجّلَ ابن خلكان المتوفىٰ سنة ٨٠٦ أو ٨٠٨ القصيدة ضِمن ترجمة الفرزدق، وعدد الأبياتِ في كتابه (وفيات الأعيان) سبعة وعشرون بيتاً، لكـنها مخـالفة لترتـيبها في ديوان الفرزدق تقدّماً وتأخرُّاً. والبيتان ١٨ و٢٧ لا يُشاهدانِ، وحـلَّ محـلَّهما بـيتانِ آخران.[٢]

ترجم نورالدين عبدالرحمن الجامي (٨١٧ - ٨٩٨ هـ) قصيدة الفرزدق في الدفـتر الأوّل من سلسلة الذهب. وترجمته مُطابقة للأبيات: ١، ٣، ١٠، ١١، ٢١، ٢٣، ٢٥.

وذكر ابن حجر الهيثمي المتوفّىٰ سنة ٩٧٤ هـ أَنّ سبب إنشاد القصيدة هو سؤال هشام، وأثبت الأبيات: ١، ٢، ١٠، ٣، ٤، ٢١، ٢٤ وكتب أَنَّ القصيدة مشهورة.

وذكر جلال الدين السيوطيّ المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ قصّة حج هشام عـلىٰ مـا هـي

---

١- مرآة الجنان: ١/٢٢٩-٢٤١، ط الأعلمي، بيروت.

٢- وفيات الأعيان: ٥/١٤٥-١٤٦.

مشهورة عن طريق ابن عساكر المتوفىٰ سنة ٥٧١ عن ابن عائشة، وأثبت ثلاثة وعشرين بيتاً منها باسم الفرزدق في شرح شواهد المغني ذيل البيت:

«يُغضي حياءً ويُغضىٰ من مهابته...»[١].

لكنه كتب في ذيلها عن الزبير بن بكّار المتوفىٰ سنة ٢٥٦ هـ عن كتاب الموفقيات ذهب ابن عبدالملك بن مروان إلىٰ الحجّ، وقاله له أبوه: سوف يجيؤك الحزين الشاعر في المدينة، ولسانه لاذع، فاحذر أَنْ تَسْتخفي عنه، وسُرَّه.

جاء هشام إلىٰ المدينة، وذهب إليه الفرزدق، وإذ رأىٰ جماله وفي يده خيزران، فوقف صامتاً. وأمهله عبدالله ليستريح، ثم قال: السلام رحمك الله.

قال: عليكم السلام، أرىٰ محيَّا الأمير - أصلحك الله - وقد قُلت في مدحك شعراً، لكنّي إذ دخلت عليك، ورأيتُ جمالك نسيتُ ما كنتُ قُلتُه فاسألني عن بيتين قلتُهما.

- أيّ بيتين؟

فأنشد الحزين:

في كفِّه خيزران ريحُها عبِق ... من كفِّ أَرْوع في عرنينه شمَمُ

يُغضي حياءً ويُغضىٰ من مهابته ... فلا يُكلَّم إلا حين يَبْتسمُ[٢]

علىٰ طبق ما كتب بقطع النظر عن عدد الأبيات في مصادر القرن الثالث إلىٰ القرن العاشر عَدُّوا الشعراء والممدوحين علىٰ هذا النحو:

الفرزدق[٣] في مدح علي بن الحسين عليه السلام.

الفرزدق في مدح الحسين بن علي عليه السلام.

---

١- شرح شواهد المغني: ٢/٧٣٢.

٢- نفسه: ٢/٧٣٤؛ الأخبار الموفقيات: ٦٣٤.

٣- همّام بن غالب، المتوفىٰ سنة ١١٠، علىٰ ما في معجم الأدباء.

الحزين الكناني[١] في مدح عبدالملك بن مروان.

اللعين المنقري[٢] في مدح علي بن الحسين عليه السلام.

كثير بن كثير السهمي في مدح محمد بن علي بن الحسين.

داوود بن سلم[٣] في مدح قثم بن عباس.

الحزين الكناني في مدح عبدالله بن عبدالملك.

الاختلاف في عدد الأبيات مثل الاختلاف في القائلين والممدوحين.

وعَدّوا الأبيات ما بين بيتين[٤] وواحدٍ وأربعين[٥] بيتاً علىٰ ما رأينا.

ممكن أَن يُوجد في المصادر المتأخرة عدد أكثرُ ممّا ذكرنا.

هل الفرزدق أنشد كلَّ هذه الأبيات؟

وإذا كانت هذه الأبياتُ كلُّها له، فهل قال هذهِ القصيدة الطويلة في جوار الحجر الأسود خطاباً لهشام بن عبدالملك أو خطاباً للناس الذين كانوا يُريُدون أَن يعرفوا علي بن الحسين، أو أَنشد أبياتاً منها، ثم أَنشدَها كاملة؟

هل مُحبُّو أَهل البيت صنعوا أبياتاً وأضافوها إلىٰ أبيات الفرزدق طوال التاريخ من نصف القرن الأوّل إلىٰ نصف القرن السادس الهجري الثاني، عصر صاحب المناقب؟

أَلم يكن للشعراء الآخرين شعر علىٰ هذا الوزن والقافية؟

أما نَسَبها جَمَعَةُ الشعر وكتابُ التذاكر للفرزدق؟

---

١- أبو الحكم سليمان الديلمي، المتوفىٰ حدود سنة ٩٠ للهجرة.

٢- منازل بن ربيعة.

٣- مولىٰ بني تميم بن مرّة، من شعراء العصر الأمويّ، توفي حدود سنة ١٢٠ هـ علىٰ ما في معجم الأدباء.

٤- البيان والتبيين: ٣/٤١-٤٢.

٥- المناقب لابن شهراشوب: ٤/١٦٩-١٧٢.

ماذا يجُب إذا أَردنا أَن نزن هذا الموضوع بالنقد العلمي، ولا نكون كمن يُنكرون كل ما كتبَ في فضل أهل البيت، ولا نكون أيضاً مثل المرحوم السيد عبدالرزّاق الموسوي المقرَّم[1] مُرَدِّدين نسبة الأبيات للفرزدق؟

الخلاصةُ هي أَنّه إذا لم نرد أن نكون مُقلِّدين تقليداً تامّاً في نسبة كل الأبيات أَو بعضها إلىٰ الفرزدق، أو في رؤيتها كلِّها له، وإنما نُريد أَن نحكم بدليل مُطَمْئِنٍ، ألدينا بُرهان مقنع أم لا؟

الحق أَنَّ الحكم الصحيح غير القابل للجرح في هذا الشأن عويص جِدّاً بعد أكثر من ثلاثة عشر قرناً.

من اليوم الذي أُنشدتْ فيه هذه الأبيات أو عِدَّة منها في الأقلّ إلىٰ اليوم الذي نُسبَ فيه كلُّ الواحد والأربعين بيتاً إلىٰ الفرزدق في مدح الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام مضىٰ ستّ مئة عام.

في حالة عدم وجود الداعي لقلب الحقيقة فإنّ مرور نصف قرن علىٰ نقل القصّة من الممكن أَن يُؤَثِّر فيها، فكيف بهذهِ السنينَ الطوال؟

من الواضح أَنّنا لا نصلُ إلىٰ ما نُريد بتحري المصادر وتتبع سلسلة السند والروايات. ونحن مضطرون للاستعانة بالقرائن الخارجية: زمان المدح ومكانه، والقرائن المقامية: نفسية الشاعر وأخلاقه.

والأهمّ هو أُسلوبُ الشعر: المبنىٰ والمعنىٰ، فإنّه يستطيع أَن يهدينا.

لننظر أَوّلاً إلىٰ الأحوال الزمانية والمكانية:

علىٰ ما رأينا مكان إنشاد هذه القصيدة هو المسجد الحرام، وزمانه مجيءُ هشامٍ ومتعلقيه إلىٰ المسجد للطواف ومجيء الإمام السجّاد وَحده.

---

١- مؤلف كتاب الإمام زين العابدين.

وقيل: إنّ سببها سعيُ هشام إلىٰ إخفاءِ مقام الإمام عليّ بن الحسين الشامخ علىٰ أَهل الشام.

سأل هشام (أو آخر): مَنْ هذا الذي أَعظمهُ الحاضرون في المسجد؟

فأنشد الفرزدق: « هذا الذى تعرف...» جَوَاباً عن ذلك.

في مثل هذا الموقع أراد الشاعر أن يُعَرّف رجلاً من آل الرسول ناساً لا يعرفونه، أو يعرفونه ويتظاهرون أنهم لا يعرفونه.

السؤال جلي والمجيب معروف، الزمان قصير، والمكان محدود، والأبيات: ١،٢،٣، ١٣،٢١،٢٣،٢٥ في غاية البلاغة ومناسبة للمقام.

جمع الشاعِرُ ما يجب أن يقولهُ في قالب العبارة بأجمل معنىٰ وأَكمل مبنىٰ في هذه الأبيات السبعة. فلا الزمانُ يسَعُ أكثر منها، ولا البلاغة تَسْمحُ بالإطالة.

والأبيات التي أَنشدها الفرزدق في ذاك المجمع كانت هي هذهِ العدَّة باحتمالٍ قوي.

ولأنّ ما قاله انبعث من القلب وٱستقرّ في القلب، جرىٰ هذا الشعرُ علىٰ الألسنة، وَأنشد الشعراءُ الآخرون – بحسب التقليد – في ممدوحيهم أبياتاً علىٰ هذا الوزن والقافية، وبمرور الزمان نُسبت هذه الأبيات للفرزدق.

قُلنا: هذا من رسم الشعراء، وأذكر جيّداً أَنّ محمد مهدي الجواهري شاعر العراق المعروف أنشد قصيدته في تكريم أَبي العلاءِ المعري: « قِفْ بالمعرَّة وٱمسح خدها التَّربا». فحظي بمدح الحاضرين ومنهم الدكتور طه حسين. وبقي شعراءُ العراق مدَّة يبدؤون قصائدهم بكلمة "قف"، وأحد شعراء النجف أنشد قصيدة في رثاء المرحوم آية الله الحاج حسين الطباطبائي القمي مطلعها:

"قف بالشريعة أَبِّن شَيخها العُلما"

قصدي هو أَنّه إذا أُلحق بهذه القصيدة أبياتٌ لشعراءَ آخرين في ممدوحيهم، فذاك تقليد للفرزدق.

طبعاً يمكن القول: إنّ الفرزدق أنشد في ذاك الجمع أبياتاً، ثُمَّ أَضاف إليها أَبياتاً

أُخرىٰ، وبلغت القصيدة سبعة وعشرين بيتاً علىٰ ما يُشاهدُ في ديوانه، أَو واحداً وأربعين بيتاً علىٰ ما في المناقب والبحار.

لكنّ التدقيق في مضمون الأبيات وتحري الأسلوب يحملاننا علىٰ الشك في نسبة كلّ الأبيات للفرزدق.

وخلاصة ما يبعث علىٰ التردُّد هو:

١- كانت الحادثة التي هي منشأ الإنشاد - علىٰ ما رأَينا - هي أَنّهم سألوا هشاماً: مَنْ هذا الرجل الذي يُعظمه الناس هكذا؟

فقال: لا أعرف.

السائل الناس، والمجيبُ هشام.

فأراد الفرزدق أَن يُريهما أَنَّ عدم معرفته لا يضيرُ الإمام، فبدأ الحديث. وبالالتفات لهذه القرينة نستطيع القول: مطلع القصيدة الذى يُشاهد في المناقب والبحار هو:

يا سائلي أينَ حَلَّ الجودُ والكرمُ ... عندي بيانٌ إذا طلابُهُ قدمُوا

وهو ليس للفرزدق. ما أنشدهُ عند الحجر الأسود، ولا أَضافهُ لقوله فيما بعد. لماذا؟

لأنَّه لم يسأَله أَحدٌ عن الجود والكرم: أين حلّا؟

هذا البيت صُنع بَعدُ، ووُضع مطلعاً لقصيدة الفرزدق، حتّىٰ لا تكونَ علىٰ ظنِّهم بلا مَطْلع، في حالٍ بلبلت إضافةُ هذا البيتِ معنىٰ القصيدة، فهو يقول بعده:

هذا الذي تعرف البطحاءُ وَطأتهُ ... والبيت يعرفه والحِلُّ والحرَمُ

سؤال عن الجود، وجواب عن معرفة.

٢- يُنشدُ الشاعر بيتاً بهذه الروعة من صلابة اللفظ ورقَّة المعنىٰ:

عمَّ البَريَّة بالإحسانِ فانقشعت ... عنها الغياهِبُ والإملاقُ والعدمُ

كلتا يديه غياث عَمَّ نفعُهما ... يُستوكفان ولا يعروهما عَدَم[1]

---

١- البيتان: ٥، ٩.

كيف يضع بيتاً بهذه الركاكة مطلعاً لكلامه، وهو فضلاً عن ركّة اللفظ ليس جَوَاباً عن السؤال الأصليّ؟

أنظروا إلىٰ البيت العاشر مرَّة أُخرىٰ:

إذا رأَتـهُ قـريش قـال قـائلها إلىٰ مكارم هذا يـنتهى الكـرمُ

يُريدُ هنا كُبراء قريش وأعيانها، وهؤلاء - علىٰ ما نعلم - لا تربطهم بـبني هـاشم آصرةٌ طيِّبة، فـهم لم يـقبلوا الإسـلام قـلباً، فكـيف يُشـارُ إلىٰ انـتهاء المكـارم إلىٰ علي بن الحسين في حُكومة عبدالملك وانتصار آل مروان؟

مهما كان انتهاءُ الكرم إلىٰ عليِّ بن الحُسين عليه السلام حقّاً، فإنّ قريشاً لن تجيىءَ بهذا الحقّ علىٰ لسانها.

الظاهر أَنّ أحد المتملِّقينَ أَنشد هذا البيت في مدح واحد من آل مروان، ثُمَّ أَضافوهُ لهذه القصيدة.

٣- البيت الثاني عشر جدير بالتأَمُّل:

"أَخْذ الخيزران باليد، وعبق الرِّيح" من خصائص الجبَّارين، يعني الخلفاء الأُمويّين، ثمّ العباسيين الذين يُقلِّدون ملوك البلدان المجاورة في هذا العمل.

أين الإمامُ السجَّاد الذي "شثنت" يداه من طول السجود، ولُقِّبَ "ذا الثَّفنات" من الخيزران المعطر بالمسك حتىٰ لا يدعهُ عن يده؟

وكلمة الخطيب التبريزيِّ فيه:

« مقامُ أعبد أهل الزمان وأَفضلهم أسمى من أَن يُمدح بمثل هذا البيت».

٤- أسلوب القصيدة من ناحية ضعة ورفعة المعنىٰ جدير بالنظر فيه، فشاعر يمدحُ بهذا النحو:

يكـادُ يُمسكـهُ عـرفان راحـته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

كيف يُنشدُ بعد عدّة أبيات بيتاً ركيكاً معيباً، ينقضُ قوله:

لو يعلم الركن من قد جاءَ يلثمه  لخرَّ يلثم منه ما وطِيءَ العدمُ

٥- شاعر في هذا البيت:

هذا ابن خير عباد الله كلهم  هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ

يُعرِّفُ ممدوحه بأنّهُ ابنُ خير الورىٰ لا يحتاجُ بعدُ أنْ يعرّفه بعمّه ويقول:

هذا الذي عُممهُ الطيّارُ جعفرٌ  والمقتول حمزةُ...

بعض الأبيات التي في المناقب والبحار، ولا تُرىٰ في الديوان هي أضعف لفظاً ومعنىً ممّا في الديوان.

ومنها مناسب لما أورده علي بن عيسىٰ الإربلّي في ذيل سيرة الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

نَقْلُ مؤلف كشف الغمة عن الفرزدق مُهمٌّ وجاذبٌ جِّداً، لكنَّ المصادر المتقدّمة عليه لا تُؤَيِّده.

هل يُمكن القول: كان للفرزدق قصيدة علىٰ هذا الوزن والقافية في مَدْح سيِّد الشهداء عليه السلام، ثمَّ أنشد عِدَّة أبيات في مدح علي بن الحسين في المسجد الحرام جواباً لهشام علىٰ ذلكما الوزن والقافية، ثمَّ ألتأمت تلك القطعة والقصيدة بمرور الزمان؟

وإذا أَدَّى الفرزدق بإنشاد هذه الأبيات في فضل علي بن الحسين قليلاً من دَينه، وخَفَّف شيئاً ممّا في عاتقه من ذنوبه الثقال، فديوان هذا الشاعر، فديوانه مشحون بمدح معاوية وعبدالملك بن مروان وابنه الوليد ويزيد بن عبدالملك وَعُمَّالهم مثل الحجّاج بن يوسف، ولا سيما هشام وآبنه اللذان له في مدحهما أكثر من عشر قصائد. تظهر كتابة اليافعي بليغة جدّاً وهي أنهم نسبوا للفرزدق مكرُمةً تكون له أمل رحمة في الآخرة إذا صدقت.

ومُسلَّمٌ علىٰ كلِّ حال أنَّه إذا شكَّ محققٌ في نسبة بعض هذه الأبيات إلىٰ الفرزدق علىٰ

أساس الشواهد التاريخية والقرائن اللفظية والمقامية، فلن يكون محوِّلاً للحقِّ عن مركزه ولا منكراً فضيلة من فضائل الإمام السجاد.

ومُدهشٌ عَدُّ المتأخرين الفرزدق في كتبهم شاعراً مادحاً لأهل البيت[١] أو شاعر الإمام علي بن الحسين[٢].

معاصرو الإمام مثل الزهري وسعيد بن المسيب وأَبي حازم الذين كان كلّ منهم من فقهاء عصره أو زهَّاده مدحوهُ بعبارات فصيحة بليغة، أو الأحسن أَن نقول: قالوا الحقّ فيه، فلا مجال بعدُ للفرزدق مدَّاح عبدالملك والحجّاج وأعداءِ آل الرسول الآخرين.

---

١- مقدمة ديوان الفرزدق لكرم البستاني: ط دار صادر، بيروت.

٢- في رحاب أئمة أهل البيت: ٣/١٩٠.

## حلم علي بن الحسين

«وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»[١]

هكذا همُ المؤمنون، وهذا هو أدبُ القرآن، وأمر الرسول؛ وأسرتُه ورثت عنه «وإنَّكَ لعلىٰ خُلقٍ عظيم»[٢].

*مرَّ يوماً بقوم يسوءونه بكلامهم، فقال لهم: إن تقولوا حقّاً يعف اللهُ عنِّي، وإن تكذبوا يعف اللهُ عنكم[٣].

*ورآهُ رجلٌ يوماً خارج داره، فشتمه، فقصده غلمانُه، فقال علي بن الحسين: دَعُوهُ، فإنَّ ما خفي عليه منّا أكثر ممّا قال.

- أَلك حاجة؟

- فخجل الرجل، فأعطاهُ ثوبه، وأَمر له بألف درهم.

- فانصرف الرجل صارخاً: أشهدُ أنّك ابن رسول الله[٤].

سئل الزهري: لقيت عليّ بن الحسين؟

- قال: نعم! لقيته، وما لقيت أحداً أفضل منه، والله ما علمت له صديقاً في السر، ولا عدوّاً في العلانية.

---

١- القلم/٦٨: ٥.

٢- الفرقان/٢٥: ٦٢.

٣- المناقب: ٤/١٥٨.

٤- كشف الغمّة: ٢/٨١؛ صفة الصفوة: ٢/٥٦.

- فقيل له: وكيف ذلك؟

- قال: لأني لم أر أَحداً وإنْ كان يُحبُّه، إلا وهو لشدة معرفته بفضله يحسدُه، ولا رأيتُ أَحداً وإنّ كان يُبغضه، إلا وهو لِشدّة مداراته له يُداريه[١].

* كان هشام بن إسماعيل والي المدينة لعبد الملك، وظلم أهل المدينة كثيراً، فلما عُزل أُمر أَن يوقف للناس ليقول له كلٌّ من أراد ما أراد.

فكان هشام يقول: ما أخشىٰ إلا عليّ بن الحسين! وهشام من قبيلة بني مخزوم، وهذه القبيلة عَدوّ لبني هاشم مِن قديم الزمان، وكان هذا الرجُل مدَّة حكومته علىٰ المدينة قد آذىٰ عليّ بن الحسين كثيراً، وقال لآل الرسول سُوْءاً.

ويوم عزله قال [الإمام] لخاصَّته: معاذ الله أَن تقولوا لهشام كلاماً مُرَّاً.

وإذ مَرَّ هو بِه سلّم عليه، فقال هشام: «اللهُ أَعلمُ حيث يجعل رسالته».[٢]

* سَبَّهُ رجلٌ يوماً، فتغافل عنه، ولم ينظر إليه، فقال له الرجل: إيَّاك أَعني.

فقال: وعنكَ أُعْرض.[٣]

* وقف عليه رجل من أهل بيته، فأسمعه وشتمه، فلم يُكلّمْه.

فلمّا انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أُحِبُّ أَن تبلُغوا معي إليه، حتَّىٰ تسمعوا منِّي ردَّي عليه. فقالوا: نفعل، ولقد كنا نُحبّ أن نقول له ونقول.

فأخذ نعليه، ومشىٰ وهو يقول: «والكاظمين الغيظ والعافِينَ عن الناس واللّه يُحب

---

١- علل الشرائع: ٢٣٠.

٢- الأنعام/٦: ١٢٤.

تاريخ اليعقوبي: ٣/٢٨؛ الطبقات: ٥/١٦٢؛ المناقب ٤/١٦٣؛ كشف الغمة: ٢/١٠٠؛ الطبري٨/١١٨٤.

٣- المناقب: ١/١٥٧؛ كشف الغمة: ١/١٠١؛ الصواعق المحرقة: ٢٠١.

المحسنين».[١]

فعلم مُرافقو الإمام أَنّه لن يقول شيئاً.

فخرج الرجلُ متوثباً للشرّ وهو لا يشُكّ أنه إنّما جاءَ هُ مكافياً له علىٰ بعض ما كانَ منه، فقال له عليّ بن الحسين: يا أَخي إنَّك كنتَ قد وقفت عليّ آنفاً، وقُلتَ وقُلت.

فإن كنت قد قلت ما فيّ فأنا أَستغفرُ اللهَ منه.

وإن كنت قلت ما ليس فيَّ، فغفر اللهُ لك.

فقبَّل الرجلُ ما بين عينيه، وقال: بل قلتُ فيك ما ليس فيك، وأنا أَحقُّ به.[٢]

قال راوي الحديث: كان ذلك الرجل الحسن بن الحسن، وكان يقول: ما رأيتُ غَضَباً أَهنأ من غضب يكونُ معه صبر، وما أَعدلُه بِحُمُر النَّعم.[٣]

* كان رَجُلٌ ضُحَكة يأخذُ من الناس شيئاً بإضحاكهم، قال لجماعة: أَعجزني علي بن الحسين لا أَستطيع أن أُضحكه مهما أَفْعل، ويجب أن أُضحكه.

وكان الإمامُ يسيرُ معَ آثنين من فتيانه يوماً، فتقدّم الضُّحكةُ، واختطف رداء الإمام عن كتفه، فوقف الإمامُ مكانه ولم يَرفع بصره عن الأرض، فجرىٰ الفتيان وَأَخذا الرداءَ، وأَعاداه، فقال الإمام من كان هذا الرجل؟

قالا: رجُلٌ يُضحك الناس، ويأخذ منهم شيئاً.

قال: قولوا له: للّه يومٌ يندم فيه السَّاخرُون.[٤]

* استدان من أحد مواليه، فطلب الرجلُ رهناً، فاقتطع علي بن الحسين قطعةً مِن ردائه وأَعطاهُ إيَّاه، وقالَ له: هذه رهنك.

---

١- آل عمران/٣: ١٣٤.

٢- الإرشاد: ٢/١٤٦؛ إعلام الورىٰ: ٢٦١؛ المناقب: ٤/١٥٧؛ صفة الصفوة: ٢/٥٤.

٣- البحار: ٤٦/٧٤.

٤- نفسه: ٤٦/٦٨.

فقطّب الرجل وَجْهه، فقال عليّ بن الحسين: أنا عند كلامي أم حاجب بن زُرارة؟

– قال الرجل: أنت.

– قال الإمام: كيف يُعْطىٰ كافر مثل حاجب بن زُرارة[١] قوسه وهو قطعة منْ خشب رَهناً، ويفي بِوَعده، وَأنا لا أَفي بوعدِي؟

فقبل الرجل، وَأَعطىٰ الإمامَ القرض؛ وبعد مُدَّة انفتح للإمام في رزقه، فأعادَ القرضَ الذي بذمَّته إلىٰ الرجل وقال: هذا دَيْنُك، أَعطني رهني.

– فقال الرجل: فدَىً لك أَضعتُه.

– قال الإمام: في هذه الحال لا حقَّ لكَ عليَّ، أَترىٰ ذِمَّة مثلي هيِّنة؟

– أَخرجَ الرجُل تلك القطعة من حُقّهِ، وَأَعطاها الإمام، فأَخذها عليّ بن الحسين وَأَعطى الرجلَ ماله.[٢]

---

١– قصّة قوس حاجب بن زرارة ورهنها لدىٰ أنوشروان كسرىٰ الفرس صارت مثلاً لدىٰ العرب، وخلاصتها أنّ أنوشروان منع بني تميم من الدخول إلىٰ مراعي العراق خوفاً من الإفساد فيها، فضمن حاجب قومه بأن جعل قوسه رهناً لدىٰ كسرىٰ. لمزيد من المعلومات يُرجع إلىٰ ترجمة حاجب في كتب التذكرة والمعاجم.

٢– المناقب: ٤/١٣١.

## عبادته

«والذين يبيتون لربّهم سُجَّداً وقياماً»[١]

تَبِعَت عترة النبيّ سيِّدها وهاديها في إيلاء العبادة اهتماماً خاصَّاً بها.

أمر القرآن نبيّ الإسلام أَن يقوم الليل، ليبعثه اللهُ مقاماً محموداً.[٢]

وَ أقبل هو علىٰ العبادة، حتىٰ إنَّ القرآن يُواسيه بالآية: «طه ما أَنزلنا عليك القرآنَ لِتَشقىٰ»[٣].

وبعده سار أئمَّةُ الدِّين في حفظ سيرة جدِّهم، ومضت بينهم، وكان لعليّ بن أبي طالب وعلي بن الحسين عليهما السلام امتياز خاص في كثرة العبادة، حتّىٰ إنَّ الأخير لُقِّبَ سيِّد السَّاجدين، وزين العابدين، وذا الثفتات.

أَمضىٰ أكثر ليالي عمره بالصلاة وطاعة الله، نقل ابن شهراشوب باسناده إلىٰ طاووس الفقيه: رأيته عند العشاء إلىٰ السحر يطوف ويعبد، وإذ رأىٰ أَطرافه خالية نظر إلىٰ السماءِ وقال: إلهي غارت نجومُ سماواتك، وهجعت عيونُ أنامك، وأبوابُكَ مفتّحاتٌ للسائلين. جئتُك لتغفر لي وترحمني وتُريني وجه جدِّي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة.

ثمّ بكىٰ وقال: وعزّتكَ وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتُك وأنا بك شاكّ ولا بِنَكَالِكَ جاهل، ولا لعقوبتك متعرِّض، ولكن سوَّلت لي نفسي، وأعانني

---

١- الفرقان/٢٥: ٦٤.

٢- الإسراء/١٧: ٧٩.

٣- طه/٢٠: ١-٢.

علىٰ ذلك سترُك المرخىٰ عليّ.

فأنَا الآن مِن عذابك مَنْ يستنقذني؟

وبحبل مَن أعتصمُ إن قطعت حبلك عنّي؟

فوا سَوأَتاهُ غداً مِن الوقوف بين يَدَيك إذا قيل للمخفين جُوزوا، وللمثقلين حُطُّوا!

أمع المخُفِّين أَجُوز، أَم مع المثقلين أَحُطُّ؟

ويلي كُلّما طال عمري كثُرت خطاياى ولم أَتُب. أَما آن لي أن أَستحي من ربِّي؟

ثمّ بكىٰ ثمّ أَنشأ يقول:

أَتُحرقني بالنار يا غاية المنىٰ ... فأينَ رجائي ثُمَّ أَينَ محبتي

أتيت بأَعمال قباح رديةٍ ... وما في الورىٰ خلق جنى كجنايتي

ثمَّ بكىٰ، وقال:

سُبحانك تُعصىٰ كأَنك لا ترىٰ، وتحلم كأَنَّكَ لم تُعصىٰ.

تتودَّد إلىٰ خلقك بحُسن الصَّنيع كأَنَّ بكَ الحاجة إليهم، وأنت يا سيِّدي الغنيُّ عنهم.

ثمّ خرّ إلىٰ الأرض ساجداً، فدنوت منه، وشُلتُ رأسه، ووضعتُه علىٰ رُكبتي، وبكيت حتّىٰ جرتْ دُموعي علىٰ خدِّه، فاستوىٰ جالساً، وقال:

من ذا الذي شغلني عن ذِكر رَبِّي؟

فقلت: أنا طاووس، يا آبن رسول الله. ماهذا الجزع والفزع؟

نحن يلزمُنا أَن نفعل مثله ونحن عاصون جافون!

أبوك الحسينُ بنُ عليّ، وأمُّك فاطمة الزهراء، وجدُك رسول الله.

فالتفت إلي، وقال: هيهات يا طاووس، دع عنِّي حديث أَبي وأُمي وجدي. خَلَق اللهُ الجنَّة لمن أَطاعه وأَحسن، ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النارَ لمن عصاه، ولو كان قُرشيّاً.

أَما سمعت قوله - تعالىٰ -: «فإذا نُفِخَ في الصورِ، فلا أَنساب بينهم يومئذٍ وَلا

يتساءَلُونَ».[١]

واللهِ لا ينفعُك غداً، إلّا تقدمة تُقدِّمُها من عملٍ صالحٍ.[٢]

* وروىٰ المفيدُ عن عبدالله بن محمد القرشي، قال:

«كان علي بن الحسين - عليهما السلام - إذا توضَّأ اصفرَّ لونُه، فيقول له أهلُه: ما هذا الذى يغشاك؟

فيقول: أَتدرون لمن أَتأهَّبُ للقيام بين يديه»[٣]

* وكان يقضي ما فاته من صلاة نافلة النهار في الليل، ويقول: يا بنيّ ليس هذا عليكم بواجب، ولكن لمن عوَّد منكم نفسَه عادةً من الخير أن يدوم عليها».[٤]

* كان الزهري يقول: «يُنادي مُنادٍ في القيامة: لِيَقُمْ سيّد العابدين في زمانه، فيقوم عليّ بن الحسين(ع)»[٥]

* قال رجل لسعيد بن المسيّب: ما رأَيتُ أَحداً أَورعَ من فلان.

قال: هل رأيتَ عليّ بن الحسين؟.

قال: لا.

قال: لو رأيته لقُلتَ: ما رأيتُ أحداً أَورعَ منه».[٦]

* «وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي، ويقول: زين العابدين».[٧]

---

١- المؤمنون/٢٣: ١٠١.

٢- المناقب: ٤/١٥١-١٥٢.

٣- الإرشاد: ٢/١٤٢-١٤٣.

٤- كشف الغمة: ٢/٢٨٦؛ والبحار: ٤٦/٦١، ٧٣-٧٤؛ ومختصر تاريخ دمشق: ١٧/٢٣٦؛ والحلية: ٣/١٣٣.

٥- كشف الغمّة: ٢/٣١٨.

٦- حلية الأولياء: ٣/١٤١.

٧- الحلية: ٢/١٢٥؛ وكشف الغمة: ٢/٢٨٨.

* وكان يوماً ساجداً في داره، فوقع فيها حريق، فقالوا له: يا ابن رسول الله النارَ النارَ.

فما رفع رأسَه، حتّىٰ أُطفئتْ، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟

«قال: أَلهتني عنها النار الكُبرىٰ»[١].

*وسقط له ابن في بئر فتفرغ أهل المدينة، لذلك حتّىٰ أَخرجُوه، وكان قائماً يصلّي، فما زال عن محرابه، وإذ فرغ من صلاته قيل له في ذلك، فقال:

«ما شعرت، إنّي كنتُ أناجي رَبّاً عظيماً[٢].

وكتب اليعقوبيّ أَنَّ المشهور أَنَّهم سألوا الإمام الباقر: لم لمْ يكُنّ لأبيك كثيرُ أبناء.

فقال:

أنا أعجب كيف ولدت، وأبي يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة.[٣]

* وسُئلتْ مولاة له أن تصفه، فقالت:

«ما أَتيتُه بطعام نهاراً قط، ولا فرشتُ له فراشاً بِلَيل قطّ».[٤]

*نقل المفيدُ عن طاووس قوله:

رأيَتُ عليّ بن الحسين - عليهما السلام - ساجداً في الحجر، فقلت: رجل صالح مِن أهل بيت طيِّب، لأسمعنّ ما يقول؛ فأَصغيتُ إليه، فسمعتُه يقول:

«عبدُك بِفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك» فوالله ما دَعَوْت بِهِنّ في كَرْب إلا كُشف عنّي.[٥]

---

١- مناقب آل أبي طالب: ٤/١٥٠؛ والكشف: ٢٨٦-٢٨٧ و آخرُه «نارُ الآخر».

٢- الكشف: ٢/٣١٨-٣١٩.

٣- ٢ /٢١٩-٢٢٠؛ العقد الفريد: ٣/١٠٣ و٥/١٢٥.

٤- البحار: ٤٦/٦٧.

٥- المناقب: ٤/١٤٨؛ والإرشاد: ٢/١٤٣ - ١٤٤؛ والكشف: ٢/٢٩٢.

*قال الأَصمعي: «كنتُ أَطوف حول الكعبة ليلة، فإذا شابٌّ ظريف الشمائل، وعليه ذؤابتان، وهو متعلق بأستار الكعبة، ويقول:

«نامت العُيُون، وعلت النجوم، وأَنت الملك الحيُّ القيُّوم، غلَّقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حُرّاسها، وبابُك مفتوحٌ للسائلين، جئتك لتنظر إِليَّ برحتمك يا أرحمَ الرّاحمين؛ ثُمَّ أَنشأ يقول:

يا مَن يُجيبُ دُعا المضْطَّر في الظلمِ ... يا كاشفَ الضّرِّ والبَلوىٰ معَ السَّقمِ

قد نامَ وفدُك حولَ البيت قاطبةً ... وَ أنت وَحْدَكَ يا قَيُّومُ لم تنمِ

أَدْعُوك رَبِّي دُعاءً قَدْ أمرتَ به ... فارحم بُكائي بحق البيت والحرمِ

إِن كان عفوُك لا يرجُوهُ ذو سرفٍ ... فمن يجود علىٰ العاصين بالنِّعمِ

فاقتفيتُه، فإذا هو زينُ العابدين».(١)

ولقد دخل أبو جعفر - عليهما السلام - عليه، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلُغه أحد، فرآهُ قد آصفرّ لونه من السهر، ورمصت عيناهُ من البُكاءِ، ودبِرت جبهته، وآنخرم أَنفه من السجود، وورمت ساقاهُ، وقدماهُ من الوقوف في الصلاة. فقال أبو جعفر عليه السلام: فلم أَملك حين رأَيته بتلك الحال البُكاء، فبكَيتُ رحمةً له، وإِذا هو يُفكِّرُ فالتفت إِليّ بعدَ هُنيهةٍ مَن دُخولي، فقال:

«يا بُنَيَّ أَعطني تلك الصُّحُفِ التي فيها عبادةُ عليّ بن أَبي طالب عليه السلام»، فأَعطيتُه: فقرأ فيها شيئاً يسيراً، ثُمَّ تركها مَن يَده تضجُّراً، وقال: «مَنْ يَقوىٰ علىٰ عبادةِ عليّ عليه السلام(٢)

وَذهب إليه جابُر بن عبدالله الأنصاري يوماً، وقال له: «يا آبن رسول الله أَما علمتَ أَنَّ الله تعالىٰ إِنّما خَلَقَ الجنّة لكم ولمن أَحبَّكم، وخلق النارَ لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهدُ الذي كلّفته نفسك؟

---

١- المناقب: ٤/ ١٥٠ -١٥١.

٢- الإرشاد: / ١٤٢؛ والكشف: ٢/ ٢٩٧.

فقال له عليّ بن الحسين - عليهما السلام - : «يا صاحب رسول الله أَما علمِتَ أَنَّ جدِّي رسول الله ﷺ قد غفر اللهُ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر، فلم يَدَع الاجتهاد له، وتَعبَّد - بأبي هو وأُمّي - حتّىٰ آنتفخ السّاقُ، وورم القدم، وقيل له: أَتفعَلُ هذا وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخّر؟

فقال: أَفلا أكونُ عبداً شكوُراً؟»

فلمّا نظر جابر إلىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام وليس يُغني فيه من قول يستميله من الجهد والتعب إلىٰ القصد، قال له: يا آبن رسول الله البُقيا علىٰ نفسك، فإنَّك لمن أسرةٍ بهم يُستدفع البلاء، وتُستكشفُ اللأواء، وبهم تُستَمطرُ السماء. فقال: «يا جابر! لا أزال علىٰ منهاج أَبوَيَّ مُؤتسياً بهما صلواتُ الله عليهما - حتّىٰ ألقاهما».[١]

*روىٰ علي بن عيسىٰ الإربلّي عن يوسف بن أسباط عن أبيه، قال: دخلتُ مسجد الكوفة، فإذا شابٌّ يناجي رَبَّه وهو يقول في سُجوده: «سَجدَ وجهي متعفّراً في التراب لخالقي وحقّ له».

فقمتُ إليه، فإذا هو عليّ بن الحسين، فلمّا انفجر الفجر، نهضتُ إليه، فقُلت له: يا ابن رسول الله، تُعذِّبُ نفسك وقد فضلك الله بما فضّلك؟

فبكىٰ، ثمَّ قال: «حدَّثني عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: كلُّ عين باكية يوم القيامة إلّا أربعة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين فُقئت في سبيل الله، وعين غضَّت عن محارم الله، وعين باتت ساهرةً ساجدةً يُباهي بها اللهُ الملائكة، ويقول: انظرو إلىٰ عبدي روحه عندي، وجسمه في طاعتي، قد جافىٰ بدنه عن المضاجع يدعوني خوفاً من عذابي، وطمعاً في رحمتي»[٢].

وكتب الإربلّي في ذيل هذا الحديث: «قلت أورده الحافظ في مسجد الكوفة،

---

١- أمالي الطوسي: ٢/ ٢٥٠-٢٥١.

٢- الكشف: ٢/ ٣١١ - ٣١٢؛ والبحار: ٤٦/ ١٠٠.

وعليّ بن الحسين فيما أَظنُّه لم يصل إلىٰ العراق إلا مع أبيه عليه السلام حين قتل.

ولمّا وصل هو إلىٰ الكوفة لم يكن باختياره، ولا متصرفاً في نفسه، فيمشي إلىٰ الجامع، ويُصلِّي فيه».[١]

في كتب الدعاء، ومنها فرحةُ الغري تأليف السيّد طاووس ومصباحُ المتهجد للشيخ الطوسي أدعية وزيارات رويت عن الإمام السجاد عن طريق أَبي حمزة الثمالي أشهر هذه الأدعية الدُّعاءُ المعروف بدعاء أَبي حمزة الذي تستحبُّ قراءَتُه في أَسحار شهر رمضان.

أبو حمزة مِنَ التابعين والزاهدين المقيمين في الكوفة، لكن علىٰ ماكتب مؤلف كشف الغمّة[٢] لا يُظنّ الإمام علي بن الحسين آتياً الكوفة بعد سنة إحدىٰ وستين ومقيماً فيها.

في روضة الكافي حديث نُقل عن طريق أبي حمزة هو أَنّ أَوَّل معرفتي بالإمام علي بن الحسين كانت عندما رأيت رجلاً خرج من باب الفيل - أَحد أبواب مسجد الكوفة - وصلّىٰ أربع ركعات، وتبعته حتّىٰ بئر الركوة عند دار صالح بن علي، وهناك بعير معقول وغلامٌ أسود، فسألت: من هذا؟

- عليّ بن الحسين.

اقتربت منه: وحيّيتُه، وسألت: لم جئت إلىٰ مدينةٍ قُتَل فيها أَبوك وجدُّك؟

- زرتُ أَبي، وصلَّيتُ في هذا المسجد، وأنا الآن عازم إلىٰ المدينة.

والظاهر أن هذا الحديث هو ذاك الذي نُقلَ في مفاتيح الجنان في سند الزيارة المُطلقةَ لأمير المؤمنين عليه السلام بتفصيل أكثر ممّا في فرحة الغري.

---

١- الكشف: ٢/٣١٢.

٢- ٢/ ١٠٠.

وفي فرحة الغري أوّل الباب الرابع عشر رواية عن طريق جابر الجعفي عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ذهب أَبي علي بن الحسين إلىٰ الحجاز في ناحية الكوفة لزيارة قبر أمير المؤمنين. وهناك وقف وبكىٰ وقال: السلام عليك يا أمين اللهِ في أرضه.

وفي عقب هذه الرواية نقل السيّد عن مزار ابن قره أنّ الإمام الباقر قال: نصب أَبي عليّ بن الحسين بيت شعر في البادية بعد شهادة أبيه، ومن هناك كان يذهب إلىٰ العراق لزيارة أبيه وجدِّه، ولا أَحد يَعْلم، وكنتُ معه في أحد أسفاره.(١)

وهذه الرواية هي سند زيارة أمين الله، وهي من الزيارات المعروفة.

إذا لم نتردَّد في نسبة الروضة إلىٰ الكليني، إذا رأينا روايات السيد [ابن طاووس] صحيحة من ناحية السند يجب أنْ نفرض مجيء الإمام علي بن الحسين عليه السلام إلىٰ الكوفة بين سنة ٦٧ و٧٤ التي هى سنوات حكم الحارث بن ربيعة وبشربن مروان وعبدالله بن خالد علىٰ هذه المدينة وهي دورة اضطراب حكومات العراق وعدم تسلط دمشق الكامل علىٰ الولايات، لأنّ:

١- الإمام عليّ بن الحسين عاش في المدينة مذ عادَ من الشام إلىٰ انقضاء حكم يزيد. كان شاهدَ الحَّرة علىٰ ما رأينا، وكان ملجأ لأُسرٍ مِن أهل المدينة.

٢- الكوفة بعد هلاك يزيد غدت مسرحاً للشغب والثورة من ٦٤ إلىٰ ٦٧، وأَنّ الإمام كان في المدينة في هذه المدَّة لأن المختار -كما كتبنا -كتب بعد تسلطه علىٰ الكوفة إلىٰ الإمام، وآستجازه أن يدعو الناس إليه.

٢- في حكومة الحجاج الكوفة عشرين عاماً من سنة ٧٥ - ٩٥ لم يأت الإمام عليّ بن الحسين هذه المدينة، لأن عداوة الحّجاج له ولأسرته ظاهرة من ناحية، ولأن مراقبته علىٰ المدينة والسياسة العسكرية دقيقة(٢).

---

١- من رسالة الشيخ التستري.

٢- تاريخ تحليلي اسلام (بالفارسية): ١٨٢ وما بعدها.

فغير ممكن أن يجيء علي بن الحسين، ويستخفي عن جواسيس الحـجاج، ولو رَأَوهُ لسلَّموه اليه.

واحتمال مجيئه إلىٰ الكوفة في ما بين سنة ٦٧ – ٧٤ فقط ميسّر.

لكنّ الفرض الأحسن والأدقّ هو أن نقول: نال أبو حمزة في أسفاره المـتكّررة إلىٰ المدينة شرف ملاقاة الإمام، وتعلّم أَدعية وأحاديث عنه فيها، والعلم عند الله.

## إبداء الصدقات وإخفاؤها

«إن تُبدوُا الصدقات فنعمّا هي
وإن تُخفُوها وتؤتوُها الفقراء فهو خيرٌ لكم»[١]

وكّد القرآن الكريمُ إكرامَ الفقراءِ مراراً، وَعلَّمَ المسلمين أَنْ يكون هذا الإكرامُ للهِ، وألاّ يَمُنّوا علىٰ المتصدَّقِ عليهم، فالمنّةُ عليهِم وإيذاؤُهُم يُبطلان الصدقة[٢]

في ظلال الآية المذكورة عُنواناً لهذا الفصل روىٰ علي بن عيسىٰ عن ابنِ عائشة قولَهُ: سمِعتُ أهل المدينة يقولون: فقدنا صدقة السرِّ حين تُوفّي عليّ بن الحسين.[٣]

روىٰ المفيدُ عن ابن إسحاق أَنّه كانَ في المدينة أُسرٌ يأتيها معاشُها، ولا تعلمُ مِن أين، فلمّا مضىٰ علي بن الحسين إلىٰ جوار ربِّه انقطعت المساعدةُ عنهم[٤].

كان عليّ بن الحسين يحمل جرابَ الخبز علىٰ ظهره بالليْل، فيتصدّقُ به، ويقول: «إن صدقة السِّرّ تُطفىء غضب الربِّ - عزّوجلّ -».

وأثّر حملُ الجرابِ في ظهره آثاراً رأوْها عند تغْسيله وهوَ ذاهبٌ إلى جوارِ ربِّه.[٥]

---

١- البقرة/٢: ٢٧١.

٢- البقرة/٢: ٢٦٤.

٣- كشف الغمة: ٢/٧٨، ١٠١؛ المناقب: ٤/١٥٢؛ صفة الصفوة: ٢/٥٤.

٤- الإرشاد: ٢/١٤٨، وانظر: كشف الغمة: ٢/٧٧، ٩٢؛ المناقب: ٤/١٥٢؛ الخصال: ٦١٦؛ إعلام الورىٰ: ٢٦٢.

٥- حلية الأولياء: ٢/١٢٦؛ كشف الغمة: ٢/٧٧؛ المناقب: ٤/١٥٤؛ صفة الصفوة: ٢/١٥٤؛ الخصال: ٦١٦؛ علل الشرائع: ٢٢١؛ البحار: ٩٠.

كتب ابن سعد أَنّه كانَ عندما يأتيهِ فقير ينهضُ إليهِ، ويقضي حاجته، وكان يقول: «الصدقةُ تصل إلى يد اللهِ قبل أَنْ تصل إلى يد الطّالب».[١]

وأرادَ الحجّ سنةً، فاتّخذتْ له أُختُه سُكينةُ بنتُ الحسين سُفرةً أَنفقتْ عليها أَلف دِرْهم، وَأَرْسلتْ بها إليه، فأَمَرَ بِها، ففُرّقتْ في الفقراء والمساكين[٢].

وكان له ابن عمّ فقير كان يذهب إليه ليلاً، لئلا يعرفه، ويعطيه دنانير، فقال له الرجل: علي بن الحسين لا يرعىٰ قريباً جزاه الله. وكان الإمام يسمع هذا الكلامَ، ويصبر ويتحمّل، وما كان يُعّرِفُه نَفْسَه.

وإذ مضىٰ للقاءِ ربِّه انقطع ذلك الإحسان عن ذلك الرجل، وعرف أَنَّ ذلك المُحسِنَ كانَ عليّ بن الحسين، فذهبَ إلىٰ مزارهِ وبكىٰ.[٣]

كتب أبو نعِيم: قسمَ مالهُ في الفقراء مرَّتين، وقال: إنّ اللهَ - تعالىٰ - يُحبُّ المؤمنَ المذنبَ التائب[٤].

وكتب أَنّ الناس كانوا يحسبونه بخيلاً، ولمّا ماتَ عَرَفُوا أَنَّهُ كانَ يُعيلُ مئة أهلِ بيت[٥].

وكان إذا جاءَهُ سائل يقول: «مرحباً بمَن يحملُ زادي إلىٰ الآخرة».[٦]

وَعاد محمد بنَ أُسامة وهو علىٰ فراش الموتِ، فبكىٰ، فسألهُ الإمامُ:لم تبكي؟

قال: عليّ ألف دينار دين لا أستطيع دَفعْها.

---

١- الطبقات: ٥/١٦٠.

٢-كشف الغمة: ٢/٧٨؛ صفة الصفوة: ٢/٥٤.

٣- كشف الغمة: ٢/١٠٧؛ حلية الأولياء: ٢/١٤٠.

٤- الكتاب نفسه: ١٢٦؛ الطبري: القسم ٢/٢٤٨؛ الطبقات: ٢/١٦٢.

٥- صفة الصفوة: ٢/٥٤؛ حلية الأولياء: ٢/١٢٦؛ الطبقات: ٥/١٦٤.

٦- صفة الصفوة: ٢/٥٤؛ حلية الأولياء: ٢/١٣٦؛ الطبقات: ٥/١٦٤.

قال: لا تبك! فدينُك عليَّ، ولن يكون في ذمّتِك منه شيء.[١]

وكان يوماً صائماً، وذبح كبشاً، ووقف علىٰ القدر عصراً، وقال: هذا الإناءُ لدار فلان، وهذا لدار فلان، وهذا لدار فلان[٢]. ثمَّ أفطر هو علىٰ خُبز وتَمْر.[٣]

روىٰ سفيان بن عُيينة عن الزهري أنَّه رأىٰ عليّ بن الحسين في ليلة باردةٍ مطيرةٍ وعلىٰ ظهره دقيق وحطب وهو يمشي، فقال له: يا ابن رسول اللهِ، ما هذا؟

قال: أُريدُ سفراً أُعِدُّ له زاداً أَحملُه إلىٰ مَوضعٍ حريزٍ.

قال: فهذا غلامي يحملُه عنك.

فأَبىٰ. قال: فأنا أَحمله عنك، فإنّي أَرفعُك عن حَمْله.

قال: لكنّي لا أَرفعُ نَفسي عمّا يُنجيني في سفري، ويُحسن ورودي علىٰ مَن أَردُ عليه، أَسأَلك بحقِّ اللهِ لما مضيتَ لحاجتك وتركتني.

فلمّا كانَ بعدَ أَيّام قال له: يا ابن رسول اللهِ!، لستُ أَرىٰ لذلك السفر الذي ذكرتَه أَثراً.

قال: يا زهري، ليسَ هو كما ظننت، ولكنَّه الموتُ، وله أَستعِد. إنّما الاستعداد للموتِ تَجنُّب الحرام، وبذلُ الندىٰ في الخَيْر.[٤]

---

١- الإرشاد: ٢/ ١٤٩؛ كشف الغمة: ٢/٨١، ٨٧؛ المناقب: ٤/١٦٢؛ حلية الأولياء: ٢/١٤١؛ صفة الصفوة: ٢/٥٦.

٢- أي ملأ تلك الآنية بالطعام وأمر بها لتوزع.م

٣- البحار: ٤٦/١٣٧.

٤- علل الشرائع: ٢٣١؛ المناقب: ٤/١٥٣.

## كظم الغيظ

«والكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس والله يُحبّ المحسنين»[١]

كان كَظم الغيظ عن المذنبين والشفقةُ علىٰ العاجزين مِن خصال رسولِ اللهِ المعروفة، حتّىٰ إنّ القرآن الكريم أشادَ بطبعه الحسن بقوله: «وإنّك لعلىٰ خُلقٍ عظيم»[٢] وكلّ أَبنائهِ الذين هم أَئمة هذه الأُمّة متمتّعون بهذه السجيَّة، وعلي بن الحسين عليه السلام هو الوَجه المُشْرقُ لهذه الصفة الإنسانية العالية.

* كانت خادمُه يوماً تَصُبُّ الماءَ علىٰ يده، فسقط الإبريقُ مِن يدها علىٰ يده، وجرحَه فقالت: «والكاظمين الغيظ».

قال: كظمتُ غيظي.

قالت: «والعافِيْنَ عن الناس».

قال: عفوت عنك.

قالت:«واللهُ يُحبُّ المحسنين».

قال: أَنتِ حُرَّة لِوجْه الله.[٣]

*وكان عنده قوم أَضيافٌ، فاستعجل خادماً له بشواءٍ كانَ في التنّور، فأَقبلَ الخادم به مُسرِعاً، فسقط السفّودُ منه علىٰ رأْسِ بُنيٍّ لعليٍّ بن الحسين تحتَ الدرجةِ فأصابَ رأْسه،

---

١- آل عمران/ ٣: ١٢٤.

٢- القلم/٦٨: ٤.

٣- الإرشاد: ٢/١٤٦-١٤٧؛ كشف الغمّة: ٢/٨٧؛ المناقب: ٤/١٥٧؛ إعلام الورىٰ: ٢٦٢.

فقتله، فقال عليّ بنُ الحسين للغلام وقد تَحيَّر وٱضطرب: أَنتَ حُرٌّ فإنّك لم تعتمده.

وأَخذَ في جهاز ٱبنه ودفنِه.[١]

* وكان له مولىً يتولّىٰ ضيعةً له، فأصابَ فيها فساداً وتضييعاً كثيراً، فغاظه ما رأىٰ من ذلك وغمَّهُ، فقرعَ المولىٰ بسوطٍ كانَ في يدهِ، فندم علىٰ ذلك.

فلمّا انصرف إلىٰ منزله طلبَ المولىٰ، فجاءَ فوجدَهُ عارياً والسوط بين يديه، فظنَّ أَنّه يُريدُ عقوبته، فاشتدّ خوفه، فقال له عليّ بن الحسين: «قد كان منّي إليك ما لم يتقدّمْ منّي مثلُه، وكانت هفوةً وزلّة، فهاك السوط، وٱقتصّ منّي».

فقال: يا مولاي، واللهِ ظننتُ أنّك تريد عقوبتي وأنا مستحقّ للعقوبة فكيف أَقتصُّ منك؟

قال: ويحك، ٱقتصَّ.

قال: معاذَ اللهِ، أنت في حلٍّ وسعة.

فكرَّر عليه ذلك مراراً والمولىٰ يتعاظم قولَه ويُجَلِّله.

فلمّا رءاهُ لا يقتصّ، قال له: أَمّا إذا أَبيت، فالضيعةُ صَدَقةٌ عليك.[٢]

*قال الإمام الباقر: أرسل أَبي يوماً غلاماً في عمل، فعاد متأخّراً، فضربه أَبي سوطاً، فبكىٰ الغلامُ، وقال: خف اللهَ يا عليّ بنَ الحسين، تبعثني في عملٍ، ثمّ تضربُني؟!

فبكىٰ أَبي، وقال: يا بنيَّ اذهب إلى قبر رسول اللهِ، وصلِّ عندهُ ركعتين، وقُل يا إلهي اغفر ذنب عليّ بن الحسين.

ثمّ قال للغلام: أَنتَ حُرٌّ لوجْه الله.[٣]

ولم يكن رحيماً بالناس فقط، بل بالحيوان أيضاً.

---

١- صفة الصفوة: ٢/٥٦؛ كشف الغمّة: ٢/٨١.

٢- المناقب: ٤/١٥٨.

٣- البحار: ٤٦/٩٢.

كانَ له ناقة يحجُّ عَلَيْها، وما ضَرَبها في أَثناءِ الطريق.[١]

كتب الكلينيّ أَنّه حجّ علىٰ تلك الناقةِ اثنتين وعشرين حجّةً، ولم يُؤذها قطُّ.[٢]

روىٰ المجلسيّ عن إبراهيم بن عليّ عن أبيهِ أنّه قال: حججتُ معَ عليّ بن الحسين فتخلّفت ناقتهُ في عرض الطريق يوماً، فرفع العصا، ليضرِبها، ثمّ قال: آهِ لو ما كان القصاص[٣].

---

١- حلية الأولياء: ٣/١٣٣؛ الطبقات: ٥/١٦٠.

٢- أُصول الكافي: ١/٤٦٧، المناقب: ٤/١٥٥.

٣- البحار: ٤٦؛ المناقب: ٤/١٥٥.

## الإعراض عن اللغو

«والذين هم عن اللغو معرضون»[١]

يقول الحسنُ بن الحسن : قالت لي أُمّي فاطمة بنت الحسين بن علي أَن أجلس مع خالي علي بن الحسين، فلم يكن لي معه مجلسٌ ما دون فائدةٍ تصلني، فامّا استقرّ خوفُ اللهِ في قلبي لخوفِه مِن اللهِ، وامّا آنتفعت بعلمِه.[٢]

يقول محمد بن حاطب: وَفدَ عليه نَفرٌ مِن أهل العراقِ، وذكروا بعضَ الصحابة بسوء وعند انتهاء كلامِهم قال الإمام: أَخبروني أَمنَ المهاجرين الأَوّلين الذين أعرضوا عن ديارهم وأموالهم حُبّاً للهِ ونصرةً لرسولِه ودينِه أَنتمُ؟

– لا

– أمِن الذين يقولُ فيهمُ اللهُ: «والذين تبوّؤُوا الدار والإيمانَ مِنْ قبلهم يُحبّونَ مَن هاجرَ إليهم ولا يَجدُون في صدورهم حاجةً ممّا أُوتُوا ويؤثرونَ علىٰ أنفسهمْ وَ لو كان بهم خصاصة»؟[٣]

– لا.

– فما دُمتم لستم مِنَ الفَريقينِ، ولا مِنَ الذين قالَ اللهُ فيهم: «والذين جاؤا من بعدِهم يقولونَ ربّنا آغفِرْ لنا ولإخواننا الذين سَبقونا بالإيمان وَلا تَجْعَلْ في قلوبنا غلّاً لّلـذِينَ

---

١– المؤمنون/٢٣: ٣.

٢– الإرشاد: ٢/١٤١؛كشف الغمّة: ٢/٨٤.

٣– الإرشاد: ٢/١٤١؛كشف الغمّة: ٢/٨٤.

آمنوا»[١]، فاخرُجوا عنّي جزاكُم الله[٢]

١- الحشر/٥٩: ١٠.

٢- كشف الغمة: ٢/٧٨؛ صفة الصفوة: ٢/٥٥؛ حلية الأولياء: ٢/١٢٧.

## رفع الله الذين أُوتوا العلْمَ درَجات

«يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلْمَ درَجات»[١]

مَعَ أَنّ العلم كانَ في أُسرته، وَورِثَه عَنْ آبائه كانَ يَذهبُ إِلىٰ مَن عندهم علم، ويُجالسُهم، ويُعظّمهم، حتّىٰ قال له نافع بن جبير يوماً: أَنت سيّدُ الناس وأَفضَلُهم فلِم تقعدُ عندَ هذا العبد (زيد بن أسلم)؟

- إنّه ينبغي للعِلم أن يُتّبع حيثما كان.[٢]

يقول الشيخ المفيد: روىٰ فقهاء العامة من علمه قصصاً وروايات لا تُحصىٰ.

يقول الشافعي في رسالة إثبات خبر الواحد: كان علي بن الحسين الذي هو أَفقهُ أَهل المدينة يعمل بخبرِ الواحد.

ونقلوا عنه مواعظ وأدعية مشهورة بين العُلماء[٣]، وكانَ له مقامُ الإمامة الشامخ.

نشأ في أُسرةِ الوحي والرسالة، وورث العِلم من خزانة الربّ، والبلاغة مِن جدِّه حيدر الكرّار.

نظرة إِلىٰ الصحيفة السّجادية، وتأمُّلٌ لمضمون فقرات الدعاء المعروف بـ"دعاء أَبي حمزة تجعلُ كلَّ متتّبعٍ غير محتاجٍ لمزيد بحث.

كانَ رأيهُ الثاقبُ حلّال عُقدِ العاجزين في المسائل الفقهيّة.

---

١- المجادلة/٥٨: ١١.

٢- كشف الغمة: ٢/٧٩؛ الطبقات: ٥/١٦٠؛ حلية الأولياء: ٣/١٣٨؛ صفة الصفوة: ٢/٥٧.

٣- شرح نهج البلاغة: ١٥/٢٧٤.

يقول الزهري: بعدما أمضيت مدّة عند عبدالملك بن مروان قصدتُ المدينة، وكان لي غلام، ومال وفير كنتُ وضعتُه في كيس، فضاع ذلك الكيس، فاتهمتُ الغلام، فرجوتُ الوَعيد والتهديد، وأخفتُ الغلامَ دون جدوىٰ، فطرحتُه أرضاً، وجثوت علىٰ صدره، ووضعت مرفقي في صدره وضغطته، ولم أكن أريدُ قتله، لكنّه ماتَ من أثر الضغط. فخفت، لأني حين وصلت المدينة سألت سعيد بن المسيّب وأبا عبدالرحمن وعروة بن الزبير والقاسمَ بن محمد وسالِم بن عبدالله[١] عمّا يجب عليّ فِعلُه؟

فقالوا كلّهم: لا تُقبلُ توبتُك.

وإذ بلغ الخبر علي بنَ الحسين قال: «آتوني به».

فذهبتُ إليه، وأخبرتُه بقصّتي، فقال: «ذنْبك له توبة: صمْ شهرين متتاليين، وأَعتق رقبة مؤمنةً، وأَطعمْ ستّين فقيراً»[٢].

وفي رواية ابن سعد قال: ابعث بديتِه إلى أوليائِهِ[٣].

يقول ابن أبي حازم: رأيتُ سليمان بن يسار مع علي بن الحسين قاعدين بين قبر النبيّ ومنبرِهِ يتذاكران، ولما أرادا أن ينهضا قرأ عبدالله بن أبي سلمة سورةً، وبعدَ السورة دَعَوا.

وكان عدّة مثل جابر بن عبدالله، وعامر بن واثلة، وسعيد بن المسيّب، من الصحابة، وسعيد بن جبير، وأبي خالد الكابُلي، والقاسم بن عون من التابعين تلاميذه.[٤]

---

١- العقد الفريد: ٥/١٢٧-١٢٨.

٢- الطبقات: ٥/١٥٨؛ المناقب: ٤/١٥٩.

٣- الطبقات: ٥/١٦٠.

٤- في رحاب أئمة أهل البيت: ٣/٢١٣.

## وصاياه وكلماته الخالدة

«ألم تَرَ كيفَ ضربَ اللهُ مثلاً كلمةً طيِّبةً كَشَجَرَةٍ طيِّبةٍ»[١]

بقي من الإمام علي بن الحسين حديث قصير سوىٰ الصحيفة السّجادية المشهورة ورسالة الحقوق التي ستُكتَب.

وهذا الحديث مثل حديث الأئمةِ الآخر بليغ وفائض المعنىٰ ومَعلِّمٌ، وأكثره في الموضوعات الأَخلاقية والتربويّة.

وكتابة كلِّ ذلك ليستْ لازمةً في هذا المُختَصَر، وفي هذا الفصْلِ جئْنا بعدّة أحاديث مِن أَهمِّ المصادر:

*«لو كان الناسُ يعرفونَ جملةَ الحالِ في فَضل الاستبانة وجملة الحال في صواب التبيين، لأَعربُوا عن كلِ ما تَخلّجَ في صدورهم. ولَوَجَدوا من بَرْدِ اليقين ما يغنيهم عن المُنازعة إِلىٰ كلِّ حال سِوَىٰ حالِهم .علىٰ أَنّ دَرْك ذلِك كانَ لا يعدمِهم في الأيّام القليلةِ العدَّة والفكرةِ القصيرة المُدَّة.

ولكنَّهم من بين مغمورٍ بالجَهْل ومَفتونٍ بالعُجب ومعدولٍ بالهوىٰ عن بابِ التَّثبُّتِ ومصرُوفٍ بسُوءِ العادَةِ عن فَضْلِ التعلّم»[٢].

*«مَن كَرُمَتْ عليه نَفْسُهُ هانَتْ عليهِ الدُّنيا»[٣].

---

١- إبراهيم/١٤: ٢٤.

٢- البيان والتبيين: ١/٨٤.

٣- تحف العقول: ٢١٨.

*«إن أحبَّكم إلىٰ الله أَحسنُكم عَملاً، وإنّ أَعظمَكُمْ عندالله عَـمَلاً أَعـظمُكم فـيما عِنْدَاللهِ رَغبة، وإنَّ أَنْجاكم من عذابِ الله أَشدكم خشية، وإنَّ أَقربكم مِنَ الله أَوسَعَكمُ خُلُقاً، وإنَّ أَرضاكم عندَاللهِ أَسْبَغُكُمْ علىٰ عِيالِه، وإنَّ أَكرَمَكُم علىٰ اللهِ أَتقاكم».[١]

*«يا بُنيَّ عليك بتجرُّع الغيظ مِن الرجال، فإنَّ أَباكَ لا يَسُرُّهُ بنصيبِه منْ تجرُّعِ الغيظ مِنَ الرجالِ حُمُر النعم، والحلْمُ أَعزُّ ناصِراً وأَكثَرُ عَدَداً»[٢].

يا بُنَيَّ اصبِرْ علىٰ النائبة، ولا تـتعرَّض الحـقوق، ولا تُجِبْ أَخـاك إلىٰ الأَمْـر الذي مضرّتُه عليك أكثر مِن منفَعتِه له[٣].

*عن أَبِي جعفر محمد بن عليّ قال:

أَو صاني أَبي، فقال: يابُنَيَّ لا تَصْحبَنَّ خَمسة، ولا تُحادثهُم، ولا تُرافِقْهم في طريق.

فقُلت: جُعلِت فِداكَ يا أَبتِ من هؤلاءِ الخمسة؟

قال: لا تصحبنّ فاسقاً، فإنَّه يبيعُك بأكلةٍ، فما دونها.

فقُلت: يا أَبتِ، فما دُونَها؟

قال: يطمَعُ فيها، ثمّ لا ينالُها.

قلت: يا أبتِ من الثاني؟

قال: لا تصحبنّ كذاباً، فإنه بمنزلة السراب يبعّد منك القريب، ويقرّب منك البعيد.

فقلت: ومن االثالث؟

قال: البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه.

فقلت: ومن الرابع ؟

قال: لا تصحبنّ أحمق، فانه يريد أن ينفعك فيضرّك.

---

١- ن. م: ٣١٩.

٢- شرح نهج البلاغة: ١٠٨/١٦.

٣- البيان والتبيين: ٧٦/٢؛ والعقد الفريد: ٨٨/٢؛ وحلية الأولياء: ٨٨/٣.

قلت: يا أبت من الخامس؟

قال: لا تصحبنّ قاطع الرحم، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله.[١]

***

* إنَّ المُنافقَ ينهىٰ ولا ينتهي، ويأمُر ولا يأْتي، إذا قامَ إلىٰ الصّلاةِ اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نَقَر. يُمسي وهمُّه العَشاء ولم يَصم، ويُصبح وهمُّه النوم ولم يَسْهرَ والمؤمن خلط عَملَه بِحِلمه، يجلِس لِيَعلم، ويُنصِت لِيَسْلَمَ. لا يُحدِّث بالأمانة الأصدقاء، ولا يكتُم الشهادةَ لِلبُعداء. ولا يعملُ شيئاً مِن الحقِّ رياءً، ولا يتركه حياءً. إذا زُكِّيَ خاف ممّا يقولون، ويَستغفِرُ الله لِما لا يعلمون. وَلا يَضُرُّهُ جهلُ مَن جَهِلِه[٢].

*مَن قَنَعَ بما قَسَمَ الله له، فهو مِن أَغْنىٰ الناس[٣].

* رأىٰ يوماً سائلاً كان يبكي، فقال: لو أَنّ الدّنيا كانت في كفِّ هذا، ثمَّ سقطت منه ما كانَ ينبغي أَنْ يبكيَ[٤].

*وقيلَ له: مَن أَعظم الناس خطراً؟

فقال: مَن لم يَرَ الدّنيا خَطَراً لِنَفْسِه[٥].

---

١- صفة الصفوة: ٢/٥٧؛ والكشف: ٢/٨١-٨٢؛ وأمالي الطوسي: ٢/٢٢٦؛ والتحف: ٣١٩.

٢- التحف: ٣٢٠-٣٢١.

٣- الكشف: ٢/١٠٢؛ وحلية الأولياء: ٣/١٣٥؛ والتحف: ٣١٨.

٤- الكشف: ٢/١٠٦.

٥- عيون أخبار الرضا: ٢/٣٣؛ والتحف: ٣١٨؛ وشرح نهج البلاغة: ٦/٢٣٣.

*

* إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: لِيقُم أَهْل الفَضْل.

فيقوم ناسٌ من النّاس، فيُقال: انطلقوا إِلىٰ الجنّةِ.

فتلقاهمُ الملائكة، فيقولون: إلىٰ أَين؟

فيقولون: إِلىٰ الجنَّة.

- قبلَ الحِساب؟

- نعم.

- من أَنتُم؟

- أهلُ الفضل.

- وما كانَ من فضلِكُم؟

ـ كنّا إذا جُهلَ عَلينا حَلِمنا، وإذا ظُلِمْنا صَبَرْنا، وإذا أُسيءَ علينا غَفَرْنا.

قالوا: ادخُلوا الجنّةَ، فَنِعْمَ أَجْرُ العاملين.

*

ثمّ يقول مُنادٍ يُنادي: ليقم أهل الصبر.

فيقوم ناس من الناس، فيُقال لهم: انطلقوا إِلىٰ الجنّة.

فتلقاهُم الملائكة، فيقال لهم مِثل ذلك.

فيقولون: نحن أهل الصبر.

قالوا: وما كانَ صبرُكم؟

قالوا: صبّرنا أَنفسنا علىٰ طاعة الله، وصبّرناها عن معصية الله - عزَّ وَجَل.

قالوا: أُدخلُوا، فَنِعمَ أَجرُ العاملين[1].

---

١- حلية الأولياء: ٢/١٢٩-١٤٠؛ وكشف الغمة: ٢/١٠٢.

* مَنْ كَتَمَ عِلماً أَو أَخَذَ عليه صَفَداً، فلا نفعَه أبداً[١].

* إنَّ الجَسَدَ إذا لم يَمْرضْ أَشِرَ، ولا خير في جَسَدٍ يَأْشَرْ[٢].

* وقال لابنه محمد عليه السلام: افعل الخير إلىٰ كلّ مَن طَلَبه مِنك، فإن كان أهلَه، فقد أَصبت مَوْضِعَه، وإن لم يكن بأهلِه، كنتَ أَنتَ أَهْلَه. وإنّ شتمكَ رجلٌ عَن يمينكَ، ثمّ تحوَّل إلىٰ يسارِكَ، وآعتذر إليكَ، فاقبلْ عُذْرَه[٣].

* مجالسُ الصالحين داعية إلىٰ الصلاح، وآدابُ العلماءِ زيادة في العَقل.
وطاعةُ وُلاةِ الأَمْرِ تمامُ العِزّة، واستنماء المال تمام العروة، وإرشاد المُستشير قضاءُ لِحَقّ النّعْمة. وكفُّ الأَذَىٰ من كمال العَقل، وفيه راحة للبدن عاجلاً وآجِلا[٤].

* فقدُ الأَحبَّةِ غُرْبَة[٥].

* وقال لِرجل: «إيَّاكَ والغيبةَ، فإنّها إدامُ الكلاب»[٦].

---

١- كشف الغمة: ٢/١٠٢؛ وحلية الأولياء: ٢/١٤٠.
٢- كشف الغمة: ٢/١٠٢؛ وحلية الأولياء: ٢/١٢٤.
٣- تحف العقول: ٣٢٤.
٤- نفسه: ٢٢٤.
٥- كشف الغمة: ٢/١٠٢، وحلية الأولياء: ٢/١٢٤، وصفة الصفوة: ٢/٥٢.
٦- كشف الغمة: ٢/١٠٨، وشرح نهج البلاغة: ٩/٢٢.

* هَلَكَ مَن لَيْسَ له حكيم يُرْشدُه، وذَلَّ مَنْ ليسَ له سفيه يَعْضدُه[١]

* الرِّضا بِمكروه القَضاءِ أَرْفَعُ درجات اليقين[٢].

* قال:

التاركُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنابِذِ كتابِ اللهِ وراءَ ظهرِه، إلاّ أَنْ يَتَّقيَ تُقاة.

قيل: وما تُقاتُه؟

قال: يَخافُ جبّاراً عنيداً أَن يَفْرُط عليهِ، أَو أَن يطغىٰ[٣].

* عجبتُ لِمن يحتمي من الطعام لمضَّرته، ولا يحتمي مِن الذَّنْب لمعَّرتِه[٤].

* إِنّما التوبةُ العملُ والرجوعُ عن الأَمر، وليستِ التوبةُ بالكلام[٥].

* إيّاكَ والابتهاجَ بالذنب، فإنَّ الابتهاجَ به أَعظم مِن رُكوبِه[٦].

* إِنْ قَوماً عبدُوا اللهَ رَهبةً، فتِلكَ عبادةُ العبيد، وآخرينَ عبدوهُ رغبةً، فتلك عبادةُ التّجار، وإِنَّ قَوماً عَبدوا اللهَ شكْراً، فتلك عبادةُ الأحرار[٧].

---

١- كشف الغمة: ٢/١١٢.

٢- عيون الأخبار: ٢/١١٢.

٣- طبقات ابن سعد: ٥/١٤٨، وحلية الأولياء: ٢/١٤٠.

٤- كشف الأسرار: ٢/١٠٧.

٥- كشف الغمة: ٢/١٠١.

٦- نفسه ٢/١٠٨.

٧- كشف الغمة: ٢/٧٥؛ وحلية الأولياء: ٢/١٢٤؛ وصفة الصفوة: ٢/٥٢.

* يا بُنَي إنّ الله لم يرضك لي، فأَوصاكَ بي، ورضيني لك، فحذَّرَني منك[١].

* إنّ خيرَ الآباءِ للأَبناءِ مَن لم تَدْعُهُ المودّة إلىٰ التفريط، وخير الأَبناءِ للآباءِ مَنْ لم يَدْعه التَّقْصِير إلىٰ العُقُوقِ له[٢].

* اللهمّ إنّي أَعوذُ بِكَ أَنْ تُحَسّنَ في مرأىٰ العُيونِ علانيتي، وتُقَبّح في خفياتِ القلوب سريرتي.

اللهمَّ كما أَسأتُ وأَحسنتَ إليَّ، فإذا عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ، وأُرزُقْني مواساةَ مَن قَـتّرت عليهِ بِما وَسَّعْتَ علي[٣].

* اللهمّ مَن أَنا حتىٰ تغضَبَ عليَّ؟!

فو عزّتِكَ ما يُزيِّنُ مُلكَكَ إحساني، وَلا تقبحه إساءَتي، ولا ينقص مِن خزائنك غَنائي ولا يَزيدُ فيها فقري[٤].

* نَظَرُ المُؤمن في وَجْهِ أَخيْهِ المؤمنِ للمودَّة والمحبَّةِ له عبادة؟[٥].

---

١- العقد الفريد: ٢/٨٩؛ وتحف العقول: ٢١٨.

٢- العقد الفريد: ٢/٨٩.

٣-كشف الغمة: ٢/٧٥؛ والعقد: ٢/١٠٠؛ والحلية: ٢/١٢٤؛ والصفة: ٢/١٠٢.

٤-كشف الغمة: ٢/١٠٢.

٥- تحف العقول: ٢٢٢.

* ثلاثٌ مَنْ كنّ فيه من المؤمنين كان في كنف الله، وأظله الله يوم القيامة في ظلّ عرشه، وآمنه من فزع اليوم الأكبر:

من أَعطىٰ الناسَ من نفسِه ما هو سائلهم لنفسه.

ورجلٌ لم يُقدِّمْ يَدَاً ولا رجلاً حتّىٰ يعلم أَنّه في طاعةِ اللهِ قدّمها، أو في معصيتِه.

ورجلٌ لم يَعبْ أَخاهُ بعيبٍ حتّىٰ يترك ذلك العيب من نفسه، وكفىٰ بالمرءِ شُغْلاً بعيبه عن عيوب الناس.(١)

* عجبتُ للمتكبِّر الفخور الذي كانَ بالأمسِ نُطفة، وهو غَداً جِيفة!

وعجِبتُ كلّ العجب لِمن شكّ في الله وهو يرىٰ خلْقَه!

وَعجِبتُ كلَّ العجب لمن أَنكر النشأَة الأُخرىٰ وهو يرىٰ النشأَة الأُولىٰ!

وعجِبتُ كلّ العجب لمن عَمِلَ لِدارِ الفناءِ، وتَرك العَمَلَ لِدار البقاء.(٢)

***

وقال له رجلٌ: إِنّي لأُحبُّك في اللهِ حبَّاً شديداً.

فنكس رأسهُ، ثمَّ قال: اللهمّ إِنّي أَعوذُ بِكَ أَنْ أُحَبَّ فيك وأَنتَ لي مُبغض.

ثمّ قال: أُحِبُّكَ للذي تحِبُّني فيه(٣).

* ثلاث منجيات للمؤمن:

كفُّ لسانه عن الناس وآغتيابهم،

وشغْلُهُ نفسَهُ بِما ينفعُه لآخرتِه ودُنياهُ،

وطولُ البكاءِ علىٰ خطيئته(٤).

---

١- تحف العقول:٣٢٣.

٢-كشف الغمّة: ٧٦/٢؛ وانظر صفة الصفوة: ٥٢/٢.

٣- تحف العقول: ٢٢٢.

٤- نفسه ٢٢٢.

*قيل له يوماً: "إنَ الحَسنَ البصريَّ قال: ليس العجبُ ممّنْ هَلَكَ كيف هَلَك، وإنَّما العَجَبُ مِمّنْ نجا كيف نجا!"

فقال: أَنا أَقولُ: ليسَ العجبُ مِمّنْ نجا، وإنّما العَجَبُ مِمّنْ هلك مع سعةِ رحمةِ الله[١].

*لا يقول الرجلُ في رجلٍ مِن الخير ما لا يعلم، إلاّ أَوشكَ أَنْ يقول فيهِ منَ الشَّرِّ ما لا يعلم[٢].

* مَنْ ضحِك ضحكةً مجَّ من عقلِه مَجَّةً[٣].

* لمّا سمع تَوجّهَ مسلم بن عقبةَ إلىٰ المدينةِ دعا هذا الدُّعاءَ:

«رَبِّ كم من نِعمةٍ أَنعمتَ بها عَلَيَّ قَلَّ لك عندها شكري! وكم من بَلِيّةٍ ابتليتني بها قَلَّ لك عندها صبري فيا مَنْ قلَّ عندَ نعمتِه شكري، فلم يَحْرِمني، ويا من قلّ عند بلائِة صبري فلمْ يَخْذُلْني.

يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ويا ذا النعماءِ التي لا تُحصَىٰ عَدَداً، صلِّ علىٰ محمّدٍ وَآلِ محمّدٍ، وادفَعْ عنِّي شَرَّهُ، فإنِّي أَدْرَأُ بِكَ في نَحْرِه، وأستعيذُ بكَ مِن شَرّه»[٤].

(فقدِمَ ذلِك المُسرِفُ المدينة، وكان يقال: "إنّه لا يُريدُ غير عليّ بن الحسين"، فسلمَ منه، وأَكرمَه، وحَباهُ ووَصَله)[٥].

*وقال له رَجُلٌ: "ما أَشَدَّ بُغْضَ قُرَيْشٍ لأَبيْك!" فقال: «لأَنَّهُ أَوردَ أَوّلهم النارَ، وَأَلْزمَ آخِرَهُمُ العار»[٦].

---

١- إعلام الورىٰ: ٢٦١؛ وأَمالي المرتضىٰ: ١/١٦٢.

٢- عيون الأخبار: ١/٢٧٥.

٣-كشف الغمة: ٢/١٠٢؛ وحلية الأولياء: ٢/١٢٤.

٤-كشف الغمّة ٢/٨٩.

٥- زيادة مِن المترجم جاءَ بها من "الإرشاد: ٢/١٥٢" إتماماً للخبر.

٦-كشف الغمة: ٢/١٠٧.

## رسالة الحقوق

الرسالة التي تُدعىٰ بهذا الاسم هي أحد الآثار المنسوبة للإمام السَّجاد علي بن الحسين عليه السلام وأقدمُ المصادر التي ورد فيها اسمُ هذه الرسالة علىٰ ما تتبعتُه هو:

١- تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة الحرّاني المتوفّىٰ سنة ٣٨١ هـ

٢- الخصال لأَبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمِّيّ المُتوفَّىٰ سنة ٣٨٢هـ

٣- من لا يحضُرُهُ الفقيه للمؤلف السابق أيضاً.

بعد هذه المصادر الثلاثة كتابة أحمد بن على بن أَحمد النّجاشي الأَسديّ الكوفيّ المتوفّىٰ سنة ٤٥٠ هـ

أَوردَ مؤلّف تحف العقولِ هذه الرسالة دون سند.

أَمّا الصدوق في الخصال، فقد ذكر سَنَدَهُ علىٰ هذا النحو:

علي بن أَحمد بن مُوسىٰ، عن محمّد بن علي بن عبداللهِ الكوفيّ، عن جعفر بن مالك الفزاري، عن خيران بن داهر، عن أحمد بن علي سليمان الجبلي عن أبيه، عن محمد بن علي، عن محمد بن فضيل، عن أَبي حمزة الثمالي[1].

وفي من لا يحضُرُه الفقيه حديث مُرْسَل.

وكتب: إسماعيل بن فضل، عن ثابت بن دينار، عن سيّد العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أَبي طالب -عليهم السلام-[2].

---

١- الخصال: ٢/٦٧٤.

٢- ن. م: ٢/٣٧٦.

في من لا يحضرُه الفقيه تبدأ الرسالة بعبارة(وحقُّ اللهِ الأكبر عليك)، وليس فيها المقدّمة التي وردت فيها الحقوق مجملة.

وتلك المقدّمة في تحف العقول.

وبين الرسالةِ وما في الخِصال اختلاف كبير ، إذ يشاهد بسط كثير في العبارة، وكلمات مبهمة في مواضع غامضة أَو غير مفهومة عِلّتها تصرّفُ النّاسخِيْن.

وَعدد الحُقوقِ التي ذكرت في كلا الموردين بإجمال وتفصيل هو في تحف العُقول خمسون حقّاً.

وفي الخصال ومَن لا يحضرُه الفقيه عدد الحقوق واحد وخمسون حقّاً، ويشاهد حقّ باسم الحجّ بين الصلاة والصوم، لكن لا ذِكر للحجّ في مقدمة الخصالِ التي عُدَّتْ فيها الحقوقُ بإجْمال.

علىٰ كل حال لأَنّ الصدوق كتب رواية الرسالةِ مسندةً في الخصال، ولأَنَّ قِدَمَ العبارة واضح فيها أَيْضاً آخترتُ نصَّ الخصال للترجمة[1] وللهِ العِلْم.

رسالةُ الحقوق طُبِعَتْ مِراراً منفردةً أَيضاً، وكتبوا عليها شروحاً وتعليقات مِن جُملَتِها:

١- رسالة الحقوق لجامعها المرحوم السيد سبط الحسن اللكنهويّ مع تعليقات.

النسحة المخطوطة مُعَدَّة للطبع. هذه الرسالة رأيتُها عند المؤلِّف قبل خمسة وثلاثين عاماً تقريباً.

٢- رسالة الحقوق لجامعها عبدالهادي مختار التي طبعت بمقدمة المؤلف ضمن سلسلة كتاب الشهر رقم٦ من قِبَلِ عبد الأَمير السبيتيّ مؤسسِ هذه السلسلةِ في الكاظمية مع مقدّمة للسيِّد صادق الصّدر.

٣- رسالة الحقوق: تأليف الفاضل الجليل المحامي توفيق الفكيكي المقيم في النجف

---

١- هذا بالنسبة لأصل الكتاب الفارسي.م

الأشرف، وكان مشغولاً بتأليفها عند زيارتي للنجف.

٤- فقرات من هذه الرسالة طبعت ونشرت في طهران سنة ١٣٦٢هـ ضمن رسالةٍ للدكتور صاحب الزّماني.

٥- الترجمة الكاملة لرسالة الحقوق*[1] الواردة في الخصال بقلم الفاضل المحترم الحاجّ الشيخ محمد باقر الكحرئي.

٦- رسالة الحقوق لِلمرحوم ناصري مِن فضلاء طهران.

٧- رسالة الحقوق للسيد "علي گل زاده غفوري".

٨- ترجمة رسالة الحقوق للعالم الجليل آية الله الجنَّتي التي طُبِعت مع تُحف العقول في مؤسسة النشر العلميّ الإسلاميّ سنة ١٣٥٤هـ

٩- ترجمة رسالة الحقوق للفاضل المحترم الحاجّ السيد أَحمد الفهريّ الزنجاني التي طُبِعت مع الخصال في مؤسّسة النشر العلميّ الإسلاميّ.

١٠- رسالة الحقوق بمقدمة قصيرة لدار التوحيد للنشر في طهران سنة ١٤٠٢هـ ويقيناً أَنَّ هناك شروحاً وترجمات أُخرىٰ لا أَطِّلاعَ للمؤلِّفِ عليها.

## رسالة الحقوق

## علىٰ ضبط الصدوق في الخصال

إِعلم أَنَّ لله - عزَّوَجلّ - عليك حَقُوقاً مُحيطةً بك في كلِّ حَرَكةٍ تحَرَّكْتها، أو سَكْنةٍ سكنتها أَو حالٍ حُلْتَها، أَو منزلةٍ نَزَلْتها، أَو جارحةٍ قَلَّبتَها، أَو آلةٍ تصرَّفْتَ فيها.

فأَكبرُ حقوقِ اللهِ - تبارَك وتعالىٰ - عليك ما أَوجبَ عليكَ لنفسه مِن حقِّهِ الذي هو أَصلُ الحُقُوق.

ثُمّ ما أَوجَب اللهُ - عزَّوجلَّ - عليك لِنَفْسِك مِنْ قَرْنِكَ إِلىٰ قَدَمِك علىٰ آختلافِ

---

* كلّ الترجمات المذكورة هُنا هيَ مِن العربيَّةِ إِلىٰ الفارسيَّة (المترجم).

جَوارِحِك، فجعل -عزّوجلّ- لِلسانكَ عليكَ حقّا، ولِسَمعِكَ عليكَ حقّاً، ولبَصَرِكَ عليك حقّاً ولفرْجِك عليكَ حقّا.

فهذِهِ الجوارح السبعُ التي بها تكون الأَفعال.

ثمَّ جَعَلَ - عزَّوجلَّ- لأَفعالك عليكَ حقوقاً.

ثمَّ يخرجُ الحقوقُ مِنْكَ إِلىٰ غَيرِك من ذوي الحقوقِ الواجبةِ عليك، فأَوْجبُها عليك حُقُوقُ أَئِمّتك.

ثمَّ حُقُوقُ رعيَّتِكَ، ثمَّ حقوقُ رحِمِك.

فهذه حقوقٌ تتشعّب منها حقوق.

فحقوقُ أَئمتكَ ثلاثةَ:

أَوجبها عليكَ حقُّ سائسك بالسلطان، ثمّ حقّ سائسك بالعلم، ثمَّ حَقّ سائسك بالمِلك، وكلّ سائسٍ إمام.

وحقوق رعيَّتكَ ثلاثة:

أَوجَبها علَيك حَقُّ رعيَّتِكَ بالسلطان، ثمَّ حقّ رعيّتِكَ بالعلم، فإِنَّ الجاهل رعيّة العالم، وحقّ رعيَّتِكَ بالملك من الأَزواج وما ملكت الأَيمان.

وحقوق رحمك كثيرة متّصلة بِقَدْرِ اتّصالِ الرّحم في القرابة، وأوجَبُها عليك حقُّ أُمِّكَ ثُمَّ حَقُّ أَبيك، ثمّ ولدِك، ثمّ أَخيك، ثمّ الأَقرب فالأَقرب، والأولىٰ فالأولىٰ.

ثمّ حقّ مولاكَ المُنعم عليك، ثمّ حقّ مولاكَ الجارية نعمتك عليه، ثمّ حقّ ذوي المعروف لَديْك.

ثمّ حقّ مُؤذِّنِك لِصلاتِك، ثمَّ حقّ إمامكَ في صلاتك، ثمّ حَقُّ جليسك، ثمَّ حَقُّ صاحبك، ثمّ حقّ شريككَ، ثمّ حقُّ مالك ثمّ حقُّ غريمك الذي تُطالِبُه، ثُمَّ حقّ غريمك الذي يُطالِبُك.

ثمَّ حقّ خليطِك، ثمَّ حَقّ خَصْمِكَ المدّعي عليك، ثمَّ حقُّ خصمِكَ الذي تَدَّعي عليه ثمّ حقّ مُستشيرك، ثمّ حقّ المشير عليك.

ثمّ حقّ مُستنصحك، ثمّ حقّ الناصح لك.
ثمّ حقّ من هو أكبر منك، ثمّ حَقّ من هو أَصغر منك.
ثمّ حقّ سائلكَ، ثمّ حقّ مَنْ سألْتَه.
ثمّ حقّ مَن جرىٰ لك علىٰ يديه مساءَة بقولٍ أو فعل، عن تعمُّد منه، أَو غير تعّمد.
ثمّ حقّ أَهْلِ ملّتِكَ عامّة، ثمّ حقُّ أَهْلِ ذمّتك.
ثمّ الحقوقُ الجارية بقَدْرِ علل الأحوال وتصرُّف الأسباب.
فطوبىٰ لِمَنْ أَعانَه اللهُ علىٰ قضاءِ ما أَوجب عليه من حقوقِه ووفَّقَه وسَدَّدَه.
١- فَأمّا حقّ الله الأكبر عليك، فأَن تعبُدَه ولا تَشرِكَ به شيئاً.
فإذا فعلتَ بالإخلاص جعل لك علىٰ نفسه أَن يكفيَك أَمْرَ الدنيا والآخرة.
٢- وحقّ نفسِك عليك أَن تستعملَها بطاعةِ اللهِ - عزَّ وجلّ.
٣- وحقّ اللسان إكرامُه عن الخنىٰ، وتعويدُهُ الخيرَ وتَرْكَ الفضول التي لا فائدةَ لها، والبِرُّ بالناس وحسنُ القول فيهم.
٤- وحقّ السمعِ تنزيهُه عن سماع الغيبة، وسَماعُ ما لا يَحلُّ سَماعُه.
٥- وحقّ البصر أَن تغُضَّه عمّا لا يَحِلُّ لك، وتعتبِر بالنظريَّة.
٦- وحقّ يدك أَن لا تبسطها إلىٰ ما لا يحلّ لك.
٧- وحقّ رِجْلَيكَ أَلاّ تمشيَ بهما إلىٰ ما لا يحلّ لك، فبهما تقف علىٰ الصراط.
فانظُر أَلاّ تزلّ بِكَ، فَتَرْدَىٰ في النار.
٨- وحقُّ بطنكَ أَلاّ تجعله وعاءً للحرام، ولا تَزيدَ علىٰ الشِّبَعِ.
٩- وحقُّ فرجِكَ أَنْ تُحْصِنَه من أَنْ يُنظَرَ إليه.
١٠- وحقّ الصلاة أن تعلمَ أَنّها وفادةٌ إلىٰ الله -عزَّوجلَّ- وأَنت فيها قائم بين يدي الله -عزّوجلّ- فإذا علمت ذلك قُمتَ مقام العبد الذليل، الحقيرِ الراغبِ، الراهبِ الرّاجي، الخائفِ المُستكين، المعظِّم لِمَنْ كان بينَ يديهِ بالسّكونِ والوقار، وتُقبلَ عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها.

١١- وحقّ الحجّ أنّه وفادة إلىٰ ربّكَ، وفرارٌ إليه من ذُنُوبكَ، وبه قبُولُ توبتك، وقضاءُ الفرضِ الذي أَوجبه اللهُ عليك.

١٢- وحقّ الصومِ أَنْ تعلمَ أَنّه حجابٌ ضربهُ اللهُ علىٰ لسانِك وسَمعِك وبصَرِك، وبطنِك، وفرْجك.

١٣- وحقّ الصدقة أَنْ تعلمَ أَنّها ذخرك عندَ ربِّك -عزّوجلّ- وَوديعتُك التي لا تحتاجُ إلىٰ الإشهادِ عليها، فإذا علمِتَ ذلك كنتَ بما تستودعُه سرّاً أَوثق مِنْك بما تستودعُه علانية، وتعلم أَنّها تدفع البلايا والأسقام عَنْك في الدّنيا، وتدفع عَنْك النارَ في الآخرة.

١٤- وحقّ الهَدْي أَنْ تُريدَ بهِ وَجْه اللهِ -عزّوجلّ- ولا تريدَ بهِ خلقَه، ولا تُريد بهِ إلاّ التعرُّض لرحمة الله ونجاة رُوحك يومَ تَلقاه.

١٥- وحقّ السلطانِ أَنْ تَعلمَ أَنّك جُعِلتَ له فِتنة، وأَنّه مُبتلىً بكَ بما جَعلَهُ اللهُ -عزّوجلّ- له عليك من السلطان، وأنَّ عليكَ أَلاّ تعرضَ لسخطِهِ، فتُلقِي بِيدِك إلىٰ التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليكَ من سُوْء.

١٦- وحقّ سائسك بالعلم التعظيمُ له، والتوقيرُ لمجلسه، وحُسن الاستماع إليه، والإقبالُ عليه، وألاّ تَرْفَعَ عليهِ صوتَك، وأَلاّ تُجيبَ أَحداً يَسْأَلُه عن شيء، حتّىٰ يكون هو الذي يجيب، ولا تُحدِّثَ في مجلسه أَحداً، وَلا تغتابَ عِندَهُ أَحداً، وأن تَدْفع عنه إذا ذُكر عِندكَ بِسوء، وأَن تستُر عيوبه، وتُظهرَ مناقبَه، ولا تُجالس لهُ عَدُوّاً.

فإذا فعلتَ ذلك شِهدَ لك ملائكةُ اللهِ بأنّك قصَدتَه، وتعلَّمتَ عِلْمَه لله -عـزّوجلّ آسْمُه- لا للنّاس.

١٧- وَأَمّا سائسك بالمِلك، فأن تُطيعَه ولا تَعْصِيَه إلاّ فيما يُسخط اللهَ -عزّوجلّ- فإنّه لا طاعة لمخلوق في معْصيةِ الخالِق.

١٨- وأَمّا حقّ رعيّتك بالسلطان، فأن تعلَمَ أَنّهُمْ صاروا رعيّتَك لِضَعْفهم وقُوّتِكَ، فيجب أن تعدِل فيهم، وتكونَ لهم كالوالِدِ الرَّحيم، وتغفِرَ لهـم جَـهْلَهُمْ ولا تُـعاجِلَهُم بالعقوبة، وتشكرَ الله -عزّوجلّ- علىٰ ما آتاك مِن القوّة عليهم.

١٩- وأمّا حقُّ رعيّتك بالعِلم، فأن تعلمَ أنّ اللهَ -عزّوجلّ- إنّما جعلَك قيّماً لهم فيما آتاكَ مِن العِلم وفتح لك مِن خزائنه.
فإنْ أَحسنت في تعليمِ الناس، ولم تَخرَقْ بهم، ولم تضجر عليهم، زادك اللهُ مِن فَضلِه.
وإن أَنتَ منعت الناسَ علمك، أَو خَرِقْتَ بِهِم عِندَ طلبهم العِلْم منْك كان حقّاً علىٰ اللهَ -عزّوجلّ- أَنْ يسْلُبَكَ العِلمَ وبهاءَهُ، ويُسْقِط مِن القُلوبِ محلّك.

٢٠- وأَمّا حقّ الزوجة، فأن تعلمَ أنَّ اللهَ -عزّوجلَ- جعلها لكَ سكناً وأُنْساً، فتعلمَ أَنّ ذلك نعمةٌ مِن اللهِ عليك، فتُكرمها وترفقَ بها. وإن كانَ حقُّك عليها أَوجبَ، فإنَّ لها عليك أَنْ تَرْحمَها، لأنّها أسيرُكَ، وتطعمها وتكسوَها؛ فإذا جَهِلَتْ عَفَوْتَ عَنْها.

٢١- وأمّا حقّ مملوكك، فأن تَعلمَ أَنّه خلْقُ ربِّكَ، وآبنُ أَبِيْك وأُمّكَ، ولحْمكَ وَدَمُك. لم تَملكْهُ لأنّك صنعتَه دون الله، ولا خَلَقتَ شيئاً مِن جوارحه، ولا أَخرجتَ له رزْقاً.
ولكنّ الله -عزّوجلّ- كفاك ذلك، ثُمّ سخّرهُ لك وآئتمنك عليه، واستودَعَك إيّاهُ،

ليحفظ لك ما تأتيهِ من خير إليه، فأحسن إليه كما أَحسنَ اللهُ إليك. وَ إنْ كرِهته آستبدلتَ بهِ ولم تُعذّبْ خلقَ الله -عزّوجلّ- ولا قُوَّةَ إلاّ بالله.

٢٢- حقّ أُمّك أَنْ تعلمَ أنّها حملتْك حيث لا يحملُ أَحدٌ أَحَداً، وأعطتْكَ مِن ثمَرةِ قلبها ما لا يعطي أَحدٌ أَحداً، وَوَقَتْك بجميع جوارحها؛ لم تُبالِ أَنْ تجوعَ وتُطعمَك، وتعطشَ وترويَك، وتَعرىٰ وتكسوَكَ، وتضحىٰ وتُظلّك، وتهجرَ النوم لأجلِك، وَوقتْك الحرّ والبَرْدَ، لتكونَ لها؛ فإنّك لا تطيقُ شُكرَها، إلاّ بعونِ الله - تعالىٰ- وتوفيقِه.

٢٣- وأمّا حقّ أبيك، فأن تعلمَ أَنّه أصلُك، وأنّك لولاه لم تكن. فمهما رأيتَ في نفسِك ممّا يعُجبُك، فاعلم أنَّ أَباك أصلُ النعمةِ عَليْك فيه، وآحمَدِ اللهَ وآشكُرْهُ علىٰ قدر ذلك، ولا قوة إلاّ بالله.

٢٤- وأمّا حقّ ولدِك، فأن تعلم أَنّه منك ومُضافٌ إليك في عاجل الدّنيا بخيره وشرِّه، وأَنّك مسؤولٌ عمّا ولّيتَه من حُسن الأدبِ والدلالة علىٰ ربِّه -عزّوجلّ- والمعونة له علىٰ طاعتهِ، فاعملْ في أمرِه عملَ مَن يعلمُ أَنَّه مُثابٌ علىٰ الإحسان إليه، معاقب علىٰ الإساءَة إليه.

٢٥- وأمّا حقّ أَخيك، فأن تعلمَ أَنّه يَدُك وعِزُّك وقُوّتُك، فلا تَتّخِذْهُ سلاحاً علىٰ معصية الله، ولا عُدّةً للظلم لخلق الله، ولا تدَع نُصرته علىٰ عدوّه والنصيحة له؛ فإن أَطاعَ اللهَ، وإلاّ فليكنْ اللهُ أكرمَ عليكَ منه، ولا قوّةَ إلاّ بالله.

٢٦- وأمّا حقّ مولاك[١] المنِعم عليك، فأن تعلمَ أنه أنفقَ فيك مالَه، وأخرجك من ذلِّ الرِّقّ ووحشيه إلىٰ عزّ الحرّيّةِ وأُنسها؛ فأطْلَقك مِن أَسْرِ المَلَكَة، وفكّ عنك قيدَ العبوديّة، وأَخرجكَ من السِّجن، وملّكَكَ نفسك وفرّغك لعبادة ربّك.

وتعلم أنه أولىٰ الخلق بك في حياتك وموتك، وأن نصرته عليك واجبة بنفسك وما آحتاج إليه منك، ولا قُوّة إلاّ بالله.

٢٧- وأمّا حقّ مولاك الذي أنعمتَ عليهِ، فأَن تعلمَ أَنَّ اللهَ -عزّوجلَّ- جعل عِتقَكَ له وسيلةً إليه، وحجاباً لك من النار، وأَنّ ثوابك في العاجل[٢] ميراثه إذا لم يكن له رَحِمٌ مُكافئة، بما أَنفقتَ مِن مالِك، وفي الآجل[٣] الجنّة.

٢٨- وأَمّا حقّ ذي المعروف عليك، فأنْ تشكره، وتذكُرَ معروفَه، وتُكسِبَهُ المقالَة الحسنة، وتُخلصَ له الدُّعاءَ فيما بينَك وبين الله -عزّوجلّ- فإذا فعلتَ ذلِك كنتَ قد شكرته سرّاً وعلانية، ثمّ إن قَدَرْتَ علىٰ مكافأتِه يوماً كافأتَه.

٢٩- وأَمّا حقّ المؤذّن، فأن تعلمَ أَنّه مُذكِّر لك ربّك -عزّوجلّ- وداعٍ لك إلىٰ حظّك، وعونُك علىٰ قضاءِ فرض الله عليك، فاشكره علىٰ ذلك شُكرك للمحسِنِ إليك.

٣٠- وأمّا حقّ إمامك في صلاتك، فأن تعلمَ أَنّه قد تقلَّد السفارة فيما بينكَ وبينَ ربِّك -عزّوجلّ- وتكلّمَ عنك، ولم تتكلّم عنه، دعا لك، ولم تدعُ له، وكفاك هول المقام

---

١- أي المُعتق.
٢- الدنيا.
٣- الآخرة.م

بين يدي الله -عزّوجلّ- فإن كان به نقص كان بهِ دونك. وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل، فوقَ نفسك بنفسه، وصلاتك بصلاته، فتشكّر له علىٰ قدر ذلك.

٣١- وأمّا حقّ الجليس، فأن تلينَ له جانبكَ، وتُنصفَه في مُجاراةِ اللفظ، ولا تقومَ من مجلسِك، إلاّ بإذنِه. ومن يجلسُ إليك يجوزُ لهُ القيامُ عَنك بغير إذْنكَ. وتنسىٰ زلالته، وتحفظُ خيراتِه ولا تُسْمِعه إلاّ خيراً.

٣٢- وأمّا حقّ جارِك، فحفظُه غائباً، وإكرامُه شاهداً، ونُصْرَتُه إذا كان مظلوماً، ولا تتّبع له عورة، فإنْ علمِتَ عليهِ سُوءاً سترتَه عليه، وإن علمتَ أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه.

ولا تُسْلِمَه عند شديدةٍ، وتُقيل عثرتَه، وتغفرَ ذنبَه، وتُعاشِرَه معاشرةً كريمةً، ولا قوّةَ إلاّ بالله.

٣٣- وأمّا حقّ الصاحب، فأن تَصْحبَه بالتفضُّل والإنصاف، وتكرِمَه كما يُكرمُك، وكن عليه رحمةً ولا تكن عليه عذاباً، ولا قُوّةَ إلاّ بالله.

٣٤- وأَمّا حقّ الشريك، فإنْ غابَ كفيتَه، وإن حضر رعيتَه، ولا تحكم دون حُكمِه، ولا تعمل برأيك دون مُناظرتِه.

تحفظ عليه ماله، ولا تخونه فيما عزَّ أَو هانَ مِن أَمرِه، فإنّ يد الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ الشريكين ما لم يتخاوَنا، ولا قوّة إلاّ بالله.

٣٥- وأمّا حقّ مالِك، فأن لا تأخُذَهُ، إلاّ مِن حلِّه، ولا تُنفقَه إلاّ في وجْهه، ولا تُؤثرَ به علىٰ نفسِكَ مَنْ لا يحمَدُك.

فاعمل فيه بطاعة ربِّكَ، ولا تبْخَلْ به، فتبوءَ بالحسرة والندامة مَعَ السَّعة، ولا قوَّةَ إلاّ بالله.

٣٦- وأَما حقّ غريمكَ الذي يُطالبُكَ، فإن كنتَ موسِراً أَعطيتَه، وإنْ كنتَ مُـعسِراً أَرضيتَه بِحُسْنِ القولِ، ورددتَه عن نفسك ردّاً جميلاً.

٣٧- وحقّ الخليط أن لا تَغُرَّه، ولا تَغُشَّه، ولا تخْدَعَه، وتتّقِيَ الله -تبارك وتعالىٰ- في أَمره.

٣٨- وأَمّا حقّ الخصم المدّعي عليك، فإن كان ما يدعي حقّاً كُنتَ شاهدَهُ علىٰ نفسك ولم تَظلمْه، وأَو فيتَه حقّه. وإن كانَ ما يدَّعي باطلاً، رَفَقْتَ به، ولم تأت في أَمرِه غير الرِّفق، ولم تُسْخِط ربَّكَ في أَمره، ولا قُوّةَ إلاّ بالله.

٣٩- وحقّ خصمِك الذي تَدّعي عليهِ إن كنتَ مُحقّاً في دعوتك أَجملتَ مقاوَلَتَه، ولم تجحد حقَّه. وإن كنت مبطلاً في دَعْوتِك، اتّقَيْتَ اللهَ -عزّوجلّ- وتُبْتَ إليه، وتركتَ الدعوىٰ.

٤٠- وحقّ المستشير إن علمتَ أَنَّ له رأياً أَشرْتَ عليه، وإن لم تعلَمْ أرشدتَه إلىٰ مَن يعلَم.

٤١- وحقّ المشير عليك أَن لا تتهمَه فيما لا يوافِقُك مِن رأْيِه، فإن وافقكَ حمِدت اللهَ -عزّوجلّ.

٤٢- وحقّ المستنصح أَن تؤدِّيَ إِليه النصيحة، وليكنْ مَذْهبُكَ الرحمةَ والرِّفْقَ به.

٤٣- وحقِّ النّاصح أَن تُلِيْنَ لَهُ جَناحكَ، وتُصْغيَ إليه بِسَمعِك. فإن أَتىْ الصواب، حمِدتَ الله -عزّوجلّ- وإن لم يُوافق، رحِمتَه ولم تتهمْه، وعلمتَ أَنّه أَخطأ، ولم تؤاخذْه بذلك، إِلاّ أَن يكون مُستحقّاً للتهمة، فلا تعبأ بشيءٍ مِنْ أَمْرِهِ علىٰ حال، ولا قوّة إلاّ بالله.

٤٤- وحق الكبير توقيرُهُ لسِنّه، وإجلالُه لتقدُّمِه في الإسلام قَبْلَكَ، وترك مُقابلتِه عند الخصام.
ولا تسبقه إلىٰ طريق، ولا تَقَدَّمْهُ، ولا تسْتجهلِهُ.
وإِنْ جَهِلَ عليك اْحتملتَه وأكرمتَه لحقِّ الإسلامِ وحُرْمَتِه.

٤٥- وحقّ الصغير رحمتُه في تعليمِه، والعفوُ عنه، والسترُ عليه، والرّفقُ به، والمعونة له.

٤٦- وحقّ السائل إِعطاؤُهُ علىٰ قدر حاجتِه.

٤٧- وحقّ المسؤولِ إِن أَعطىٰ، فاقبَلْ منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإِن منع، فاقبلْ عُذره.

٤٨- وحقّ مَنْ سرّكَ اللهُ -تعالىٰ- به أَن تحمدَ اللهَ -عزّوجلَّ- أَوّلاً، ثمّ شُكرَه.

٤٩- وحقّ من ساءَك أن تعفوَ عنه، وإِن علِمْتَ أَنّ العفو يضرُّ، انتصرت، قال اللهُ

-تبارك وتعالىٰ-: «ولمن انتصر بعدَ ظُلِمه، فأولئكَ ما عليهم من سبيل».[١]

٥٠- وحقّ أهل ملّتِك إضمارُ السّلامة والرحمةِ لهم، والرِّفقُ بمسيئهم، وتألُّفُهم واستصلاحهُم وشُكرُ مُحسنِهم، وكَفُّ الأَذىٰ عنهم، و تُحبَّ لهم ما تُحبُّ لنفسك، وتكرهَ لهم ما تكرهُ لِنفسِك، وأن يكون شيوخهُمُ بمنزلة أَبيك، وشبابُهُمْ بمنزلةِ إِخوانك، وعجائزهم بمنزلة أُمّكَ، والصغارُ بمنزلة أولادِك.

٥١- وحقّ أَهل الذّمّةِ أَنْ تَقبَلَ مِنهم ما قَبِلَ اللهُ -عزّوجلّ- ولا تظلمهم ما وفوا اللهَ -عزّوجلّ- بِعهدِه.

---

١- الشورىٰ/٤٢:٤١.

«وقال ربّكم أُدعوني أَستجبْ لكم»[١]

## الصحيفة السجادية

الأَثر الآخر الذي لدينا من آثار الإمام السّجادِ مجموعة من أَدعيتِه عرفت باسم الصحيفة السَّجاديّة.

وشهرة هذا الأثر تغني عن كلّ توضيح له.

الصحيفة السّجاديّة التي لُقِبت زَبُورَ آلِ محمدٍ ﷺ وإنجيلَ أَهلِ البيت شاملة لأَربعة وخمسين دعاء.

وَشرحَتْ ما يزيدُ علىٰ ستّين شرحاً، وتُرْجِمت مِراراً إِلىٰ الفارسيّة.

ولا بدَّ مِن القول: إِنّ علماءَ الشيعة أستدركوا علىٰ الصحيفةِ المُتداوَلةِ أستدراكات، وجمعوا الصحيفة الثانية والثالثة إلىٰ الثامنة.[٢]

مع أَنَّ سند الصحيفة التي بأيدينا اليومَ يَرجع إلىٰ بهاء الشرف الذي كان يعيش في القرن السادس الهجريّ، فإِنَّ أسمها في كتب عظماء الشيعة التي أُلِّفتْ قبلَه بسنين.

جاءَ في فهرست كتب المرحومِ السيِّد المشكاة المهداةِ إلىٰ جامعة طهران أَنَّ هذه القصَّةَ (قِصّة عمير بن المتوكل بن هارون وملاقاته ليحيىٰ بن زيد الشهيد) نقلها كثيرون عن قول عُمَيْرٍ الوارد فيها، نقله مثل الشيخ المفيد في الإرشاد وعلي بن محمد

---

١- غافر (المؤمن)/٤٠: ٦٠.

٢- الذريعة: ذيل كلمة شرح، وذيل الصحيفة السجادية.

الخزاز في كفاية الأَثر والنجاشي في الرجال، والشيخ الطوسيّ في الفهرست.[١]

والظاهرُ أَنَّ هذه الكتابة لا أساسَ لها، ففي الإرشاد لم يَرد اسمٌ للصحيفة فضلاً عن قصّة عمير بن المتوكل بن هارون.

ويبدو أَنَّ كاتب الفهرس كان لديه مقدّمة الصحيفة السّجادية التي كتبها السيّد المشكاة، وَأَخطأ في نقل العبارة آتّفاقاً.

وترجمة ما جاءَ في مقدّمة الصحيفة بقلم المرحوم المشكاة جاءتْ بهذه الصورة:

هذه (الصحيفة السجادية) ثاني كتاب في عالم الإسلام لم يظهر قبلَها غيرُ القرآن الكريم... كانت الصحيفة مرجع أَكابر العلماء والمصنّفين.

أشار إلىٰ ذلك الشيخ المفيد محمد بن النعمان في نهاية شرحه حال الإمامِ السجّاد، وصرّح معاصرُه علي بن محمّد الخزاز القميّ باسم الصحيفة وملاقاةِ المتوكل بن هارون ليحيىٰ بن زيد.

وعبارة المرحوم المشكاة في شأنِ المفيد -علىٰ ما أرىٰ- إِشارةٌ لا تصريح. وليس في الإرشاد في ذيل ترجمة الإمام علي بن الحسين اسم للصحيفة وعبارة المفيد هي:

«وقد روىٰ عنه فقهاء العامة من العلوم ما لا يحصىٰ كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء»[٢]

يمكن القول: إنّ كلمة أدعية هي نوع مِن الإشارة إلىٰ الصحيفة.

علىٰ ما أعلم اشتهرت الصحيفة السّجاديّة بـ"الصحيفة الكاملة".

فما معنىٰ كلمة الكاملة؟

وأَيْن الصحيفة الأُخرىٰ التي كانت ناقصة؟

---

١- الفهرست: جمع علي نقي منزوي: ١/١٥٣.

٢- الإرشاد: ٢/١٥٤.

يكتب آية الله النجفي المرعشي في المقدّمة التي وضعها للصحيفة السجادية (طبعة الشيخ محمد الآخوندي) استدراكاً علىٰ مقدمة المرحوم المشكاة ما صورته: سبب نعت هذه الصحيفة بالكاملة علىٰ وفق ما سمعته من السيّد جمال الدّين الكوكباني اليماني هو أَنّ نسخة من هذه الصحيفةِ في يد الزيديّة تساوي نصْف هذه الصحيفة، ومِن أَجل هذا اشتهرت هذه الصحيفة بالكاملة».[١]

لكن هذا التعليل ليسَ غير كافٍ فقط، بل لا يمكن عدُّه صحيحاً فلفظ الكاملة يُشاهد في سند الصحيفة من قول المتوكل بن هارون الذي رَأىٰ يحيىٰ بن زيد، وفيه: «أَخبرهُ أَنّه مِن دعاء أبيه عليّ بن الحسين مِن دعاءِالصحيفةِ الكاملة».[٢]

ويقول المتوكل أيضاً كان يحيىٰ بن زيد يقول: «أَما لَأُخرجنَّ إِليك صحيفة مِن الدعاءِ الكامل»[٣].

ومسلّم أَنّه لا وجودَ في ذلك الوقت للصحيفة المشهورة اليوم باسم الصحيفة الزيديّة علىٰ وفق قول الكوكبانيّ.

وعلىٰ فرض وجودها لا شكَ في أَنّ المتوكّل كانَ ضِمن الرواية: بعدَما ذهبتُ إلىٰ المدينة، ورأيت الإمام الصادق عليه السلام وحدَّثتُه بملاقاتي ليحيىٰ، واستجزتُه أَنْ أُقابل نسخته بنسخة يحيىٰ التي كان بعثها إلىٰ أبناءِ عمِّه، فلم أَر فيهما حَرْفاً يُخالف آخر.

وبناءً علىٰ هذا يُحتمل أَن يكون لفظ "الكاملة" لا موردَ له إزاءَ صحيفة الزيدية الناقصة.

إلاّ أَن نقول: لم يكن لَفظ "الكاملة" في سند الصحيفة عن المتوكّل بن هارون، وبهاءُ

---

١- مقدمة الصحيفة السجادية.

٢- مقدمة الصحيفة السجادية.

٣- الموضع نفسه.

الشرف الذي كان حيّاً في القرن السادس لقّب صحيفته به مقابل صحيفة الزيدية وهذا الاحتمال أيضاً مردودٌ بتقواهُ ونزاهتِه.

صحيفة الإمام الصادق التي بأيدينا كانت ٧٥ باباً -علىٰ قول المتوكل- ذهب منها أَحدَ عشر باباً مِن ذاكرة الراوي، ويقول: إنّه يحفظ منها نيِّفاً وستّين باباً في حال أَنَّ مجموع أدعيةِ الصحيفة ٥٤ دعاءً، فعلىٰ هذا التقريب لا معنىٰ لنعتِ الصحيفة بالكاملة.

لفظ "الكاملة" في نسخة من الصحيفة كتبت في شوال سنة ستّ عشرة وأربع مئةٍ للهجرة، وهي في مكتبةِ الروضة الرضوية موجود في ظهر المجلّد -علىٰ ما أذكر- وسبب ذلك كمال هذه المجموعة مِن جهة الدعاء.

وما يمكن أَن نقولَه حدْساً -ولا يمكن اتّخاذ الحَدْس دليلاً- هو أَنّهم دَعَوا هذه المجموعة "الكاملة" من جهة أَنّها دستور كامِل لطلبِ العَبْدِ حاجاته مِن اللهِ -تعالىٰ- في أكثر الموارد وفي شأن أَغلب الحاجات لم يَصدُرْ مثل هذه الأدعية عن الأئمة المعصومين بهذا الترتيب، فلقّبتْ الصحيفة مقابل أدعيةِ بقية الأئمة بـ"الكاملة"، والله أعلم.[1]

---

١- هذا ما ذهب إليه المؤلف قبل ما يزيد علىٰ ثلاثين عاماً، وهو ما سُطر في ظهر النسخة الموجودة بالروضة الرضوية، وأَخيراً حصل ما يُؤيد هذا الاحتمال.

## القرآن بخط الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام

كانَ ومازال في عدّة من مكتبات إيران نُسَخٌ أَو أَوراق من القرآن يقولون: إنَّ الإمام عليّ بن الحسين كتبها، لكنّ نِسبة بعضها إليه تبدو بعيدَة الصّحَة، ونسبة البعض الآخر لا حقيقة لها. والنسخ التي لنا اطّلاع عليها هي:

١- قرآن شيراز.

٢- قرآن سلطانية قزوين.

٣-قرآن إصفهان.

٤-قرآن مكتبة الإمام الرِّضا عليه السلام.

وأطّلاعُنا في شأن قرآن شيراز مُنحصر بما سطره معين الدِّين أَبوالقاسم جنيد الشيرازي في كتابِه شدّ الإزار في حطِّ الأَوزار عن زُوّار المزار الذي يَتعلَّق بمزارات شيراز قائلاً: «في شيراز نسخ قرآن بخطّ أميرالمؤمنين علي، والحسن والحسين عليهم السلام».(١)

أَمّا فيما يتعلق بقرآن سلطانية قزوين فقد حكىٰ لي المرحوم "صادق وحدت" وهو رجل فاضل كانَ له اهتمام بالكتب ولا سيما النسخ الخطية القديمة منها، أنه رأىٰ في سلطانية قزوين أوراقاً من القرآن بالخط الكوفي مكتوبة علىٰ جلد غزال في بيت سيد كان يؤم الجمعة هناك ويعتقد هو وجمع آخر أنها بخط الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

أَمّا نسخة إصفهان، فقد عُرِضت في متحفة إيران القديمة سنة ١٣٢٨ للهجرة

---

١- ٢٨٨ تصحيح المرحوم القزويني.

الشمسيَّة، وخصائص هذهِ النسخة علىٰ ما في فهرس خِزانة القرآن للمرحوم الدكتور بياني هي:

مجموعة متحفة إصفهان، وهي دون رقم أصيل ولا تاريخ تحرير في حدود القرن الثالث، كتبت في جلد غزالٍ مجدول والحاشية كاغذ إصفهاني حِمَّصي، وعدد الصفحات ٢٨٨ في كلٍّ منها ١٧ سطراً.

في الصفحة الأخيرة رقم ملحق فيه، كتبه عليّ بن الحسين الإمام زين العابدين عليه السلام[١].

أَمّا خصائص قرآن مكتبة الإمام الرضا عليه السلام فهي:

١- أَنّه كتِبَ علىٰ جلد غزال، ويبدأ من صدر الآية ١٨٠ من سورة البقرة، وينتهي بهذه الجملة: قوله الحقّ، وله الملك، إِنَّ اللهَ لا يخلف الميعاد، كتبه المنتظر بوعدِه علي بن الحسين بن أَبي طالب.

٢- أَنهم جعلوا له حواشياً ورَقية، وضَرَبُوا علىٰ النَّصّ جدولاً ذهَبيًّا ولا زرديًّا وذهّبُوه.

واقفِ هذه النسخة ونسخ أُخرىٰ من القرآن هو الشاه عباس الكبير علىٰ وفق ما جاءَ في رسالة وصلت من المكتبة الرِّضوية.

وزالت عين الوقف المتعلّق بهذه النسخة بالتجليد أو علل أُخرىٰ، لكنها موجودة في نُسخ أُخرىٰ.

٣- أَنّه لا يُعلَمُ بِمَ آسْوَدَّت صفحات القرآن الأُولىٰ، حَتّىٰ إِنّها لا تسْهُلُ قِراءَتُها.

٤- يضمّ هذا القرآن ٣٦٩ ورقة، وطول الصفحة ٣٢ وعرضها ٢٥ "بهر"[٢] وخمس شعرات.

---

١- فهرس خزانة القرآن: ١٠-١١.

٢- واحدة قياس كل ٣٢ منها= ذراع واحد. طبقاً لما ذكره صاحب فرهنگ عميد. م

٥- أَنّه لا فواصل ولا تذهيب بين الآيات مثل سائر النسخ القرآنية، لكنَّ في كلّ مكان آيةٌ في آخِرِها نِقاط تُؤلِّفُ دائرةً بفاصل صفحةٍ أَو اثنتين أَو ثلاث.

وتُشاهد هذه النقاط ولونها أَحمر وأسود في السطر الخامس مِن الصفحة ١٨٦.

٦- أَنَّ آية بسم الله الرحمن الرحيم تأتي في كلّ سورة أَوَّل السطر، والفاصلة بين آخر السورة وأَوَّل السورة الأُخرىٰ ضئيلة.

كانَ هذا اطّلاعَنا في شأن هذه النسخ من القرآن، ونُضيْف في النهاية:

١- أَنّه لا اطّلاعَ علىٰ وجود نسخة شيراز أو عدمها في هذا التاريخ، وبحثنا عنها دونما نتيجة حتَّىٰ الآن. وبناءً علىٰ هذا لا يُعلم مدىٰ صحّةِ نسبتها إلىٰ الإمام علي بن الحسين.

٢- أَنَّ القرآن الذي شاهده المرحوم "صادق وحدت" في سلطانية قزوين، ولم يَكُنْ بخاطرِهِ، أَعليهِ إمضاءٌ أَم لا مشمول بالحكم السابق.

٣- أَنَّ الجملة الأخيرة في نسخة إصفهان تثبتُ عَدَم نسبة هذا القرآن، فما كانَ الإمامُ يلقّبُ نفسَهُ زين العابدين، ولا يأتي لها بجملةِ عليه السلام.

إلاّ أَنْ يقال: إنَّ الناسخ أَضافَ هذه الجملة إلىٰ آخر القرآن من عنْده تعريفاً لِلمؤلّف الأصليّ، ومهما زالت غرابة الموضوع بهذا الاحتِمال، فإنَّهُ لا يكون دليلاً علىٰ صحَّةِ النسبة.

٤- في شأن قرآنِ مكتبة الإمام الرِّضاعليه السلام الذي ترىٰ جماعة نسبته إلىٰ الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قطعيَّة يجب أَنْ يوضّح أَكثر ويُعْلَم كيف كان شكل الخطوط وعلامَ كانوا يكتبون في الحجاز موطِن الإمام في القرن الأَوّل للهِجرة؟.

وتُستَنْتَجَ صحَّةُ هذهِ النسبةِ أَو عدمها من هذه المقدّمات.

وهذا المطلب في بحثين:

ألف- الورق: قبل ظهور نبيِّ الإسلامصلى الله عليه وآله وفي زمانِه كانوا يستعملون الجلودَ

لِلكتابة، والمقصود من الجلد هنا هو الجلد العادي وليس الجلد الذي يقال له: "رق"[١]

كما حدث ابن سعد عن اسماعيل بن إبراهيم الأسدي وهو باسناده عن أبي العلا أنه كنت مع مطرف في سوق الإبل فجاءنا أعرابي ومعه قطعة جلد وقال لنا أيكم يعرف القراءة؟ قلت : أنا ، قال : اقرأ لي هذا الكتاب ، أرسله لي النبي[٢] وكان سميكاً بحيث رقّع به الدلو.

يقول المؤرخون: كتب النبي﴿ﷺ﴾ رسالة إلى سمعان بن عمر من بني حارثة، وبعث بها عبدالله بن عوسجة فرقع سمعان بها دلوه، فَدُعي عَقِبُه بني الراقع.[٣]

يقول ابن النديم: في خزانة المأمون كتابة علىٰ جلد بخط عبدِالمطلب هيَ طَلَبُه مِنْ أَهل مكّة.[٤]

في دائرة المعارف الإسلاميّة الفرنسية: في مكتبة خديوي مصر سندانِ لهذا النموذج علىٰ الجلد، تاريخ كتابتهما ٢٣٣هـ و ٢٣٩هـ[٥]

بعد الجلد استُعمل العسب[٦] وساقُ البعير وفكّه وكتِفه.

وكتبوا قِطعاً صغيرة علىٰ الخزف، ثمّ استعملوا البردي المصري حتىٰ أوائل دولة بني العبّاس.

وراج الورق المعتاد الذي كان يُدعىٰ "الورق" و"الكاغذ" و"القرطاس" في البلدان الإسلاميّة في أَواخر القرن الثاني الهجري تقريباً.

---

١- Parchemin

٢- الطبقات الكبرىٰ: ٢/٤٤.

٣- الطبقات: ٢/٤٥؛ والمعارف: ١٤٦.

٤- الفهرست: ٨.

٥- ١/٣٩٠.

٦- هو جريد النخل المستقيم المكشوط الخوص.

وأقدم كتاب موجود كُتِبَ علىٰ الورق تاريخهُ ٢٥٦ هـ، ويحتملُ أَن يكون محلّ كتابتِه في بغداد.

وتاريخ النسخة المرقمة "٦٥٤٦" بدار الكتب بالقاهرة هو ٢٦٥هـ، لكنّ هذا التاريخ غير مُسلَّم به علىٰ ما يظهر، وليس بعيداً أَن يكون تاريخُها القطعي هو ٣٠٠هـ وفي دمِشق.[١]

استُعمل جلد الغزال الذي يُعبَّرون عنه بـ"الرِّقّ" و"الجلد"[٢] لكتابة القرآن والوثائق، وكان استعمالُه قليل جدّاً.

لكن متىٰ استعملت هذه المادّة للكتابة؟

ليسَ معلوماً، والقدر المُسلَّم به أَنّه استفيد منه لكتابة القرآن في القرن الثالث الهجري.

يقول بعض المحققين: كانت هذه المادّة معروفةً بين العرب حتّىٰ قبل الإسلام. ويذهبوُن إلىٰ أَنّ بيت طرفة بن العبد:

وخدّ كقرطاس الشاميّ ومِشْفَرٌ  كسبت اليمانيِّ قِدُّه لم يُجرّدِ

دليلٌ عَلىٰ هذا القول، ويقولون: وجه المشابهة بين الخدّ وقرطاس الشاميّ هنا هو نعومتُه ولمعانُه.

وهذا الادِّعاءُ لا يُستبعد، لأنّ الرّقّ كان مألوفاً في هذه النقطة.

في لاروس الفرنسي الكبير يقول في ذيل كلمة Parchomin:

يقول Plin القديم: ظهر الرق من أجل Eumene ملك Pergame ، لأنّ بطائسة مصر باللغات الأوربية هي Purchomin ومأخوذ من Pergame وهو ما كانوا يصنعونه من جلد الضأنِ والماغر والعِجل والخنزير والوَعل وغيرها.

---

١- دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية): ١/ ٣٩٠

٢- لاروس الفرنسي الكبير: ٥/ ٢٧٢.

استعملت هذه المادّة أولاً لكتابة المؤلفات، وبعدها يعني في القرن السابع الميلادي استعملت لتحرير الأوامر [المَلَكِيَّة].

أقدم أمرٍ ملكيّ مكتوب علىٰ جلد هو من Thierry الثالث في ٦٧٧ م.[١]

لكنّ معرفة العرب لهذه المادّة ليست دليلاً أَنَّ استعمالها كان شائعاً شيوعاً كاملاً في الحجاز ومُسلَّمٌ أنّ هذا النوع من "الكاغذ" نادر وغالٍ جدّاً، وليس بمقدورِ كلِّ امرىءٍ الحصولُ عليه.

ب - الخطوط المعروفة في القرن الهجريّ الأوّل:

يعدّ ابن النديمُ الخطوط العربيّة بهذا الترتيب: الخطّ المكّي، والخطّ المدني والخطّ البصري، والخط الكوفيّ[٢].

تبيِّن نماذج الخط العربيّ في القرن الهجريّ الأوّل أَنَّه مخالفٌ للخط الكوفيّ ومُشابه لخط النسخ العصريّ وهذه الخطوط مكتوبة علىٰ "البرديّ المِصْريّ". لكنّ المسلّمَ به أَنّ الخطّ الكوفي وُجِدَ قَبْلَ تَمْدين الكوفة، ولعلَّ علّة اشتهاره بهذا الاسم هي رواجُه في مدينة الكوفة.

استُعمل الخط الكوفيّ موازياً لخط النسخ خمسة قرون، ومِن غير المعلوم متىٰ استُعمل لكتابة القرآن خاصَّة.

واضِح أَنّهم كانوا يكتبون القرآن في القرن الثالث بالخط الكوفيّ، وجميع النسخ الباقية مِن هذا التاريخ باستثناءِ واحدةٍ منها مكتوبةٌ بالخطّ الكوفيّ.[٣]

فالقرآن الذي في پاريس برقم "٣٤٦" عائد لسنة "٢٢٩ هـ"، وقطع من القرآن الذي في القاهرة برقم "٣٣٩١٠" عائدة لسنة "٢٧٧ هـ".

---

١- لاروس الكبير: ٥/٢٧٢.

٢- الفهرست: ٨.

٣- دائرة المعارف الإسلامية بالفرنسية: ١/٣٩٣-٣٩٤.

وهذا القرآن أَهداه "أناجور" حاكم دمشق إلى مسجد عمر بالقاهرة. والقرآن الوحيد المتعلّق بالقرن الثاني الهجري هو القرآن الكامل بالقاهرة، ورقمهُ "٣٨٧" وتاريخ وَقْفِه "١٨٦ هـ".

خطّ هذا القرآنِ غير متكلف، ولا زوائدَ فيه، والحرف (ق) فيه بصورة(ف) والحرف(ف) بهذه الصورة، لكن نقطته في الأسفلِ ووسَط الحرف.[١]

نستنتج من هاتين المقدّمتين أنّ نسبة هذه النسخة من الصحيفة إلىٰ الإمام علي بن الحسين غيرُ مُسلَّمٍ بها للأدلّة الآتية أَدناه:

١- هذه النسخة -علىٰ ما قلنا- مكتوبة علىٰ جلد غزال، ولندرة هذه المادّة وغلائها يستبعد أن تكون هذه الأوراق مِن القرن الهجريّ الأوّل ومُرتبطةً بالإمام.

٢- بمقايسة هذا الخط وخطّ قطعتين كُتبتا سنة "٢٤هـ" و"٩٠هـ" نُشاهِدُ عَدَمَ مشابهته لخطّهما وعلىٰ العكس من ذلك نجد فيه شبهاً زائداً لخطّ قرآن "اناجور" الذي كُتب في القرن الثالث بَيدَ أنّه لا يُمكن إنكارُ نسبتِه إنكاراً قاطعاً، ويلزم للاطمئنانِ الكامل بتاريخ الكتابة القطعيّ أن نتوسل بوسائلِ العصر العلميّة لمَعرفة الحبر والورق معرفة دقيقة.

---

١- ن.م: ١/٩٤.

## نِعْمَ أَجْرُ العاملين

«نتبوأ مِنَ الجنَّة حيث نشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العاملين»[١]

المؤرخون مختلفون في سنة رحلة الإمام السجّاد أَيضاً، بل إنَّ اختلافهم في سنة وفاته أكثر من اختلافهم في سنةِ ولادته. فهي من أربع وسبعين إلىٰ مائة وعشر. وعبارة أربع وسبعين في «تاريخ گزيده»[٢] هي من سهو الناسخ، ويجب أن تكون أربعاً وتسعين.

أكثر المحدّثين والمؤرخين كتبوا أَنّ سنة رحلته هي أربع وتسعون للهجرة، ومنهم الزبيريّ في نسب قريش[٣] وابن قتَيبة في المعارف[٤] والبلاذري في أنسابِ الأَشراف[٥] وابن الجوزي في صفة الصفوة[٦] وعلي بن عيسىٰ الإربلّي في كشف الغمّة[٧].

وَدَعوا سنة أربع وتسعين للهجرة سنة الفقهاء، لأَنَّ جماعة كثيرة من فقهاء المدينة غادروا هذا العالمَ في هذه السنة.

---

١- الزمر/٣٩: ٧٤.
٢- ١/٢٠٤.
٣- ٥٨
٤- ٢١٥.
٥- ١٤٦.
٦- ٢/٥٧.
٧- ٢/١٠١ و ١٠٥.

في مقابل هذا القول قولُ المفيد في الإرشاد[١] والكلينيّ في الكافي[٢] والإربلّي في أَحد أقواله[٣] والطبري في تاريخه[٤]: إنّ وفاته سنة خمس وتسعين.

وذهب البلاذري في إحدىٰ رواياتِه[٥] وكذلك علي بن عيسىٰ الإربلّي[٦] إلىٰ أَنّه تُوفِّي سنة آثنتين وَتسعين.

والمشهورُ من الأَقوال أَنّ وفاته في سنة أربع وتسعين، وخمس وتسعين. وأقوىٰ الأَقوال أَنّها في سنة أَربع وتسعين.

وكتب الكفعمي في المصباح أَنّه سُمَّ بأمر هشام بن عبدالملك بدسِّ السمِّ له في طعامَيْن يوم السبت الثاني والعشرين من المحرَّم سنة خمس وتسعين[٧].

ومدفنه في مقبرة البقيع إلىٰ جانب عمّه الحسن بن علي عليهما السلام[٨].

وفي الليلة التي ذهب في صباحِها إلىٰ جوار ربِّه قال لابنه محمدٍ الباقر:

آتِني بماء للوضوء. وعندما جاءَهُ بالماء، قال: لا أُريد، في هذا الماءِ ميت.

وبعد البحث وجدوا في الماء فأْراً ميّتاً[٩].

وعند موتِه أُغمَي عليه، وإذ فتح عينيه قرأ سورة الواقعة، وسورة الفتح، ثمّ قال:

«الحمدللهِ الذي صدقنا وَعْدَه، وأَورثنا الأرض نتبوّأُ مِنَ الجنَّةِ حيث نشاء، فنِعْمَ أَجرُ

---

١- ٢/١٣٩.

٢- ١/٤٦٦ و ٤٦٨.

٣- كشف الغمة: ٢/١٠٥.

٤- القسم ٢/ ١٢٦٦.

٥- ١٤٦.

٦- كشف الغمة: ٢/١٠١.

٧- البحار: ٤٦/صص ١٠٢-١٠٢.

٨- الإرشاد: ٢/١٢٩.

٩- أصول الكافي: ١/٤٦٨.

العاملين»[١]، وعندئذ فاض[٢].

وروىٰ ابن سعد بِسنده عن أَبي جعفر عليه السلام أَنَّ الإمامَ السجّادَ أَوصىٰ أَلاّ يُخبِروا أَحداً بموتِه، وأَن يَدفنوهُ سريعاً، ويَلُفُّوهُ بكفن مِن قُطْن، ولا يمزجوا حَنُوطَه بالمِسك[٣].

لكنّ جمعاً غفيراً مِن الناس ٱلتأَمَ عند تشييع ذلك العظيم ودفنه، حتّىٰ إِنَّ المَدينةَ قَلَّ أَنْ رأتْ مثلَه.

---

١- الزمر/٣٩: ٧٤.

٢- أصول الكافي: ١/٤٦٨.

٣- الطبقات: ١/١٦٢.

## ذريته

### «ذرية بعضها من بعض»[١]

بين المؤرخين وكتّاب التراجم اختلاف في عدّة أبناء الإمام علي بن الحسين عليه السلام، فالزبيري الذي له كتاب نسب قريش، أقدم مصدر موجود، يَعُدُّ أَبناء الإمام علي بن الحسين:

حسين الأكبر، ومحمد، وعبدالله (وأُمّهم أمّ عبدالله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب)؛ وزيد (من أم ولد)؛ وداوود، وعمر، وعلي، وعبدالرحمن (ماتُوا أَطفالاً) وحسين الأصغر، وسليمان، وقاسم.

وبناته: خديجة، عبدة، وأمّ كلثوم، وفاطمة، وعليّة، وأمُّ الحسين.[٢]

وابن سعد ذكر أَنَّ له عشرة أَبناءٍ أَسماؤُهم: حسن وحسين، وأكبر، ومحمد، وعبدالله، وعمر، وزيد، وعلي، وحسين الأصغر، وسليمان، وقاسم.

وذكر أَنَّ له سبع بنات أسماؤهن: خديجة، علية، وكلثوم، ومليكة، وفاطمة، وأمّ الحسين وأمّ الحسن (حسنة)[٣].

وَسَمّىٰ ابنُ قتيبةَ أَبناءَهُ: حسناً، ومحمداً، وعلياً، وعبدالله (من أمّ عبدالله) وعمر، وزيد (من أُمٍّ ولد اسمها حيدان).

---

١- آل عمران/٣: ٣٤.

٢- نسب قريش: ٦٢-٦٢.

٣- طبقات ابن سعد: ١٥٦/٥.

وبناته أمّ موسىٰ، وأُمّ حسن، وأم كلثوم[١].

وأبناؤُهُ عند البلاذريّ هم: محمد، وعبدالله، وحسين (أُمُّهم أم عبدالله) وعمر، وزيد،

وبناته: عليا، وخديجة، وأمّ موسىٰ، وأمّ حسن، وكلثوم، ومليكة[٢].

وَعَدَّ الشيخ المفيد أَبناءَهُ في الإرشاد خمسة عشر هم: محمد (الإمام الباقر(ع) وأُمُّهُ أُمّ عبدالله)، وعبدالله، وحسن، وحسين، وزيد، وعُمر، وحسين الأصغر، وعبدالرحمن، وسليمان، وعلي، ومحمد، وأصغر (وكلُّهُمْ مِن أمّ ولد)، وخديجة، وفاطمة، وعلية، وأمّ كلثوم[٣].

وَعَدَّهم علي بن عيسىٰ الإِرْبلّي مؤلف كشف الغُمّة في إِحدىٰ رواياته خمسةَ عَشَرَ علىٰ ما أَوْردهم المفيد[٤].

وهم في روايةٍ أُخرىٰ يَظهر أَنَّهُ لا يعتمد عليها تسعة أَبناء، ولا بنتَ له[٥].

وهم في رواية أُخرىٰ ثمانية، ولا بِنْتَ له[٦].

وكتب الذهبيّ أَن أَبناءَهُ: حسن وحسين اللذان ماتا طفلين، ومحمد الباقر، وعبدالله، وزيد ، وعُمر، وعلي، ومحمد الأوسط، وعبدالرحمن، وحسين الصغير، وقاسم[٧] لابن حزم علي بن أحمد سعيد الأندلسيّ ذكر مُفَصَّل لهم في باب أسماء أبناء السجاد وَعِدَّتهم.

فالذكورُ محمد (أُمُّهُ أُمّ عبدالله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب) وزيد (أمه أُمُّ ولد)

---

١- المعارف: ٢١٥.

٢- أنساب الأَشراف: ١٤٧.

٣- الإرشاد: ١٤٧/٢.

٤- كشف الغمّة: ٩/٢.

٥- ن.م: ٨٢/٢.

٦- ن.م: ١٠٥/٢.

٧- سير أعلام النبلاء: ٢١٧/٣.

وعلي وحسين وعبدالله وعُمر.

والإناث خديجة التي تزوَّجها محمّد بن عُمر بن علي بن أَبي طالب.

وعبدة التي تَزَوَّجها محمد بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، ثُمَّ على بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أَبي طالب، ثُمَّ نوح بن إبراهيم بن محمّد بن طلحة.

وأُمّ كلثوم التي تزوّجها داوود بن حسن بن الحسن.

وأُمُّ الحسن آمرأة داوود بن علي بن عبدالله بن عباس.

وفاطمة التي تزوّجها داوود بعد وفاةِ أُختها.

وعُلَيّةَ التي تزوَّجها علي بن حسين بن الحسن بن علي بن أَبي طالب، ثمّ عبداللهِ بن معاوية بن عبدالله بن جعفر.

وأُمّ الحسين امرأة إبراهيم بن محمّد بن علي بن عبدالله بن عبّاس (إبراهيم الإمام)[١].

وذكر ابن شهراثوب أَنَّ أَبناءَهُ آثنا عشرَ هم: محمد (الباقر) وعبدالله (الباهر) وزيد، وعُمر، وحسين الأصغر، وعبدالرحمن، وسليمان، وحسن وحسين الأكبر، وعبيدالله، ومحمّد الأصغر، وعلي.

وقال: قالوا: لا بنت له، وقالوا: بناتُه: فاطمة، وعليّة، وأُمُّ كلثوم[٢].

وذكر الطبرسّي في إعلام الوَرَىٰ أَنَّهم: محمد الباقر (أُمُّه أمُّ عبدالله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب). وزيد، وعُمر (وأُمُّهما أُمُّ ولد).

وعبدالله وحسن وحسين (أُمّه أُمّ ولد) وحسين الأصغر، وعبدالرحمن، وسليمان (أُمّه أمّ ولد) وعلي (أُمُّه أُمّ ولد) ومحمد الأَصغر.

---

١- جمهرة أنساب العرب: ط دار المعارف بمصر، ١٣٨٢هـ ص٥٢.

٢- المناقب: ٤/١٧٦.

والبنات: خديجة (أُمّها أُمّ ولد) وفاطمة، وعُليّة، وأُمّ كلثوم.[١]

والأبناءُ علىٰ ما أَرىٰ خمسة هم: الإمام محمد الباقر عليه السلام وزيدٌ الشهيد، وعبدالله، وعُمر، وعلي.

والبنات آثنتانِ هما: عُليّةَ، وأُمُّ كلثوم عَلىٰ ما يُرىٰ في كُلِّ الأَدلَّةِ المحرّرة.

وَذهب مؤلف عمدة الطالب إلىٰ أَنّ خلف الإمام الرابع هم: الإمام محمد الباقر، وزيد الشهيد، وعُمَر الأَشرف، وحسين الأصغر، وعلي الأَصغر[٢].

وكتب المحدِّث القُمِّي أَنّ علية أَلّفت كتاباً نقل عنه زُرارة[٣].

فعُلَيَّةُ علىٰ هذا سيِّدة فاضلة، وكانت مِن راويات الحديث.

وكتبَ أَيضاً أَنَّ أَبا محمد عبدالله كانَ يُدْعىٰ الباهرَ لجمالِه[٤].

وكتبَ أَنّ عمر الأشرف كان متولِّي صدقاتِ رسولِ الله[٥].

ومِن أَبناءِ الإمامِ السجّادِ سوىٰ الإمام الباقِر - الذي يَعُدّه الشيعةُ إِماماً بعد أبيه - زيد المشهور بالعلم والتقوىٰ والفَضْل، وآستُشهِد في الثورة علىٰ الأمويين في الكوفةِ بأَمْر واليهم عليها يوسف بن عمر الثقفيّ سنة ١٢٢ هـ

---

١- إعلام الورىٰ: ٢٦٢.

٢- ص ١٦٠.

٣- منتهىٰ الآمال: ٢/٣٠.

٤- ن. م: ٢/٣٠.

٥- ن.م: ٢/٣١.

## الخاتمة

«وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»[١]

وإذ أنتهىٰ طبعُ الكتاب أراني الآن مكلّفاً أَن أكتب عِدّةَ نِكات:

مَعَ كلّ الجهد الذي بذلتهُ في تصحيح الكِتاب آسفُ علىٰ ظهور أَخطاءٍ كثيرةٍ فيه، وَلا سِيّا في إعرابِ الكلماتِ العربيَّة وضبْطها[٢]. والحواشي صغيرة الحروفِ وعيني محرومة الرُّؤْية الصحيحة.

وَطلبي إلىٰ القارئينَ الفُضَلاَء أَنْ يُصلحوا هذه الأخطاء كلّما سنحت لهم الفُرصة، وأَنْ يُذَكّرونيها إذا تسنّىٰ لهم ذلك، لأَتلافاها في الطبعة اللاحقة.

وساعدني في إعداد موادّ الكتاب أَحبَّةٌ يجب أَنْ أَشكرَ لهم.

وَأَوّلُهم وَلدي المفقودُ الأثر السيد إحسان شهيدي الطالب في فَرْع الأحياء بجامعة شيراز والدارس في الحوزة العلمية بقم الذي ذهب إلىٰ الجبهة الغربية للتبليغ وتشجيع المقاتِلين قربةً إلىٰ الله - تعالىٰ - وبلغني خبرُ فقِده مع ذكرىٰ شهادة الإمام علي بن الحسين.

وَأَدَّىٰ السيّد إحسان غاية الأَمانة والدِّقّة في آستخراج المطالب التي عهدتها إليه من تاريخ الطبريّ والعقد الفريد والكامل لابن الأثيرِ وكتبٌ أُخرىٰ.

---

١- رعاية للأمانة: كتب المؤلف في الأصل الفارسي ما ترجمته «بسم الله الرحمن الرحيم»، وارتأينا مناسبة للذوق العربي أن نأتي بهذه العبارة، وهي اقتباس من نفس المؤلف الكريم الذي عوّدنا في أكثر كتبه علىٰ استهلال فصول الكتب بآيات قرآنية أو أقوال مأثورة.م

٢- يقصد الأصل الفارسي، ونأمل أن تكون الطبعة العربية شبه خالية من هذه الأخطاء.

اللهمّ لا تنقُصْه عنايتكَ ورَحمتك أَبدَاً.

وثانيْهِم آبنتي السيِّدة شكوفه شهيدي (حامدي) التي لم تَتَثأْثأْ عن مُساعدتي في هذه الشيخوخةِ وحاجتي إلىٰ الأَخذ بيدي، فحرَّرَتْ قِسماً من مباحث الكتاب، وأَعانتني في استخراج أعلامه ومقابلتها وتنظيمها.

وثالثهم الآنسة "مرسده معيني الفيض آبادي" الطالبة في كلية الآدابِ والعلوم الإنسانية بجامعة طهران التي ساعَدَتْ آبنتي في تحرير فهرس الأعلام.

وَالطَّبَّاعون في (دفتر نشر فرهنگ اسلامى)[1] الذين صَبَروا علىٰ خَطّي غير الوَاضِح، وَقرؤُوهُ بصعوبة غير مُتبرّمين به.

عفا الله عن كلِّ الناشرين لعلوم آل محمدﷺ وتفضّل عليهم بالتوفيق وحسن العاقبة والكرامة.

آمين.

---

١- ترجمته: مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة.

# قائمة المصادر

١. الأخبار الموفقيات: الزبير بن البكار، د. سامي مكي العاني، بغداد ١٩٧٢م.

٢. إلارشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد، الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، انتشارات علميه اسلاميه، طهران.

٣. أسرار الشهادة : الملا آقا دربندي، منشورات الاعلمي، طهران.

٤. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني.

٥. الأصول من الكافي: محمد بن يعقوب الكليني ، دار الكتب الاسلامية، طهران ١٣٧٤هق.

٦. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا الكحالة. المطبعة الهاشمية دمشق ١٣٧٩هـ.

٧. اعلام الورىٰ باعلام الهدىٰ: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الكتب الاسلامية، طهران ١٩٧٠م.

٨. الأغاني : أبو الفرج الاصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٩. الأمالي: علي بن الحسين ، الشريف المرتضىٰ ، دار الكتب العربي ، بيروت.

١٠. الأمالي: محمد بن الحسن الطوسي، مكتبة الداوري ،قم .

١١. الإمام زين العابدين، عبد الرزاق المقرّم ، مطبعة الغري، النجف ١٣٧٤هق.

١٢. أنساب الأشراف: احمد بن يحيىٰ البلاذري، تصحيح الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٤ هـ.

١٣. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٤. البيان والتبيين: أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر، ١٣٦٧هق.

١٥. پس از پنجاه سال (قيام حسين عليه السلام): د. سيّد جعفر شهيدى، دفتر نشر فرهنگ اسلامى، طهران.

١٦. تاريخ ابن أعثم : نسخة مصوّرة، كتابخانه مركزى دانشگاه تهران.

١٧. تاريخ الأدب العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.

١٨. تاريخ الخلفاء : جلال الدين ، عبد الرحمن السيوطي، محمد محى الدين ، عبد الحميد.

١٩. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، افست عن طبعة بريل ١٨٧٩م.

٢٠. تاريخ تحليلى اسلام، السيد جعفر شهيدي، مركز نشر دانشگاهي.

٢١. تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، مطبعة الهلال، القاهره ١٩٠٢ م.

٢٢. تاريخ اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب، المكتبة المرتضوية. النجف ١٣٥٨ هـ.

٢٣. تحف العقول عن آل الرسول: علي بن حسين حراني، علميه اسلاميه ، طهران.

٢٤. جمهرة أنساب العرب: علي بن أحمد بن حزم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٢ هق.

٢٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الاصفهاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٥٢ هق.

٢٦. حياة الحيوان: كمال الدين الدميري، مطبعة الشرقية، ١٣٠٦هق.

٢٧. الخصال : محمد بن علي بن بابويه، علميه اسلاميه ، طهران.

٢٨. ديوان الحماسة: أبو تمام الطائي ، دار القلم، بيروت.

٢٩. روضة الواعظين: محمد بن فتال النيسابوري، محمد مهدي الخرسان، منشورات الرضي، قم.

٣٠. الروضة من الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية ، طهران.
٣١. زندگاني فاطمة الزهراء، سيد جعفر شهيدي. دفتر نشر فرهنگ اسلامى.
٣٢. سفينة البحار: عباس القمي، انتشارات سنائى.
٣٣. سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، مصر صلاح الدين المنجد، دار المعارف.
٣٤. شدّ الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار: معين الدين جنيد الشيرازي، محمد قزويني وعباس اقبال، چاپخانه مجلس ١٣٢٨ هش.
٣٥. شرح شواهد المغني: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، لجنة التراث العربي.
٣٦. شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، تصحيح محمد ابوالفضل، ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٥ هـ.
٣٧. صفة الصفوة: أبو الفرج بن الجوزي، دار المعرفة ، بيروت.
٣٨. الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيثمي، عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة ١٣٨٥ هق.
٣٩. الطبقات: محمد بن سعد الواقدي، افست عن طبعة ليدن، ١٣٣٢ هـ.
٤٠. العقد الفريد: احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٧٢ ق.
٤١. علل الشرائع: محمد بن علي بن بابويه دار احياء التراث العربي، النجف ١٣٨٥هق.
٤٢. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: أحمد بن علي الداوودي، مكتبة الحياة، بيروت.
٤٣. عيون أخبار الرضا: محمد بن علي بن بابويه، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٠هق.

٤٤. عيون الأخبار: ابن قتيبة، المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٧٢ هق.
٤٥. الغارات : ابراهيم بن محمد الثقفي، مير جلال الدين محدث، انجمن آثارملى تهران.
٢٥. فتوح البلدان: احمد بن يحيىٰ البلاذري، صلاح الدين المنجد ،مكتبة النهضة، القاهرة.
٤٧. في رحاب أئمة أهل البيت: السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت.
٤٨. قاموس الرجال: محمد تقي الشوشتري، مركز نشر كتاب تهران.
٤٩. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، طبع دار صادر، ١٣٨٥ ق.
٥٠. كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسىٰ الإربلي، مكتبة بني هاشم، تبريز، ١٣٨١ ق.
٥١. كنز العمال في الأقوال والأفعال، علاء الدين المتقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
٥٢. الكنىٰ والألقاب: عباس القمي، مطبعة العرفان، صيدا.
٥٣. اللهوف في قتلىٰ الطفوف: ابن طاووس ، مكتبة الداورى، قم.
٥٤. مروج الذهب ومعادن الجواهر، علي بن الحسين المسعودي، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٣٤٦ ق.
٥٥. مشكاة الأدب ( ناسخ التواريخ ): عباسقلى سپهر ، كتابفروشى اسلاميه، تهران.
٥٦. مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الاصفهاني، أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.
٥٧. المقالات والفرق: سعد بن عبد الله بن أبي خلف، د. مشكور، انتشارات علمى فرهنگى، تهران.
٥٨. مقتل أبي مخنف: منشورات اعلمى، تهران.
٥٩. مقتل الحسين : موفق بن أحمد الخوارزمي، مكتبة المفيد، قم ١٣٦٧ هق.

٦٠. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهرآشوب، مطبعه علمية قم.
٦١ منتهىٰ الآمال: عباس القمي، علميه اسلاميه ، طهران، ١٣٢١ هش.
٦٢. من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي بن بابويه، دار صعب بيروت، ١٤٠١ هق.
٦٣. المؤتلف والمختلف: حسن بن بشر الآمدي، مكتبة القدسي، ١٣٥٤ هق.
٦٤. نسب قريش : مصعب بن عبد الله الزبيري، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب- ١١.
٦٥. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ: نور الدين علي بن أحمد السمهودي، محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.
٦٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أحمد بن محمد بن خلكان، محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة ،القاهرة.
٦٧. الهفوات النادرة، غرس النعمة، محمد بن هلال الصابي، د. صالح أشتر، ١٣٨٧ هق.

# الفهرس

كلمة المترجم ..... ١
المقدمة ..... ٣
أشرف الخلق ..... ٨
أفضل بني هاشم ..... ٣١
انقلاب الناس ..... ٤٠
الشهداء ..... ٥٠
مسير السبايا ..... ٦١
ندم الظالمين ..... ٦٤
إملاء الله للكافرين ..... ٦٧
ظهور الفساد ..... ٧٦
انقلاب الناس ..... ٨٥
تواضع علي بن الحسين ..... ١٠٨
مدح الفرزدق لعلي بن الحسين ..... ١١٤
حلم علي بن الحسين ..... ١٣٦
عبادته ..... ١٤٠
إبداء الصدقات وإخفاؤها ..... ١٤٩
كظم الغيظ ..... ١٥٢
الإعراض عن اللغو ..... ١٥٥

رفع الله الذين أُوتوا العلْمَ درَجات ..... ١٥٧
وصاياه وكلماته الخالدة ..... ١٥٩
رسالة الحقوق ..... ١٦٨
الصحيفة السجادية ..... ١٨١
القرآن بخط الإمام عليّ بن الحسين ..... ١٨٥
نِعْمَ أَجْرُ العاملين ..... ١٩٢
ذريته ..... ١٩٥
الخاتمة ..... ١٩٩
قائمة المصادر ..... ٢٠١
الفهرس ..... ٢٠٦